بسم اللّه الرحمن الرحيم والصلاة على نبيه محمد وآله الطاهرين .

* (نهج البلاغة فى السياسات وادارة امور الناس) *

كلمة ساسه يسوسه سياسة معناها فى الأصل رياضة الحيوان من التوحش للتأهل ومن الشراسة والأهمال الى المرونة والانقياد والمطاوعة والخروج به عن مقتضى هوى نفسه الى الانضباط ثم استعمل اللفظ المذكور بمعناه المزبور فى ضبط الجوامع وكيفية ادارتها بما يحفظ حقوقها وحدود بعضها من بعض على ضوء الحق وميزان العدل وليس للسياسة معنى حقيقى او استعارى سوى ذلك فالسائس فى الحيوان والانسان هو من أعمل هذا المعنى وحققه فى الخارج .

وامّا استدراج الطرف بانتهاز الكذب والأستحواذ على المقابل بحشد المواعيد والفتك به من طريق المجاملات الفارغة والتلبيس عليه بالتدليس وهدم الضعيف المأمون لتقوية الخائن المريب ونهب حق المستحق لأشباع نهمة المتختل وتسمية كل ذلك بالسياسة ووسم مثل هذا الانسان بأنه سائس فهو من هدم كيان السياسة وتزوير الواقع وغصب حقوق الناس ومحاولة اكل الضعيف بالقوى والشريف بالسخيف وتلبيس الحقّ بالباطل وكل ساسة الدنيا على هذه الشاكلة وليس للمعنى الاولّى فيه عين ولا اثر ولذلك تدهورت الحقوق وكثر الفساد وتزايلت صفوف البشرية عن مواقفها

وتوسع اهل البدع والضلالات وضاقت دائرة اهل المعارف والكمالات ومن هذه الزوايا المرموزة قدّم الجهّال معاوية فى سياسته على علىّ مععظيم كياسته ولم يغفل علىّ هذه النكتة بل نبّه عليها حتّى لا يقال انه لم يدرك ذلك من نفسه وممّن جعله الزمان قبيلا له فقال عليه السلام ٠

- واللّه مامعاوية بأدهى منّى ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من ادهى الناس ولكن كل غدرة فجرة ولكل فجرة كفرة ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة واللّه ماستغفل بالمكيدة ولا استغمز بالشديدة(نهج ابن ميثم ج٣ص ٤٦٩) ٠

والحقّ ان عليا (ع) لم يكن فى كافة أفعاله وتروكه مقيدا بالشريعة التعبدية فقط لانها تستلزم فى المخالفة عقابا ربانيا بل يعتبر ان كل انحراف جرم لا شكّ فيه وان الكذب والغدر والحيلة والانتهاز المرموز اجرام انسانية لامرية فيها ونفسه العقالية تأبى عليه اقلّ شبهة من ذلك فضلا عن المحض الصريح منه وطبعا كل من لايكون بهذه الروح ويغالب برذائله من يحملها يكون هو الفاتح ــ خذ مثلا ــ نفس علىّ ومناوئيه فى دور خلافته فلو ان عليا ومعه اولئك الناس الذين تداكّوا على بيعته تداكّ الابل الهيم بحرارة ولهف أمر بسعد بن ابى وقاص وابن عمر ومن كان من هذا اللفيف الممتنع عن بيعته عندما بويع ان يداسوا بالأرجل فضلا عن ان تمدّ أيديهم وتمسح بها يده قهرا كما فعل اهل السقيفة بالناس لتحقق امره قطعا لان التاريخ يذكر ان اصحابه عرضوا عليه هذا الفعل معهم فلم يقبل وقال دعوهم علما منه ان البيعة يجب ان تكون حرّة موافقة لضمير المبايع واين هذا الفكر من معاوية وغيره ٠

ولو ان عليا أمسك بطلحة والزبير وبكل من كان يحمل أرواحهما واذواقهما وألزمهما ان يكونا بمنظر منه ومسمع دائما لافى المدينة وحدها

بل فى كل مكان يكون فيه تقييدا لتنفيذ منوياتهما كما فعل عمر بن الخطّاب نظير ذلك لتمكن ولأمن من غوائلهما ولكنه كان يسترذل هذه الحركات الجافّة بنظره ويرى ان اعطائهما الحرية فى المسكن والذهاب والأياب حقّ لهما وانما تجب مبارزتهما ومبارزة نظيرهما اذا حرّكا ما يوجب عقوبة وتنكيلا وتأديبا .

ولو ان عليا بعد ماتمكن من شريعة الماء بصفين وطرد عنها اهل الشام منعهم عن الورود لأماتهم جميعا من دون قتال يهتّم له ولكنه عد ذلك رذيلة من رذائل العقل والأنسانية :ولو ان عليا بعدما التقى بعمرو ابن العاص وتمكن منه تمكن الاسد من فريسته وقتله ولو تكشّف له بكل عوراته لاستراح منه وهو العفريت الذى مانجح معاوية بدونه فى هذه الحرب فضلا عن غيرها ولكنّ عليا تكرّم من قتل من استدفع القتل من الكرام بسوءته وكشف عورته وقس على ذلك الآفا من هذه النظائر والأشباه التى لم يأب عن ارتكابها الأسبقون ودونك النقاط التالية الصادرة عنهم بأطباق المؤرخين .

(١) انهم تركوا النبىّ فى أعز ساعات وداعه وأداء الواجب بين يدى حقوقه الثابتة فى رقابهم اكثر من ثبوتها فى رقاب غيرهم ومشو يغذون الى سقيفة بنى ساعدة بأمل نيل الرياسة .

(٢) انهم بعد ان حصّلوا بيعة جملة من الانصار المنافسين لسعد اخذوا يغذّون فى الأزقة والطرقات محتجزين بالأزر الصنعانية لا يمرّون بأحد الاّ خبطوه واخذوا يده ومسحوا بها يد الرجل رضى ذلك الأنسان ام لم يرض .

(٣) انهم هجموا على بيت على وفاطمة وأحضروا الحطب على بابه ليحرقوه ويحرقوا من فيه اخذا لبيعة علىّ بالقهر وتشتيتا لاصحابه وأخرجوا

من هذا البيت عليا ملببا يمضى به ركضا حتّى بايع بتمام كره واشمئزاز وهكذا اجبروا غير على مثل ذلك ·

(٤) انهم رضخوا الرضائخ للعباس ولأبى سفيان حتى يأمنوا من نزاعهما ومخالفتهما ويكسروا من جانب علىّ عليه السلام حتى لا يبقى له احد يصل جانبه ·

(٥) ان الثانى منع من خروج الزبير وغيره عن محوطة المدينة حذرا من افساده عليه الى غير ذلك ممّا مرّ شرحه وبيانه ملخصا عن هؤلاء الناس وامّا الثالث وأفعاله بأبى ذر وعمّار وابن مسعود وحتى بعبد الرّحمن بن عوف الذى قدّمه للبيعة وصفق على يده وتأميره للفسقة من بنى امية وغيرهم وخضمه مال اللّه خضم الابل نبتة الربيع و :و :فأمره شهير الى حدود بعيدة عن الوصف وقد سبق التحدث عن جملة منها :وامّا ما ارتكبه طلحة والزبير وعائشة واصحابهم من الأعنات عند ما وردوا البصرة ونهب بيوت الاموال وقتل كثير من الناس غدرا وصبرا فشىء قد ملأ الكتب وقد اسلفنا الكلام على ملخصه :وامّا مافعله معاوية من الغدر والختل وقتل الأبرياء والأغارة على المدن والقرى وقتل الصغار فضلا عن الكبار فشىء كثير وكثير ولمّا جاءت النوبة الى ولده يزيد فلا تسل عمّا اوقع فى الطف وفى المدينة وغيرهما من الأيقاعات المرّة الشائنة التى تنبو عنها مسامع اىّ انسان يفرض حتى القاسى من الناس وخذ على هذه الوتيرة كلّ خليفة وكل ملك وكل سلطان وكافة عمّالهم على طول سلاسل الزمان منذ اليوم الأوّل الى ما شاء اللّه بقاء للأمرة والأمراء بين الناس بشتّى العناوين ·

ولا شكّ انّ عليا لو اتخذ الفتك والغدر والأرهاب ورضخ الرشا وتقديم الطبقات المتمردة المتعنتة والشياطين من الناس وسائر ما يفعله الساسة الدارجون فى العالم لكان له ملكه العظيم وسلطانه الجسيم وهيبته

المرموقة ورهبته الموصوفة ولأسكت كل نامّة وأسكن كل متحرك ولأصاخ لـــه كل احد بلا استثناء كما اصاخ الناس لمعاوية وللحجاج وللمنصور ومن كان على مثل ذلك ولو فعل الذى وصفناه لما كان بدعا فى الملوك والسلاطين لان جميع من ملك استبد وكل من عزّ بزّ وكافّة من اعتلى عرش السيطـــرة خرّب وأفسد وطغى وتمّرد واخذ الناس يكيلون له المدح جزافا ويطيرونـه بالبطولة والرجولة والشجاعة والمناعة واللياقة وحسن السياسة ومزيد الكياسة ولم يشتهر اسم لزياد والحجّاج ويوسف بن عمر وچنگيز وهلاكو وتيمور ولينين وستالين وهتلر :و :و :و :الآ للمجازفات العارمة التى صدرت عنهم وحصلت منهم .

ولكن عليا ليس من هذا السنخ ولا وجه من هذا القماش ولاما انطوى عليه من قليل وكثير من طراز ماوصفناه وليس فيه شائبة ممّا أسلفناه لذلـك لم تكن حكومته مألوفة للناس ولا سيرته ممّا سبقوا بنظيرها وانما عرف قدره عدد معدود لا يتجاوز العشرات من الناس ماشوه فى كل ماارادوا وانقادوا له فى كافة المجالات وقتلوا بين يديه وعلى حبّه حتى اتت السيوف عليهـم عن بكرة ابيهم ذاك ماكان فى دوره .

وامّا عظمته فى الاجيال اللاحقة لعصره فذلك ايضا عنـد عارفـى الحقائق ومقدرى وزن الواقع لاعند كل احد فكم من اسطورىّ متعصب وصف بالفضيلة لكنه الى الجهل والرذيلة اقرب منه الى الصفات الجليلة والسمات الجميلة تعدّى على مقام قدسه وانتصر لمعاوية عليه وليزيد على الحسيـن تحديا للحقّ ومماشاة للميول او تحصيلا للجاه بين الطغام او للمـــال المنقود من الأمراء اللئام نعم لمّا تحررت الأفهام واتسع للألسنة والأقـلام مجال الكتابة والكلام اخذ ينتصر له الفذّ اثر الفذّ والعبقرى تلو العبقرى تقديسا للحرية وتعظيما لنزاهة الضمير وتوقيرا للعدل واهله واحيـــاء

للمعروف وفاعليه وتقد يرا للحق والحقيقة ممّا كان ذ لك واضعافه فى بعـض عياب علىّ وممّا انطوى عليه فى حشا ياه وحنا ياه ٠

وعود ا على بد ء فالسياسة اثنتا ن سياسة حقيقية واقعية وهى السياسة التى مشى عليها الأنبياء والأوصياء الذ ين ثنيت لهم الوساد ة وما اقلّهـم واقلّ ازمانهم وسياسة غد ر وختل وارهاب واعنات وتلوّن ومصانعة وهى التى اتخذ ها ميزانا لحاكميته كل حاكم حكم فى الد نيا بلا استثناء نعم يفتـرق البعض عن البعض فى كمّ الرذ ائل التى يرتكبها وكيفها ونحن فى تحريرنا لهذ ا الفصل انّما نستعرض السياسة الواقعية وان كانت صرف مفا هيـم لاعامل بها احقاقا للحق وتثبيتا للعلم وتوزينا بالمقا ييس الفنية حصل بها عامل ام لم يحصل فان للمقا ييس العلمية حقّها من الكتابة وحظّهـا مـن التحرير وان كان ذ لك كله عقيما فى مقام الأستنتاج العملىّ واللّـه هـو المسدّد للصواب ٠

ولعلىّ عليه السلام فى باب سياسة الناس بالميزان القويم اقوال فخمة هى عصارة فكره ونتيجة تفكيره وثمرة مثاليته وا يناع روحه ورشحات قد سـه وتقواه واشعاعات افعاله واعماله وانعكاسات ضميره المؤمن وقلبه النظيـف من اد ران الماد ة ولوازمها وقذ رات الشهوة وتبعاتها ٠

وفى طليعة اقواله فى هذ ا الباب عهد ه لمالك بن الحارث الأشتـر النخعى لمّا ولاّه على مصر وأعمالها وهذ ا العهد على محدود ية فقراتـه غير متناه فى نكاته ومنه يستبين اللبيب منزله علىّ عليه السلام فى العلـوم الد ينية والأجتماعية والأقتصاد ية والسياسية وكل ما يمتّ الى صون الاجتماع وحفظ الأفراد واصلاح الحياة ورفع مستوى الأنسان والأنسانية العامـة ونحن نذ كره فى فصول ونشرح كلّ فصل بما يناسبه ويشرع هذ ا العهـد بقوله عليه السلام ٠

بسم اللّه الرحمن الرحيم

هذا ما أمر به عبد اللّه علیّ امير المؤمنين مالك بن الحارث الأشتر فی عهده اليه حين ولاّه مصر جباية خراجها وجهاد عدوّها واستصلاح اهلها وعمارة بلادها أمره بتقوى اللّه وايثار طاعته واتباع ما أمر به فی كتابه من فرائضه وسننه التی لا يسعد احد الاّ باتباعها ولا يشقى الاّ مع جحودها واضاعتها وان ينصر اللّه سبحانه بقلبه ويده ولسانه فانه جلّ اسمه قد تكفّل بنصر من نصره واعزاز من أعزّه وأمره ان يكسر نفسه من الشهوات ويزعها عند الجمحات فان النفس امّارة بالسوء الاّ ما رحم اللّه :ويستبين معنى هذا الفصل ببيان نكات ·

(١) ان مالك بن الحارث النخعی الأشتر هو من اولئك النخب الذين قد يسخو بهم التاريخ فی فواصل من الزمان غير معيّنة فمالك كان بطلا حرّا مغامرا ذا تصميم لا يتشظّى وفيا لأميره مطيعا لقوله معتقدا به اشدّ عقيدة ولو ان الطغمة من اصحاب أمير المؤمنين كانوا منقادين لأرادة اميرهم هذا غير منتكثين عليه لكان لعلی من طريق هذا القائد الموهوب جيش له حظّه من التنظيم والتقدم والحياطة والأحاطة ولكن انتكاث اصحاب علیّ عليه وعدم انقيادهم له وتمردهم بآرائهم هو الذی ضيّق المجال علی تقدّم مالك ونبوغه وعقم الكثير الوفير من تصميماته وارادته وقد حزّ موته فی نفس امير المؤمنين بما لا يعلمه الاّ اللّه ·

(٢) من مزيد اهتمام علیّ بالرعية وعظيم احترامه للمسؤلية الشرعية انه كان لا يولّی واليا علی تمام ثقته به الاّ ويزوّده بالوصايا الناجعة والتذكيرات النافعة ويعظّم امر اللّه وعباده فی عينه حتّی يستشير بذلك عاطفته الدينية ويلفت ذهنه الی ما هو تكليفه امام ربّه وفی مقابل اخوانه فی دينه ونوعه ولم يعرف التاريخ فی امير من الأمراء او خليفة من الخلفاء

او سلطان من السلاطين اقلّ ماعرفه عن هذا الأمير اللاهوتى الشفيق على الانسان الدؤوب على وصول الانسانية الى أعلا ذروة يمكنها ان ترقى اليه وهذا من محاسن علىّ التى تجلّت للبشرية اتمّ تجل ٠

(٣) ان عليا عقّب قوله حين ولاّه مصر بقوله جباية خراجها وجهاد عدوّها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها فكان قوله الثانى شرحا لما اجمله فى قوله الأول ولاّه مصر ولا شكّ ان وظيفة القيام بسياسة البلاد لاتزيد على جباية الخراج وجهاد العدو واستصلاح الناس وايجاد العمران وتوسيع نطاقه :لان جباية الخراج معناها ايجاد بيت مال وولى يقوم بالشؤن العامّة بشتّى انواعها :وجهاد العدو يصون البلاد ويعطيها سعة فى رقعتها ويعزّ الناس ويلبسهم الأمن :واستصلاح الناس معناه سياستهم بجميع ما يحفظ لهم حقوقهم وحيثياتهم ودمائهم ونواميسهم وسائر ما يمت اليهم من قليل وكثير :وعمارة البلاد تهدف الى رفع مستوى الزراعة وتوسيع نطاق العمل للعمّال والمهن لأهلها وتجديد البلاد بما يعطيها النضرة وتحسين الطرق وتعبيد المسالك وما الى ذلك فاذا تحققت هذه المشاريع فقد قامت البلاد على أحسن اساس وارفعه واقواه وطلعت بأحسن مظاهر العمران ٠

(٤) ثم شرح عليه السلام بقوله امره بتقوى الله الى آخر ماقال الكليات التى آنفها بقوله ــ جباية خراجها وجهاد عدوّها واستصلاح أهلها وعمارة بلادها ــ فان هذه الكليات لاتتضح كمال الوضوح الاّ ببسطها الكافى واوّل حجر اساسى لعمل ايّ عامل يفرض هى التقوى والمراد بها الخشية المنبثة فى شرائر ضمير الانسان وقلبه من الخالق الذى يعلم خائنة الأعين وما تكنّ الضمائر ومن الوجدان الانسانى الصحيح الذى يدعوه الى المثالية ويبعّده عن المادة السوداء وتوابعها فان الأنسان اذا

انکر ضمیره اللّه وفقد الوجدان الصحیح جاء السبع الضاری والوحش الکاسر ومع هذا الباطن المظلم یستحیل کل عمران وصلاح واستصلاح: ومن منبع التقوی یترشح ایثار الانسان طاعته لربه علی معصیته فان العصیان دائما وابدا منشؤه امّا الجحود للّه او نسیانه والغفلة عنه ومن المستحیل ان یکون العبد علی ذکر من ربه وتصدیق به وبما وعد وتوعد ومع ذلک یرتکب المعصیة وتبدر منه الجریمة فان مقارنة ذاک بهذا من مقارنة المتناقضات بعضها ببعض ولا ریب ان مع ایثار الطاعة علی المعصیة واتباع ماأمر به اللّه سبحانه فی کتابه سنة وفریضة السعادة عاجلا وآجلا امّاعاجلا فان اوامر اللّه تکفلت کل ما یصلح ویفلح وینجح فی مجاری الحیاة کلّیها وجزئیّها وامّا آجلا فهو سبحانه انما أعدّ رضوانه وجنانه للمتقین من عباده کما لاشکّ انّ مع جحود اللّه وانکار قوانینه او الأعتراف بذلک لکن مع اضاعتها بالغفلة والتساهل والنسیان اتعس الشقاء عاجلا وآجلا امّا عاجلا فان الانحراف عن الموازین الحقّة لا یثمر غیر الهیاج والأنزعاج وتبلبل الاوضاع وضیاع الحیثیات والکرامات وامّا آجلا فکم توعد اللّه سبحانه الکافرین والمنافقین والفاسقین بأعراضه عنهم واعداد العذاب الشدید لهم.

والأنتصار للّه تعالی معناه الانحیاز الی جانب اوامره وارشاداته وترویج شریعته وترغیب طریقته کل ذلک بنفع المنتصر نفسه لمفرده ومجتمعه ولا یکون انتصار بید او لسان او قلم او قدم او درهم ما لم یکن المنشأ قلبیا والداعی باطنیا والباعث وجدانیا والمنظور بنصر اللّه لمن ینصره واعزازه لمن یعزّه هو تثبیت واقعیاته وان کان فی الظاهر احیانا من المخذولین: فعلیّ مثلا وان لم ینتصر علی دنیاه نظیر ما انتصر معاویة وغیره الاّ انه منتصر فی الواقعیات الراهنة التی رکّزت شخصیته وفرضتها علی الوجود رغم کافة الانوف المغاضبة وهکذا یقال فی الحسین بن علی

ونظيرهما من الشخصيات المثالية التى لم تحصّل على طائل من الدنيا المادية ولكنها احرزت المعنويات المرموقة التى سخّرت اقلام الكتاب وقرائح الشعراء لخدمتها والتنويه بها .

ثم ان الانسان بحكم طبيعته عليه شهوى بهيمى وسحق الطبيعة بالمرّة غير ممكن الاّ بأعدام النفس والأجهاز عليها فالذى يمكن من ذلك هو الكسر من شرّتها والحذف من حدّتها والوقوف امام عرامتها وتسكين جمحاتها وان اطلاق النفس على توّها ممّا يمحق الانسان ويوقعه فى مضار غير قابلة للتدارك والجبران وهو معنى قوله فان النفس امّارة بالسوء ورحمة اللّه فى هذا المجال معناها الفات نظر صاحبها الى العيوب الناتجة عن الأقبال عليها والذنوب الناشئة من التوجه اليها عصمنا اللّه من الزلل فى القول والعمل .

(الفصل الأوّل) قوله عليه السلام : ثم اعلم يامالك انّى قد وجّهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور وان الناس ينظرون من امورك فى مثل ما كنت تنظر فيه من امور الولاة قبلك ويقولون فيك ماكنت تقول فيهم وانّما يستدل على الصالحين بما يجرى اللّه لهم على ألسن عباده فليكن احبّ الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح فاملك هواك وشح بنفسك عمّا لا يحلّ لك فان الشحّ بالنفس الانصاف منها فيما احببت او كرهت .

وهنهنا نكات :

(١) ليس المنظور من قوله عليه السلام انّى قد وجّهتك الى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور خصوصية تلك البلاد بجريان دول العدل والجور عليها بل كل ارض وطأتها ارجل البشر جرت عليها دول العدل والجور فان هوى الحاكمية وخنوع المحكومية ذاك فى بعض الأدمغة

وهذا في بعضها الآخر من الاقترانات اللازمة للعنصر البشري كما ان هوى العدل في بعض وهوى الجور في بعض آخر من احتفافات النفوس ووقوعها تحت تأثير هوية التفكير فربّ اناس يرون الايقاع بالناس من مقولة العدل والأعنات بهم من مصلحة تأديبهم ولا يرون انفسهم متجاوزين جانين واناس آخرين يرون ذلك بجميع انحائه والوانه تجاوزا محضا وتعديا بحتا .

(٢) وان الناس ينظرون من امورك في مثل ماكنت تنظر فيه من امور الولاة قبلك ويقولون فيك ماكنت تقول فيهم :في هذه الفقرة مطلبان (المطلب الأوّل) هو ان الانسان يلزمه بالضبط ان لا يحسن الظن بنفسه ويرى نفسه بريئة من الهناة وان العيوب حصة غيره فقط فان هذا الشعور في الناس شعور ظالم لا يتركز من الواقع على شيء بل يجب ان يكون في عامة انظاره متجردا بها عن نفسه وعن غيره جميعا وان يعرض كل ما يقع لها على المقاييس الفنيّة ليكون المنطق هو الحاكم لا العاطفة (المطلب الثاني) هو ان الأنسان ايضا يجب عليه ان يكون في جميع حالاته يقظا فكما انّه في محكوميته للحاكمين ينظر الى افعالهم بدقّة وينتقدهم انتقادا مرّا ان بدرت منهم بادرة او بوادر كذلك يجب عليه ان يواظب في هذه الرويّة على طول خطّه من الزمان حتى مع نفسه اذا أصبح من الحاكمين .

(٣) وانما يستدلّ على الصالحين بما يجرى اللّه لهم على ألسن عباده :نحن لا نشكّ ان الناس مهما كانوا في رويّاتهم وهوياتهم يهبون الصلاح والصالحين اذا لم تكن في البين رموز تدعو السنتهم واقلامهم ان تقول وتكتب خلاف ماتكنّ قلوبهم فان الحقّ والحقيقة مهويان لعموم الطبقات :نعم ربّما يحصل في البين قلم ولسان بل السنة وأقلام تبرز الطالح بما تبرز به الصالح وتشيد بهذا كما تشيد بذاك فيقع الأغرار وهم طبقة العوام في لبس من الواقعيات فكم في الدهر من شيطان ركزته

الألسنة والأقلام فی مصاف المحقين وبقی كذلك ازمانا متطاولة مستور الحقيقة ثم لم ينكشف الاّ للأوحدی من الناس وربما يبقی مستورا حتی علی الأوحدی ايضا ولكنّ هذا المعنی لا يسقط مقالة الأمام عن الاعتبار .

(٤) قوله عليه السلام فليكن احبّ الذخائر اليك ذخيرة العمل الصالح تفريع علی ما سبق فانه عليه السلام بعد ان اثبت ان العدل والصلاح وفعل الخير مع الناس من مهويّات القلوب صحّ له ان يعقّب ذلك بقوله فليكن احبّ الذخائر التی تريد ادخارها لنفسك هو ذخيرة العمل الصالح ومن لازمه ان تحدّد هواك وميولك وان تقصّر خطاك عمّا لا يحلّ لك فان الوقوف امام عرامة النفس انصاف لها سواء فی ذلك ماتحبّ وماتكره .

(الفصل الثانی) قوله عليه السلام وأشعر قلبك الرحمة للرعية والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكوننّ عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم فانهم صنفان امّا اخ لك فی الدين او نظير لك فی الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتی علی ايديهم فی العمد والخطأ فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذی تحبّ ان يعطيك اللّه من عفوه وصفحه فانك فوقهم ووالی الأمر عليك فوقك واللّه فوق من ولاّك وقد استكفاك أمرهم وابتلاك بهم ولا تنصبنّ نفسك لحرب اللّه فانه لا يدی لك بنقمته ولا غنی بك عن عفوه ورحمته .

وهنا نكات :

(١) قوله أشعر قلبك الرحمة للرعية : معناه اجعل الرحمة بالرعية شعار قلبك وظاهرته البارزة فيه وعاشرهم معاشرة المحب لمن يحب واللطيف الحفیّ بمن يلطف له ويحتفی به ذلك لان من وظيفة كل انسان ان يواجه اخاه النوعی بالأحترام الذی توجبه الانسانية للأنسان المستور الحال فان بداله من قبيله بعد الانحشار به والعشرة له ما يوجب احترامه اكثر وتعظيمه اوفر زاد فی احترامه واكرامه وان ظهر له سوء حاله وردیء

افعاله جاز او وجب عليه حينذاك ان لا يحترمه او أن يهينه حسب ما يقتضية سوء المالئ لضميره هذا حكم الانسان مع الانسان فی الحالات الأعتيادية وامّا حكم الراعی والرعية فهو يحمل طابعا اشدّ وأولی من الاعتيادية لان النظام الجماعی المنوط بالحكومات ممّا يدعو الی ذلك دعوة حاسمة مراعاة لتركز العدل الحكومی ٠

(٢) قوله ولا تكوننّ عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم فأنهم صنفان امّا اخ لك فی الدين او نظير لك فی الخلق يفرط منهم الزلل وتعرض لهم العلل ويؤتی علی ايديهم فی العمد والخطأ :معناه ان الروح السبعية الفاتكة روح ملعونة وان حلّت فی ایّ مسلاخ ذلك لأنّها بعيدة عن روحية الانسان لاقربی بينها وبين البشرية وكل انسان حمل هذه الروح بين جنبيه فقد القی ببشريته فی معامع الحيوانات هذا ما يعود للانسان فی نفسه خارجا عن مقارنته بانسان آخر وامّا مع هذه المقارنة فالانسان الذی يكون طرفا لأخيه النوعی امّا هو أخ له فی الدين فجامعة الدين اقرب للأنسان المثقف من جامعة النسب والسبب كليهما لان جامعة الدين جامعة فكرية مرامية عاطفية وجامعة النسب والسبب المجردين جامعة قد تفقد العاطفة ولحمة الفكر والمرام وقد تحصل مع وجودها بين الانسانين فجوة اخلاقية تقود الی العداء وتدعو الی النفرة والأبتعاد :وامّا أن لا يكون اخا فی الدين بان يحمل لنفسه عقيدة اخری فجامعة الاخوة النوعية ممّا يجب ان تزع عن معاشرته بسوء وتدعو الی معاملته بالحسنی مادام يحمل طابعا سلميا واخاء بريئا :وهذان الأنسانان المارّ ذكرهما بل وكل انسان حتّی المعتدل من الناس يفرط منه الزلل وتعرض له العلل ويؤتی علی يديه عمدا او خطأ فانه ایّ الرجال المهذب من جميع جهاته وفی كافة صفاته وما العصمة الاّ للّه وحده ٠

(٣) السلطان وحتى لو كان عادلا لا تأخذه فی الحق لومة لائم يجب عليه الأرخاء للمرعیّ مادام غير مزاحم لحقوق الاغيار وغير مخلّ بنظامهم فبادرة الذنب القانونی اذا كانت غير هادمة لكيان الأجتماع ولا مزاحمة لحقوق الناس وصدرت عن انسان غير معروف بالأنحراف يجب على الراعی التغافل عنها والتناسی لها وان يعطی المخطیء طرفا من عفوه وصفحه مثل الذی يحب ان يعطيه اللّه من عفوه وصفحه اذا بدرت منه بادرة امام قدسه واللّه سبحانه جعل سلطنة السلطان نوعا من ابتلاءه لخلقه وامتحانه ايّاهم فلا ينصبنّ الانسان نفسه لحرب ربّه بالمشادّة علی عباده فأنه لا قدرة لأیّ قادر فی مقابل نقمة اللّه ولا غنی به عن عفوه ورحمته .

(الفصل الثالث) قوله عليه السلام :ولا تندمنّ علی عفو ولا تبجحنّ بعقوبة ولا تسرعنّ الی بادرة وجدت منها مندوحة ولا تقولنّ انّی مؤمّر آمر فأطاع فان ذلك ادغال فی القلب ومنهكة للدين وتقرّب من الغير واذا أحدث لك ما انت فيه من سلطانك آبهة او مخيلة فانظر الی عظم ملك اللّه فوقك وقدرته منك علی مالا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يطامن اليك من طماحك ويكفّ عنك من غربك ويفیء اليك بما عزب عنك من عقلك ايّاك ومساماة اللّه فی عظمته والتشبه به فی جبروته فانّ اللّه يذّل كلّ جبّار ويهين كلّ مختال .

وهنا نكات:

(١) قوله ولا تندمنّ علی عفو ولا تبجحنّ بعقوبة ولا تسرعنّ الی بادرة وجدت منها مندوحة :معناه انه لا يجوز للانسان بعد ان يركز اعماله علی المقياس الصحيح ان يندم علی مافعل اذا انكشفت له الأمور علی خلاف ماكان يأمل فالانسان الذی يكرم انسانا آخر للّه علی ماتساعد عليه الظواهر ثم ينعكس عليه فعله لا يصحّ فی حقّه ان يأسف ويتأثر بل يكون

على مرحه ونشاطه لانّه لم يكن فی فعله مغشوشا مادام مدّعوا بداعی الأيمان وبباعث الأحسان نعم يجوز له ان يأخذ الحذر من هذا الأنسان نفسه فيما يستقبله منه :كما لا يجوز للانسان ان تأخذه العزّة لانه أوقع بغيره واستعلى عليه الاّ اذا كان أدرك بذلك حقا شرعيا وأخمد نائرة شيطانية وادّب انسانا من حقّه التأديب :هذا وان الافعال التی تظهر للانسان من ايّ انسان كان اذا كان يلوح عليها غبار الباطل لاتجيز له ان يحملها على باطل محقق مالم يتحقق وجهه وهو معنى حمل المسلم على الصحة فی اقواله وافعاله مادام هناك وجه حمل صحيح نعم لا يجوز هذا الارخاء اذا ادّى الى انتكاس الأوضاع وتشويش امور الناس وانهيار نظامهم وبالأخرة التسرع فی المؤخذات لاوجه له سياسة وعقلا ودينا بل يجب التحقق حتى يكون التنكيل بالطرف مشروعا ٠

(٢) قوله ولا تقولنّ انی مؤمر آمر فأطاع فان ذلك ادغال فی القلب ومنهكة للدين وتقرّب من الغير :معناه ان لاتغترّ بما اوتيت من جاه ومقام وحاكمية ولا تحدّث نفسك بذلك فأنه يوقعك فی الأنحرافات غير المحدودة شأن كل مغرور والمغرور بما اوتی شيئا من ذلك من لازمه نسيان انسانيته والبعد عن دينه والقرب ممّا يغيّر عليه وضعه من نعمة وسلطان الى فقر وخذلان ٠

(٣) قوله واذا أحدث لك ماانت فيه من سلطانك ابّهة او مخيلة فأنظر الى عظم ملك اللّه فوقك وقدرته منك على مالا تقدر عليه من نفسك فان ذلك يطامن اليك من طماحك ويكفّ عنك من غربك ويفیء اليك بما عزب عنك من عقلك :معناه ان عظمة السلطان تحدث فی النفس ابهة وفی الروح الحيوانی اختيالا ولا يسلم من ذلك ايّ بشر الاّ من عصمه اللّه سبحانه فاذا عرض هذا العارض كان دواؤه ان ينظر هذا الانسان الى عظمة من هو فوقه

بأضعاف مضاعفة وهو اللّه سبحانه بل ولا قياس فان اللّه يقدر من عبده على مالا يقدر هو من نفسه وحينذاك يتطامن طموح هذا الناظر وينكسر الشيء الكثير من حدّته ويرجع اليه عقله الذی غاب عنه ساعات غروره ويتحصل من هذه العظة ملاكان مهمّان (الملاك الاول) ان الانسان الواجد لجملة من مزايا المقتدرين النافذين اذا اراد ان لا يوقعه الغرور فی مهاوی الهلكة وجب عليه ان ينظر الى سلطان من هو أعظم منه وأقدر فعند ذلك تذّل نفسه وتتطامن قطعا (الملاك الثانی) ان الانسان فی امور معيشته وطقوس حياته يجب عليه ان ينظر الى من هو دونه حتّى يرضى عن وضعه ويشكر ربّه الذی لم يبتله بما ابتلى به من هو دونه فی دنياه .

(٤) قوله ايّاك ومساماة اللّه فی عظمته والتشبه به فی جبروته فان اللّه يذل كلّ جبّار ويهين كل مختال معناه انه لا يجوز للأدون ان يتحدّى الأعلا فان ذلك ممّا يثير نخوة الأعلا واذا كان ذلك اوقع به كما هو قانون كل تحد بين ضعيف وقوىّ هذا بالنسبة الى الناس بعضهم من بعض واممّا تحدّی المخلوق للخالق فأمره اشدّ وأنكى .

(الفصل الرابع) قوله عليه السلام :انصف اللّه وانصف الناس من نفسك ومن خاصة اهلك ومن لك فيه هوى من رعيتك فانك الاّ تفعل تظلم ومن ظلم عباد اللّه كان خصمه دون عباده ومن خاصمه اللّه أدحض حجته وكان للّه حربا حتى ينزع ويتوب وليس شيء أدعى الى تغيير نعمة اللّه وتعجيل نقمته من اقامة على ظلم فان اللّه سميع دعوة المضطهدين وهو للظالمين بالمرصاد .

اقول ليس معنى انصاف العبد ربّه من نفسه ان اللّه عاجز عنه حتّى يوصّى العبد بأنصافه بل معناه ان العبد من لازمه ووظيفته امام احكام

ربّه ان لا يتمرد عليها فان التمرد على اللّه له عاقبة وخيمة على المكلّف عندما يحاسب اللّه خلقه فيجزى المسيء على اسائته كما يجزى المحسن على احسانه وامّا انصاف الناس من النفس فمعناه ان لا يعتزّ الانسان بنفسه في مقابل من يقدر على هضمه وظلمه بل يجب عليه ان يحسب لغيره من الحق ما يحسب لنفسه وللاجانب عندما يحسبه لخواص اهله وذويه وأقاربه ومن له فيه هوى ومحبة اكثر من بقية الأجانب والأغيار فأنه ان لم يفعل ذلك فقد مال عن جادة العدل والانصاف ومال الى الاجحاف والأسراف الأجحاف بحقوقهم والأسراف في التعدّي عليهم هذا كلّه من الجنبة الحيويّة العامّة وما يخص الحاكم والمحكوم من قانون العدل الأنساني .

وامّا ما يرجع الى اللّه في مؤاخذته للظالمين وانتقامه من الفسقة المنحرفين فان نوع البشر لا يحسبون له حسابا قريبا ان آمنوا باللّه أساسا امّا اذا ألحدوا به او تساهلوا في تهديداته وتوعيداته فقلوبهم من ذلك افرغ من قلب امّ موسى ولكنّ عليا عليه السلام لمّا تجلّى له ربّه وعرفه رؤية مكاشفة حسب له حسابه الوفير وآمن بخصائصه ايمان من انتصبت له المحسوسات فلم تتخالجه شبهة فيها ومن هنا خاطب الأشتر واليه على جملة من رعاياه بقوله ومن ظلم عباد اللّه حقوقهم كان اللّه خصمه في ذلك دون عباده لان اللّه هو الذي اوجب لهم هذه الحقوق وتوعّد ظالميهم بالأنتقام منهم ومن خاصمه اللّه ادحض حجته اذ لا حجة لظالم وكان في ظلمه لعباد اللّه حربا له الاّ ان يتوب وينزع من ذنوبه وليس شيء أدعى الى تغيير نعمة اللّه ولو بعد حين وتعجيل نقمته ولو كان هناك ارخاء وامهال نسبيّان من اصرار العبد على ظلم اخوانه فان اللّه يسمع دعوة المضطهدين ويردّ عليهم لهفتهم وان أرخى لظالمهم أحيانا لانه دائما

هو بالمرصاد للمتمردين من خلقه وتعجيل العقوبة وتأجيلها لأمد هو أعلم به لا يغيّر من حجم العذاب ولا من لونه .

(الفصل الخامس) قوله عليه السلام: وليكن احبّ الامور اليك أوسطها فی الحق وأعمّها فی العدل وأجمعها لرضا الرعية فأن سخط العامة يجحف برضا الخاصة وان سخط الخاصة يغتفر مع رضا العامّة وليس احد من الرعية اثقل على الوالی مؤنة فی الرخاء واقلّ معونة له فی البلاء واكثر للانصاف وأسأل بالألحاف واقلّ شكرا عند الأعطاء وابطأ عذرا عند المنع واضعف صبرا عند ملمّات الدهر من اهل الخاصة وانّما عماد الدين وجماع المسلمين والعدّة للأعداء العامّة من الأمة فليكن صفوك لهم وميلك معهم .

فهيهنا نكات:

(١) الأوسطية فی الحق معناها هو العدل التام لان مادون الحق اجحاف بالحق ومافوقه اسراف وكلاهما مورد مؤاخذة فی شريعة الحق نفسه واعمّيتها ـ اى الامور ـ فی العدل معناها انها تكون مشمولة له وهو عامّ لها وهی فی حدوده لا تتجاوزه ومعنى اجمعيّتها لرضا الرعية ان رضا الرعية مجموع لها داخل فی حوزتها وهی منوطة به .

(٢) لا شكّ ان ما يوجب سخط العامة مجحف برضا الخاصة لان الخاصة ترى لنفسها من الحق مالا تراه للعامة بالمرّة بل لا تحسب العامة الاّ اداة مسخرة لتنفيذ ميولها ومقاصدها وتأمين معيشتها بكل راحة ولولا ذلك لما كان فی الناس خاصة وعامّة لان المنظور بالعامة هو سواد الناس المشغول بشغله الدارج القائم بمصالح الاجتماع وبالخاصة اولئك الذين تميّزوا بأنفسهم وحسبوا لها حسابا خاصا فی مجارى الحياة ومعائشها ومقاماتها وجاهها ورئآساتها وما الى ذلك .

(٣) انما يغتفر سخط الخاصة وهم الأقلية الذين يريدون تحميل

انفسهم على عواتق الناس مع رضا العامة الذين يكدّون ويجدّون ويبذلون عرق الجبين فی تأمين مصالح الحياة المطلقة فی شريعة العدل الأنسانی الربانی الوجدانی فقط لكنّ ذلك لم يعمل به ایّ انسان حكم على شخصين فی الدنيا لاعلى مملكة او اكثر وانّما لم يعمل به لانه يرى بالوجدان الشهودی المحسوس لهان العامة لاقيمة لها فی تقويم العروش الاّ من طريق تسخيرها فی الاشغال على اختلافها والذين يقيمون العروش هم الخاصة ولا نذهب بعيدا فهذا علیّ وذاك معاوية فی مقابله وانّما أخفق علیّ لانه وزن العامة بميزان ليس من شأنهم ولم يعتادوا عليه ولذلك اكثروا الأرجاف بهذا الأمام العادل لكن معاوية انما وزن عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ونظائرهما بالميزان الرفيع لعلمه ان حيلة واحدة من حيل عمرو بن العاص والمغيرة كافية لقلب امّة بطولها وعرضها من العوام وكذلك كان الأمر فان معاوية اشرف بجيشه اللجب على الهلاك من جيش علیّ لكنّ الذی انقذه وهتك قبيله هو عمرو وحده لا بسلاحه وبطولته بل بتدبيره وحيلته وعلى معاوية قس كل حاكم سياسی يريد التغلب على الناس بایّ نحو كان فان العوام لا رأی لهم وتذهب عليهم الحيل بمجرد القائها عليهم وعلى هذا عاش الحاكمون السياسيون منذ بداية الخليقة والى يومهم هذا والى مابعد مادام فی الدنيا حمّال وبقّال وفلاّح وملاّح ومن اليهم ولا تخلو الدنيا من اكثرية هؤلاء بالمرّة .

وعلیّ جدّ عالم بهذا المطلب ولكنه انّما يريد تركيز المنطق وما قاله هو المنطق نفسه ولكن لاحكومة للمنطق فی الخارج اصلا .

(٤) والخاصة كما ذكرهم على عليه السلام اثقل على الوالی مؤنة فی الرخاء يريدون منه كل مايدور فی انفسهم ويتوسلون الى تحصيله بشتّى الوسائل الجالبة لرضاه وسخاه واقلّ معونة له فی البلاء من حيث الدفاع

الجسمی والمادّی واکره للانصاف لان الانصاف یحدّد موقفهم المادّی بل والمعنوی ایضا وهم لا یرضون الاّ بالانطلاق مهما تمکنوا منه وأسأل بالألحاف فهم کل یوم یخلقون حاجة ویخترعون ضرورة ویحتالون فی الاقتناص واقلّ شکرا عند الأعطاء لانهم یرون انفسهم فوق ما یعطون وما یصل الیهم اقلّ ممّا یتأملون لأدلالهم بأنفسهم وأبطأ عذرا عند المنع لانهم لا یحملون الوالی حینئذ الاّ علی الجفاء لهم والتغیّر عنهم ولا یجیزون لأنفسهم ان تحمله علی عمل صحة وأضعف صبرا عند ملمّات الدهر لانهم یعتزّون بانفسهم کثیرا ویریدون لها الراحة بکلّ صورة ویتوسلون لذلك بکل وسیلة وانّما عماد الدین من حیث الجهاد الجسمی والمادّی وجماع المسلمین من حیث الکثرة والوفرة والعدّة للأعداء هم العامة من الأمة لصفاء ضمائرهم بالنسبة الی الخاصة اولا ولکثرتهم بالنسبة الی اولئك ثانیا ولتمسکهم بعقائدهم علی کل حال دون هؤلاء وعلی هذا فلیکن صفوك وقربك لهم ومیلك وعطفك معهم: هذا کله من وجهة المنطق حق ولکنّه من الجهة الأنطباقیة الخارجیّة لا تحقق له وکل من حاول ذلك فقد اخفق کما اخفق علیّ علیه السلام وکل حاکم عادل وقد اشرنا الی هذا الموضوع آنفا .

(الفصل السادس) قوله علیه السلام ولیکن ابعد رعیّتك منك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعائب الناس فان فی الناس عیوبا الوالی احقّ من سترها فلا تکشفنّ عمّا غاب عنك منها فانّما علیك تطهیر ما ظهر لك واللّه یحکم علی ما غاب عنك فاستر العورة ما استطعت یستر اللّه منك ما تحب ستره من رعیتك أطلق عن الناس عقدة کل حقد واقطع عنك سبب کل وتر وتغاب عن کلّ مالا یصحّ لك ولا تعجلنّ الی تصدیق ساع فان الساعی غاشّ وان تشبّه بالناصحین ولا تدخلنّ فی مشورتك بخیلا یعدل بك عن الفضل ویعدك

الفقر ولا جبانا يضعفك عن الأمور ولا حريصا يزيّن لك الشره بالجور فـأن البخل والجبن والحرص غرائز شتّى يجمعها سوء الظن باللّه .

فههنا نكات:

(١) طبعا يكون المتطلب لمعائب الناس حقودا حسودا لا يعـرف الخير ولا يبتعد عن الشر وليس له شأن من نفسه يشغله عن غيره ومثـل هذا الانسان لا ينطوى على روح طاهرة ولا على ضمير نزيه فهو مظلـم الباطن دائما سيّء الظن بكل احد ابدا ومثل من ذكرناه لا يليق ان يكون بطانة للوالى ولا قريبا منه لانه ساقط فى نفسه ويحبّب السقوط لكل من يتصل به ويقرب منه وعلّل عليه السلام جهة كون المتطلب لعيوب الناس مشنـوء مبغوضا ويجب ان يكون عند الوالى اشدّ مبغوضية بانه لا يخلو انسان من عيب اذ لاعصمة الاّ للّه وحده والوالى على الناس بمنزلة الأب الحامى لهم فكما انّ الأب يستر عورات اهليه رجاء لأستصلاحهم وحفظ حيثياتهم فكذلك يجب ان يكون الوالى: واوجب عليه السلام على واليه وعلى كل وال ان لا يكشف مستور الناس ولا يتتبع عوراتهم ولا يبحث عن خفاياهم فان ذلك كله ليس من وظيفته ولا من حقّه وانما وظيفته حفظ النظام وتعديل جنبات الاجتماع وهو لا ربط له بالخفايا والدقائن والذى عليه من باب حفظ النظام وتركيز الأمان تطهير ماظهر من العيوب وما انكشف من الجرائم والذنوب والبواطـن مرجعها اللّه سبحانه وموطنها يوم الحساب .

(٢) اوصاه عليه السلام ان لا يكون حقودا فان صفة الحقد ذميمـة تهتك صاحبها بكثير التغيظ على الناس فى نفسه وانفجاره على غيره وعلى فرض حصول هذه الصفة الذميمة فيه يكون من لازمه التماسك عن اعمالهـا وتحقيقها فى الخارج كما اوجب عليه ان يتغابى عن كل مالم يثبت عنـده ولم يتحقق لديه وان يحسب المحتملات كلا شيء .

(٣) وأوصاه ايضا ان لا يقبل في مقام اثبات جرم وجريرة على انسان ممنّ يتقدم بنفسه الى وصم غيره ويتطفل في قذف من سواه فان الساعي بغيره يريد غشّ من سعى عنده وايقاعه في خلاف الواقع ولو كان نزيها في واقعه غير متحيّز الى رمز من الرموز .

(٤) ليس ذمّ البخل من ناحية ان الانسان يمنع درهمه اوقدمه اوخيره عن الغير مع تيسر ذلك له بل لانه يحرّض الناس على هذا الخلق حتى لا يوحشه الانفراد بالذم والجبان مثل البخيل فكما انه يحبّب لنفسه الأنطواء على الذلّ ابقاء عليها يحبّب ذلك لغيره حتّى لا يفتضح فأن السيئآت والجرائم اذا كثر اهلوها خفّ قبحها في نظرهم والحريص مثل البخيل والجبان وقد أشار عليه السلام الى وحدة المنشأ في البخل والجبن والحرص بانّه من سوء الظن بالله فالبخيل لا يرى ان الذى اعطاه ابتداء يكرّر عليه العطاء لو اكرم غيره بما يستطيع والجبان يحسب ان صون حياته منوط بالانجحار بها وان لاحافظ لها سوى ذلك وان الذى اعطاه الحياة تخلّى عنه بالمرّة والحريص اخو البخيل والجبان كما اسلفناه .

(الفصل السابع) قوله عليه السلام ان شرّ وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرا ومن شركهم في الآثام فلا يكوننّ لك بطانة فانهم اعوان الأثمة واخوان الظلمة وانت واجد منهم خير الخلف ممنّ له مثل آرائهم ونفاذهم وليس عليه مثل آصارهم واوزارهم ممنّ لم يعاون ظالما على ظلمه ولا آثما على اثمه اولئك اخفّ عليك مؤونة وأحسن لك معونة وأحنى عليك عطفا واقلّ لغيرك الفا فاتخذ اولئك خاصة لخلواتك وحفلاتك ثمّ ليكن آثرهم عندك أقولهم بمرّ الحق لك واقلّهم مساعدة فيما يكون منك ممّا كره الله لأوليائه واقعا ذلك من هواك حيث وقع والصق بأهل الورع والصدق ثم رضهم على ان لا يطروك ولا يبجحوك بباطل لم تفعله فان كثرة الأطراء تحدث الزهو

وتدنی من العزّة .

اقول لا شكّ انّ من اعتاد سلوك طرق الشر لا يقلع عنه ما دام له منفذ اليه فشرّ اقران الانسان الصالح من كان سيّئا فی سابقته الاّ اذا تاب توبة تغيّر من هويّته وتنزع حقيقته الاولی الی حقيقة اخری وقلّ من يكون كذلك وعلی هذا الاساس قال عليه السلام انّ شر وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرا ولا ريب ان الانسان اذا استطاع ان يستخلف بدلا عن امثال تيك العناصر المشوبة بمن لم يقارف ذنبا ولم يرتكب جرما ولم يكن عونا للأثمة وأخا للظلمة وهو يملك مثل نفاذهم فی الأمور وآرائهم فی ادارة امور الناس والمملكة وجب عليه ان يفعل ذلك فی شرعة الأيمان والوجدان امّا ايمانا فلا شكّ ان العبد المجانب للذنوب ثقيل الكفة عند اللّه دنيا وآخرة عزيز الجانب لديه قريب المكانة منه وامّا وجدانا فان النزيه اخفّ مؤنة علی كل احد من المرموز واحسن لصاحبه معونة لانه لم يتلبس بالانتهاز والتلون واحنی عليه عطفا لانه باق علی صفائه الفطری واقلّ للمجرمين الفا لانه لم يتلوث بالآثام فيجب علی الانسان السالم وبالأخص الوالی علی دماء الناس ونواميسهم وحيثياتهم واموالهم أن يتخذ امثال اولئك خاصة لخلواته وحفلاته فی جلواته كما لا ريب ان الحرّ الصريح خير من غيره لانه بعيد عن الغشّ قريب من الحق نافع غير ضار منّبه للانسان من غفلات التسامح والتساهل .

وأوصاه عليه السلام فی ختام ما سلف بان يلصق بأهل الورع والتقوی والصدق والرفق وأن يصارحهم بانه لا يحب الأطراء وكثرة الثناء علی الأخص فی نسبة خير لم يفعله وفضل لم يسده الی احد ويقال له انك اذا لم تعلم فقد أسديت واذا لم تدر فقد انعمت وأفضلت فان كثرة الأطراء حتی بالحق تحدث الزهو فيمن يطری وتدنی من التعزز والتعنت فيمن يقرظ ويثنی عليه .

(الفصل الثامن) قوله عليه السلام :ولا يكوننّ المحسن والمسئ عندك بمنزلة سواء فان فی ذلك تزهيدا لأهل الأحسان فی الأحسان وتدريبا لأهل الأساءة على الأسائة وألزم كلا منهم ماألزم نفسه واعلم انه ليس شئ بأدعى الى حسن ظن راع برعيّته من احسانه اليهم وتخفيفه المؤنات عليهم وترك استكراهه ايّاهم على ماليس له قبلهم فليكن منك فی ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظن برعيّتك فانّ حسن الظن يقطع عنك نصبا طويلا وان احقّ من حسن ظنّك به لمن حسن بلاؤك عنده وان احقّ من ساء ظنك به لمن ساء بلاؤك عنده .

وهنا نكتتان :

(١) ليس من الحق طبعا ان يكون المحسن والمسئ عند الانسان سواء أكان احسان المحسن معه ام مع غيره وهكذا اسائة المسئ معه ام مع غيره فی عرض واحد فی القرب والزلفی وكافّة مجارى العشرة فان فی ذلك تزهيدا لفاعلی الأحسان فی فعل الأحسان ومداناته وتدريبا لأهل الأساءة على ارتكاب السوء ومقارفته هذا من الجنبة العمومية وامّا فی خصوص من احسن معه او اسئ اليه فهو كفران للنعمة فی المحسن واغراء بالجهل للمسئ فلا شكّ انه يجب فعل الاحسان فی مقابل الأحسان ومع ذلك فالفضل للبادی وامّا فی مقابلة السيّئ بالسوء فذلك عفوا او قصاصا موكول لصاحب الحق وهو مختار فيه مالم يوجب تجريا للطرف واحياء لروح الباطل فيه فانه حينذاك لا يجوز الغفران بل لا بدّ من الاقتصاص كفّا لأيدی السوء عن العبث .

(٢) ثم كشف له عليه السلام عن حقيقة لازمة الاتباع فی كل وال ومولّى عليه وهی انه اذا اراد الوالی ان يرتاح خاطره من رعاياه وتطيب نفسه من الافراد المحكومين له فليحسن اليهم وليخفف المؤنات عليهم وان

لا يحملهم على امر ليس له بحق القانون ان يكرههم عليه فان الأحسان وفعل الخير ـ ومهما كان طرفه ـ لا يعدم اثره فی المجتمع بما هو مجتمع قطعا واذا حسن ظن الراعی برعيته قطع عن نفسه نصبا طويلا وأراحه من التحذر الزائد وطبعا ان احقّ من يحسن ظن الأنسان به هو الذی اغدق عليه من فضله وأراه المعروف من نفسه وانّ احقّ من يسوء ظنه به هو من تعدّی عليه وغمطه حقّه وحمله على خطّة عنيفة ليس له ان يحمله عليها ·

(الفصل التاسع) قوله عليه السلام :ولا تنقض سنة صالحة عمل بها صدور هذه الأمة واجتمعت بها الألفة وصلحت عليها الرعية ولا تحدثنّ سنة تضرّ بشیء من ماضی تلك السنن فيكون الأجر لمن سنّها والوزر عليك بما نقضت منها واكثر مدارسة العلماء ومنافثة الحكماء فی تثبيت ما صلح عليه امر بلادك واقامة ما استقام به الناس قبلك ·

هنا نكتتان :

(١) ليست السنة بانتسابها للقديم او للحديث ذات اثر واقعی ووزن منطقی وانّما تقدّر وتبجّل وتجلّل بمقدار اتصالها بالواقع والأمام عليه السلام لم ينه واليه عن نقض السنن القديمة بما هی قديمة فانه لا وزن للقدم والحدوث فی الاشياء بما هما قدم وحدوث بل تلك السنن التی ايّدتها العقول المدربة والرجال المجربون فان لدربة العقول والتجارب قيمة فيما قامت عليه والی ذلك الاشارة بقوله عمل بها صدور هذه الأمّة ای اهل الحلّ والعقد والتجربة والعقل والتمرن ومثل هذه السنن لايجوز تحدّيها بما يناقضها ليقال من ذا قالها فان فی ذلك تخريبا للوضع المؤتلف وافسادا لامور الاجتماع وكل مخرب مفسد مبدع مضلّ عليه وزر من أضلّه وحرفه كما لا ريب فی ان المصلح اللاّم لشمل الناس مثاب مأجور ·

(٢) عظمة العالم ورفعة مقام الحكيم منشأهما تدريب عقولها وحنكّ

مشاعرهما ورياضة انفسهما على حلّ الصعوبات والمشكلات علمية كانت ام اجتماعية وعليه فلا ريب فی مقام اصلاح النفس فردا ومجتمعا من لزوم اكثار مدارسة العلماء ومسائلة الحكماء حتى تنضج العقول النيّة وتتنبه الأذهان العازبة وتستيقظ الافهام المنكمشة لنفسها واذا كان ذلك صلح امر الناس واستوسقت امورهم وعمرت البلاد وساد الأمن وكثر الأيمان بالمبادئ الصحيحة .

(الفصل العاشر) قوله عليه السلام :واعلم ان الرعية طبقات لا يصلح بعضها الاّ ببعض ولاغنى ببعضها عن بعض فمنها جنود اللّه ومنها كتّاب العامة والخاصة ومنها قضاة العدل ومنها عمّال الأنصاف والرفق ومنها اهل الجزية والخراج من اهل الذمّة ومسلمة الناس ومنها التجّار واهل الصناعات ومنها الطبقة السفلى من ذوى الحاجة والمسكنة وكلّ قد سمّى له اللّه سهمه ووضع على حدّه فريضة فی كتابه او سنة نبيّه(ص) عهدا منه عندنا محفوظا .

اقول نعم لا شكّ فی وجوب توزيع افراد المجتمع الى جهات المصالح العامّة القائمة بشؤن الحياة والكافلة لوجوه النظام حيث لا يستغنى وجه عن وجه ولا مصلحة عن مصلحة وامتياز هذه الطبقات من حيث الصلاحيات ضرورى لأدامة الحياة فی الجميع وهذا المعنى لا يعاند مساواة الجميع امام القانون العادل ولا التفاوت فی الحيثيات من جهة الأنسانية المطلقة ولا بدّ من الاعتراف بلزوم الأمتياز بين الفاضل فی الكسب والمفضول فأن الامور الكسبية هی مناط تقدّم البعض وتأخر البعض الآخر وتفاوت الناس نشيطا وكاسلا ساعيا وراكدا محصلا ومخلدا الى البطالة طالبا للشرف وطرقيا امر مشهود للجميع وعليه لا يتوقعن الكاسل ان يكون فی صفّ النشيط ولا الساعی مقارنا للراكد ولا المحصّل فی رديف المخلد الى

البطالة ولا طالب الشرف مساويا للطرقی وعلی مثل ذلك فما يرومه متنـوروا هذه العصور فيما يزعمون لانفسهم فی مستوی الثقافات من لزوم ايجـاد المساوات بين هذه الطبقات غلط واجحاف حتّی لو حققوه بحدّ السيف ·

والجهات التی اشرنا اليها واوجبنا توزيع الافراد حسب المصالـح عليها هی مصلحة الدفاع والقائمون بها هم الجنود والكتابة لضبط الشؤن العامة للعموم والخاصة لخصوص الأمراء وافراد الدولة والقائمون بهـا الكتّاب والقضاء فی الخصومات لأجل احقاق الحق بين الناس وابطـال الباطل والقائمون به القضاة والأشراف والتفتيش علی عمل الولاة والعمّال الفرعيّين والقائمون بذلك عمّال الانصاف والرفق وجباية المال لخزانـة الدولة سواء من اهل الذمة ام من المسلمين انفسهم والقائمون بها جباة الجزية والخراج والتجارات والصناعات والقائمون بها التجّـار واهـل الصناعات: والأشارة بالطبقة السفلی الی الفقراء والمساكين وليس المنظور بتسفلهم نزول درجتهم فی الحيثيات بل نزولها بحسب ما يلوح ويظهـر عليهم من تواضع اوضاعهم وقلة ذات ايديهم وكلّ من هـؤلاء الفقـراء والمساكين واليتامی وابناء السبيل والمغاريم والمماليك باضافة العاملين والمؤلفة قلوبهم الی غير اولئك قد سمّی اللّه له سهمه من بيت المال ووضع علی حدّه فريضة فی كتابه او سنة نبيّه(ص) كما هو مفصل فی ابواب الفقه ·

(الفصل الحادی عشر) قوله عليه السلام: فالجنود بأذن اللّه حصون الرعية وزين الولاة وعزّ الدين وسبل الأمن وليس تقوم الرعية الاّ بهـم ثـم لاقوام للجنود الاّ بما يخرج اللّه لهم من الخراج الذی يقوون به علـی جـهاد عدوّهم ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ويكون من وراء حاجتهم ثـم لاقوام لهذين الصنفين الاّ بالصنف الثالث من القضاة والعمّال والكتّـاب لما يحكمون من المعاقد ويجمعون من المنافع ويؤتمنون عليه من خـواص

الأمور وعوامّها ولا قوام لهم جميعا الاّ بالتجّار وذوى الصناعات فيما يجتمعون عليه من مرافقهم ويقيمونه من اسواقهم ويكفونه من الترفق بأيديهم مالا يبلغه رفق غيرهم ثم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم ومعونتهم وفى اللّه لكل سعة ولكل على الوالى حق بقدر ما يصلحه ٠

الامام عليه السلام فى هذا الفصل فهرس للأشتر ماأشار اليه اجمالا فيما سلف من طبقات الناس فبيّن له ان الجنود اذا اذن اللّه فى نصرهم يحصّنون الرعية من الذل وتشويش الامور والقلق والأزعاج كما يتحصن بالحصن صاحبه فيمنعه من غارة المغير ونهوم اهل السوء ويكونون زينة ومفتخرا ووسيلة عزّ وشرف للولاة وللدين وبهم يستقرّ الأمن ويسود الأطمئنان وتقوم امور الناس ثم لانظام للجند ولا قوام الاّ بالمال الذى يمون عوائلهم ويقيم اصلابهم ويقوّى قلوبهم ويشدّ ازرهم ويكون اداة جاهزة لحاضرهم وذخيرة لمستقبلهم :ويريد بالصنفين فى قوله عليه السلام ثم لاقوام لهذين الصنفين ــ الجنود وجباة الخراج ــ الاّ بالصنف الثالث من القضاة والعمّال والكتّاب امّا الحاجة الى القضاة فهى سارية فى كافة الافراد دولة وشعبا لانهم مرجع الخصومات واحقاق الحقوق ورفع المزاحمات واقرار العدل بين الناس عامة لسعة صلاحياتهم:وامّا العمّال الفرعيون المتوزعون على جهات مصالح المملكة فكذلك تدعو الحاجة الى كل واحد منهم بحسب ماانيط به من عمل ووظّف عليه من مهمّ ٠

وامّا الكتّاب للعامة والخاصة فهم الذين يدونون الحوادث والمجارى ويضبطون مايجب ان يعطى وما وصل الى مصرفه وسبيله وما الى ذلك : واحكام المعاقد هو ابرام القضايا المنعقدة فيما بين الخصوم واهل الحقوق وهو وظيفة القضاة وجمع المنافع انما يكون بوسيلة العمّال والذين

يؤتمنون عليه من خواص الامور وعوامّها هم الكتّاب واهل الدواوين ولاقوام لهؤلاء جميعا من جنود وجباة وقضاة وعمّال وكتّاب الاّ بالتجّار وذوى المهن والصناعات لأمرين (الأوّل) ان هؤلاء هم الركن الوثيق والجانب المهمّ اللذان تنبع منهما الأموال ويجمع من طريقهما المنال (والثانى) ان هؤلاء يهيئون مرافق المعيشة بشتّى انواعها من مأكول وملبوس ومكنّ ومسكن وأسلحة وأجهزة وما الى ذلك ويعرضونها فى متاجرهم فيستغنى بوجودهما الجاهز كلّ من الجندى والجابى والقاضى والعامل والكاتب عن تحصيلها بتعبه وكدّه وجدّه ان استطاع من طريقهما ان يحضرها ويحقّقها فان التجار واهل الحرف والصناعات يكفون اولئك من ترفقهم بأيديهم مالا يبلغه رفق غيرهم من جندى وغيره لان الجندى فاقد للصلاحية الموجودة عند التاجر وصاحب الحرفة لان شغل الجندى وراء ما يقوم به التاجر والصانع ولولا تمهيد هؤلاء وسائل المعيشة له لما استطاع ان يقوم بطرف ضئيل من مهمته قطعا.

وكل من سلف ذكره من جندى وجابى وقاضى وعامل وكاتب وتاجر وصانع قائمون بأشغال ايجابية يحقّق كل شغل منها مهمة من مهمّات الدولة والمجتمع لكنّ هناك طبقة قعد بها العجز عن ايجاب اعمال مثمرة من ناحية والجئها الى الأستعانة ببيوت الأموال لأقامة اصلابها من ناحية ثانية وهم الطبقة السفلى من اهل الحاجة والمسكنة الذين يحق رفدهم لعجزهم ومعونتهم لأعوازهم وفى اللّه لكل منهم سعة ولكل منهم على الوالى الذى هو خليفة الامام الشرعى حقّ بقدر ما يصلح شأنه ويرفع ضرورته.

(الفصل الثانى عشر) قوله عليه السلام فول من جنودك أنصحهم فى نفسك للّه ولرسوله ولأمامك وأنقاهم جيبا وأفضلهم حلما ممنّ يبطئ عن

الغضب ويستريح الى العذر ويرأف بالضعفاء وينبو على الأقوياء وممّن لا يثيره العنف ولا يقعد به الضعف .

وصف عليه السلام الذی يليق بولاية الجيش كله او فصيلة من فضائله بأوصاف يراها ضرورية اللزوم بأسرها ان امكن حصولها فی انسان (الوصف الأوّل) ان يكون ناصحا لدولته من صميم نفسه فانه ان لا يكن كذلك يغدر ويداهن ويتخذ المراوغة والخيانة شيمة لضميره لان رائد النصيحة هو الأخلاص وبدونه تجیء هذه الهناة الى الميدان (الثانی) ان يكون نظيفا غير طمّاع فان الطمع يقود الى الاستخذاء فضلا عن الأرتشاء وكل منهما يقود الى الخيانة (الثالث) ان يكون ذا حوصلة واسع الصدر حليما لان العجول الغضوب يقع ويوقع فی مهالك غير مبرّرة (الرابع) ان يكون كريما اريحيا يقبل العذر المقبول والاّ ضغط على الناس ضغطا غير مشروع (الخامس) ان يكون رؤفا بالضعفاء مسعدا لهم لامشتطا بهم فان الأشتطاط يفرق الجماعات ويضع من مستوى الحياة (السادس) ان لا يقع تحت تأثير الأقوياء فأنّه ان وقع تحت نفوذهم لم يدرك بغيته من مأموريته ولا بلغته من وظيفته لان القوىّ يريد ان يتصرف طبق هواه ولا يهمّه من مصالح الغير دولة وشعبا اقلّ شیء (السابع) ان لا يعطی نفسه لغيظه فأنّ ذلك يوقعه فی ندامات لا تتدارك (الثامن) ان لا يهن ولا يضعف ولا يحسب للأحتمالات حساب الهائب الوجل فان ذلك يرخی من عزمه ويفلّ من حدّه ويضعّف من قواه .

(الفصل الثالث عشر) قوله عليه السلام :ثم الصق بذوی الأحساب واهل البيوتات الصالحة والسوابق الحسنة ثم اهل النجدة والشجاعة والسخاء والسماحة فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف ثم تفقّد من امورهم ما يتفقد الوالد ان من ولدهما ولا يتفاقمنّ فی نفسك شیء قويّتهم

به ولا تحقّرن لطفا تعاهدتهم به وان قلّ فانه داعية لهم الى بذل النصيحة وحسن الظن بك ولا تدع تفقّد لطيف امورهم اتكالا على جسيمها فان لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه ·

هذا الفصل تابع للفصل السابق وبسط لمن يليق ان يولّى رئاسة الجيش كله او قسم منه :الحسب هو شرف الأفعال وشريف الخصال ممّا يكسبه الانسان لنفسه من الحلم والكرم والوفاء والحياء وما الى ذلك ولا ريب ان من يكون كذلك هو أولى بأن يتخذ قرينا فی الصحبة لصيقا فی المعاشرة :والنسب بمفرده اذا لم يشفع بخلال الخير لا قيمة له وهكذا اعتبره الأمام فانه وصف البيوتات بالصلاح ولا شكّ ان الأهل الصالحين لا يرضون من ابنائهم الاّ الصالح ويتناءون عن الفرد الطالح لانه على خلاف رويتهم :وحسن السابقة ملاك معقول بالنسبة الى من يتخذه وليجة لنزاهته فان تغيّر الانسان من حسن الى سيء امر معقول فی نفسه الاّانه يحتاج الى طول زمان وعروض مغيّرات :والنجدة والشجاعة والسخاء والسماحة مقرونات فی قرن فانه قلّ ان يكون السخيّ بنفسه على الموت بخيلا على درهمه وهی من خيره الخلال فان الشجاع لا يذل ولا يستذل والسخيّ مرموق فی الأنظار بالأحترام والأكبار والى هذا الأشارة بقوله عليه السلام فانهم جماع من الكرم وشعب من العرف اى المعروف :ولا شكّ ان الوالی الموفق بمنزلة الوالد الشفيق على صلاح اولاده وتقدمهم وترقيهم فكما يتخلّى الوالد حتى عن نفسه فی جملة من احيانه الى تفقد اولاده والنظر فی شؤنهم كذلك يجب على الوالی ان يتفقد جيشه وجنده الذی هو عزّه وبه مناط شرفه وبقاء حكومته وضمان حياة افراده المولّى عليهم وأوصاه ان لا يعظم فی عينه او نفسه شيء قوّى به جيشه فان المعونة المثمرة مهما عظمت قيمتها لا يجوز ان تقف فی النفس وتعترض امام العين

لأنها اثمرت ولم تعقم كما أوصاه ان لا يحتقر القليل من اللطف يتعاهدهم به فان القليل فی حدّ نصابه له وزنه مضافا الی انّ تعاهدهم بالقليل والكثير على طول الخط داعية لهم الی بذل النصيحة له وحسن الظن به وانّه وال مشفق لادجّال مرموز متحيّز وفی ختام الفصل شرح له ماأجمله له فی هذه العبارات بقوله ولا تدع تفقّد لطيف امورهم اتكالا على جسيمها فان لليسير من لطفك موضعا ينتفعون به على قلّته وللجسيم موقعا لا يستغنون عنه فی وقته ولكلّ اثر ونفع ٠

(الفصل الرابع عشر) قوله عليه السلام: وليكن آثر رؤوس جندك عندك من واساهم فی معونته وأفضل عليهم من جدته بما يسعهم ويسع من وراءهم من خلوف اهليهم حتّى يكون همّهم همّا واحدا فی جهاد العدّو فان عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك وانّ افضل قرّة عين الولاة استقامة العدل فی البلاد وظهور مودّة الرعية وانه لا تظهر مودتهم الاّ ببسلامة صدورهم ولا تصحّ نصيحتهم الاّ بحيطتهم على ولاة الأمور وقلة استثقال دولهم وترك استبطاء انقطاع مدّتهم فافسح فی آمالهم وواصل فی حسن الثناء عليهم وتعديد ماأبلى ذووا البلاء منهم فان كثرة الذكر لحسن لفعالهم تهزّ الشجاع وتحرّض الناكل ان شاء اللّه ٠

اوصاه عليه السلام ان يكون أقرب رؤساء الجيش عنده وآثرهم لديه ذاك الرئيس الذی يواسی من تحت يده بمعونته ويفضل عليه من جدته وليس المنظور ان القوّاد يعطون ذلك من اموالهم الأختصاصية فان مثل هذا التكليف غير مقدور الأداء من مال شخصی لانسان ومهما بلغ فی تموّله وتمكّنه كما انه لا يقوم به ایّ انسان يفرض بل المنظور ان الرئيس يجب ان يطيعه الوالی ويطاوعه فی تقدير من يستحق التقدير من الجند باعطائه من بيت المال زائدا على مقرره تشجيعا له بأيعاز من رئيسه

الذی هو مظنة اختباره وامتحانه والوقوف على كوامنه ودخائل قلبه وانما يعطيهم من جدته بما يسعهم ويسع من ورائهم ممّن يخلفونه من عوائلهم فی مواطنهم حتى يكون همّهم همّا واحدا غير متشطر ولا منشعب فی جهاد العدوّ فان عطف الوالی عليهم باستجابته لرؤسائهم ممّا يوجب عطف قلوبهم عليه ويجب ان يكون افضل قرّة عين الولاة استقامة العدل فی بلادهم وحوزة ولا يتهم وظهور مودة الرعية لهم على جوارحهم الحاكية عمّا تكنّه جوانحهم ولا تظهر مودّتهم الآ بسلامة صدورهم لأن الحبّ والبغض مقرّهما القلب والأعضاء اقبالا وادبارا منبعثة عنه وتابعة له .

ولا تصحّ نصيحتهم الآ بحيطتهم على ولاة الأمور لأنهم متى حاطوا ولاتهم أشعر ذلك عن صحة نصيحتهم وقلة استثقالهم لدولهم الحاكمة لهم وترك استبطاء انقطاع مدّتهم فان من يستبطأ انقطاع مدة حكومته يشعر بمله لها وكرهه ايّاها ومن هنا يجب على الوالی ان يفسح فی آمال جنده وعموم رعاياه ويواصل فی حسن الثناء عليهم لقيامهم بأوامره ووصاياه ويعدّد ما أبلى ذووا البلاء منهم ويذكره فی المحافل والمجارى فان كثرة الذكر لحسن أفعالهم وجليل أعمالهم تهزّ الشجاع منهم وتحرّض الناكل فيكرّ على مافرّ منه ان شاء الله تعالى .

(الفصل الخامس عشر) قوله عليه السلام ثم اعرف لكل امرئ منهم ماأبلى ولا تضيفنّ بلاء امرئ الى غيره ولا تقصرّنّ به دون غاية بلائه ولا يدعونّك شرف امرئ الى أن تعظّم من بلاءه ماكان صغيرا ولا ضعة امرئ الى ان تستصغر من بلائه ماكان عظيما :وارد الى الله ورسوله مايضلعك من الخطوب ويشتبه عليك من الأمور فقد قال الله تعالى لقوم احبّ ارشادهم (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولی الأمر منكم فان تنازعتم فی شیء فردّوه الى الله والرسول) فالرّد الى الله الأخذ

بمحكم كتابه والردّ الى الرسول الأخذ بسنّته الجامعة غير المفرقة ·

فههنا نكتتان مهمتان :

(١) حذره من متابعة الميول الفارغة والعناوين الكاذبة وأوصاه ان يزن كل انسان بما يضعه هو في كفة ميزان نفسه كائنا من كان في نسبه وعنوانه بين الناس فلم يجز له أن يطرى قليل المنّة لارتفاع عنوانه بين الناس لنسبه او لماله او لسائر السمات الفارغة من المنطق بأكثر ممّا انتج وأعطى وأن يثنى على عظيم المنفعة لتواضع نسبه ونكران سمعته وضآلة شخصيته بأدون ممّا اتى كما أوصاه أن لا يضيف بلاء انسان الى غيره مداهنة في الحق فان ذلك كله ظلم وافساد وتضييع للحقوق ·

(٢) وحذّره ايضا من التهجم والتطفل على مالا يعلم ممّا يضلعه من الخطوب ويشتبه عليه من الأمور واوجب عليه في مثل هذه المظانّ المحرجة الرجوع الى محكمات الكتاب وواضحات الخطاب نظير وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا والاخذ بسنة الرسول غير المختلف فيها ولم يجز له التحكم في المتشابهات من الذكر الحكيم والمختلف في صحته من السنة فان التحكم في ذلك نظير ارتجال الأحكام والفتوى بها عن جهل وكل ذلك غير جائز في منطق العلم ·

(الفصل السادس عشر) قوله عليه السلام : ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممنّ لا تضيق به الأمور ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزلّة ولا يحصر من الفيء الى الحقّ اذا عرفه ولا تشرف نفسه على طمع ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه وأوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج وأقلّهم تبرما بمراجعة الخصم وأصبرهم على تكشف الأمور وأصرمهم عند اتضاح الحكم ممنّ لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء واولئك قليل ·

القضاء بالعدل أثقل مأمورية من مأموريّات الدولة وأهمّ مصلحة من

مصالح الاجتماع البشرى كل ذلك لسعة أطاره فى امور الناس وحساسية موقعه من حقوقهم ولذلك وصف عليه السلام القاضى بانه يجب ان يكون من افضل الناس ممّن لا يقصر به علمه عن حلّ القضايا الواردة عليه وأن لايضيق به حلمه فتأخذه العزة بالأثم فيلجّ مع الخصوم ويتمادى فى غيّه وزلّته من ضعف دينه وقلة ورعه ويقف عند الباطل تعنتا بمقامه فلايرجع الى الحق اذا عرفه من طريق اعتزازه بذاته اكثر من تقديره للحق وتقديسه للواقع وأن لاتميل به الأطماع عن الشرف اللازم لمقامه الى الشهوة القائمة بذاته وأن لا يعجل فى بتّ القضايا فيكتفى بأدنى فهم دون أقصاه وأن لا يتسرع فى ابرام حكمه قبل أن تنجلى له الشبهة وينكشف له اللبس بل يكون اوقف الناس عند الشبهة حتّى تنحلّ وعند اللبس حتّى ينكشف وان يكون اكثر من غيره قبولا للحجة اذا قامت عنده وللدليل اذا اتضح له واقلّ الناس ضجرا من مراجعة الخصوم ايّاه وأصبرهم فى البحث والتدقيق عن الأمور حتى تستبين لديه وتقوم الحجة عليه وأن لا يتشكك فى حكمه بعد استقرار علمه وثبات فهمه وان لا يكون ممنّ يزدهيه الأطراء يساق له ولا يستميله التجليل والتبجيل فيغريه ومع هذا الملاك وضرورة اخذه فى القاضى يقلّ وجوده بين الناس وفعلا هو قليل فى افراد البشر منذ السابق وامّا مع سيطرة الماديّات على الوضع البشرى العام فهذا القليل مفقود لاوجود له ولذلك أصبحت دور القضاء أخسّ من دور الفحشاء لأنّها تضرّ ولا تنفع وتبطل الحق وتحقّ الباطل وتفسد ولا تصلح وتوسّع دائرة الخصومات ولا تضيّقها وقس على ذلك من رديف الباطل كل ماكان على طرازه .

(الفصل السابع عشر) قوله عليه السلام: ثمّ أكثر تعاهد قضائه وافسح له فى البذل مايزيل علّته وتقلّ معه حاجته الى الناس وأعطه من المنزلة لديك مالا يطمع فيه غيره من خاصّتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك

فانظر فی ذلك نظرا بليغا فأن هذا الدين قد كان أسيرا فی ايدی الأشرار يعمل فيه بالهوی وتطلب به الدنيا ٠

اوصاه عليه السلام حتّی مع اختياره للقاضی الجامع للشرائط أن يكثر من تعاهد قضائه وحكوماته تثبتا من عمله وتحققا من ولايته وتيقنا ممّا يزاوله من امور الناس وأن يوسع له فی رزقه حتّی تطيب نفسه وترتفع حاجته ويعود مكفیّ جميع المؤونات حتی لا يعلق نظره بما فی ايدی الناس وأن يرفع مقامه لديه حتّی يحذر السعاة من الوشاية به والحطّ من كرامته حسدا له واطاحة بشأنه وأكّد عليه ان ينظر فی هذه المطالب نظرا بليغا ويتحمل فيها مؤونة النظر ولو كانت شاقّة لان الأمام عليه السلام يعتبر ان كل قضاء كان قبله لم يكن علی الطريقة المثلی وان الدين كان اسيرا فی ايدی الاشرار يعمل فيه بالهوی وتطلب به الدنيا ٠

(الفصل الثامن عشر) قوله عليه السلام: ثم انظر فی امور عمّالك فاستعملهم اختبارا ولا تولّهم محاباة واثرة فأنّهم جماع من شعب الجور والخيانة وتوّخ منهم اهل التجربة والحياء من اهل البيوتات الصالحة والقدم فی الأسلام المتقدمة فأنهم اكرم أخلاقا وأصحّ اعراضا واقلّ فی المطامع اشرافا وابلغ فی عواقب الأمور نظرا ثم أسبغ عليهم الأرزاق فأن ذلك قوة لهم علی استصلاح انفسهم وغنی لهم عن تناول ماتحت ايديهم وحجة عليهم ان خالفوا امرك او ثلموا امانتك ثم تفقّد أعمالهم وابعث العيون من اهل الصدق والوفاء عليهم فانّ تعاهدك فی السّر لأمورهم عدوة لهم علی استعمال الأمانة والرفق بالرعيّة وتحفظ من الأعوان فأن احد منهم بسط يده الی خيانة اجتمعت بها عليه عندك اخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبة فی بدنه واخذته بما أصاب من عمله ثم نصبته بمقام المذلة ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة ٠

اوصاه علیه السلام بالنسبة الی عمّاله الفرعیین الذین یعملون له فی أطراف مناطق ولایته ان یستعملهم بعد الاختبار ویولیهم اعماله بعد التجربة والأمتحان وان لا یکون استعماله عن مداهنة ومحاباة واثرة وعاطفة فأن العاملین لاعن صلاحیة واقعیة فی انفسهم جماع من شعب الجور والخیانة والظلم لحقوق الناس والهضم لأمورهم فاللازم ان یتوخی الأئسان منهم المجرّبین فی انفسهم المجربّین للاوضاع العارفین بأمور الاجتماع الذین هم من اهل الصلاح او البیوتات الصالحة فان تربیة البیت الصالح لأفراده لاتعدم اثرها فی الأعمّ الأغلب والذین لهم قدم فی الأسلام متقدمة وسابقة فی الدین حسنة فان امثال هؤلاء یکونون اکرم أخلاقا وأصحّ أعراضا وانقی جیوبا وأطهر قلوبا واقلّ فی المطامع اسرافا واکثر فی الرعیة الطافا وابلغ فی عواقب الامور نظرا وأبعد عن الخطأ عملا وأوفاهم فیه حذرا لا یؤتون من طریق البساطة ولا یؤخذون عن غفلة اوجهالة ثم یجب علیك بعد ان تستبطنهم خبرا ان تسبغ علیهم الأرزاق حتی یلزموا العفة عملا کما اتخذوها لأنفسهم شعارا فان ذلك قوة لهم علی استصلاح انفسهم وغنی لهم عن تناول ماوراء سعتهم ممّا هو تحت ایدیهم من اموال الناس والدولة وحجة تلزمهم ان خالفوا امرك فخانوا او ثلموا امانتك ولم یفوا ومع ذلك یلزمك ان تتفقد أعمالهم بنفسك وان تبعث العیون من اهل الصدق معك علیهم لیترصدوا من قریب او بعید أعمالهم وینظروا افعالهم فأن تعاهدك لأمورهم فی السرّ من حیث لا یشعرون حاجز لهم عن الخیانة وباعث علی استعمال الامانة والرفق بالرعیة والصدق فی المأمورية وتحفّظ ممنّ هو فی ظاهره عون لك فأن احد منهم بسط یده الی خیانة شهد بها عیونك اکتفیت بذلك شاهدا علیه فبسطت یدك فی عقوبته واخذته بما أصاب من الخیانة فی عمله ثم نصبته بمقام المذلّة وأسقطته من رجال الدولة

ووسمته بالخيانة وقلدته عار التهمة وتضييع الأمانة .

(الفصل التاسع عشر) قوله عليه السلام :وتفقّد امر الخراج بما يصلح أهله فان فى صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم ولا صلاح لمن سواهم الاّ بهم لان الناس كلهم عيال على الخراج واهله وليكن نظرك فى عمارة الأرض أبلغ من نظرك فى استجلاب الخراج لان ذلك لا يدرك الاّ بالعمارة ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ولم يستقم أمره الاّ قليلا فأن شكوا ثقلا او علة او انقطاع شرب او بالّة او احالة ارض اغتمرها غرق او أجحف بها عطش خففت عنهم بما ترجو ان يصلح به أمرهم ولايثقلنّ عليك شيء خففت به المؤونة عنهم فانه ذخر يعودون به عليك فى عمارة بلادك وتزيين ولا يتك مع استجلابك حسن ثنائهم وتبجحك باستفاضة العدل فيهم معتمدا فضل قوّتهم بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم والثقة منهم بما عودتهم من عدلك عليهم فى رفقك بهم فربّما حدث من الأمور ما اذا عولّت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبة انفسهم به فأن العمران محتمل ماحملّته وانّما يؤتى خراب الأرض من اعواز أهلها وانّما يعوز اهلها لأشراف انفس الولاة على الجمع وسوء ظنّهم بالبقاء وقلة انتفاعهم بالعبر .

أوصاه عليه السلام ان يتفقد امر الخراج وهذه الكلمة كما تتناول اخذ المال بعنوان الخراج تتناول نفس الأراضى الخراجية فأنّ تفقد الوالى لازم للطرفين لارتباط احدهما بالآخر فلولا العمران لما تهيأ الخراج واهمال استيفاء الخراج من اهله يوجب تعطيل امور الدولة وضمير اهله ـ فى قوله عليه السلام بما يصلح اهله ـ يرجع الى الخراج بمعناه الواسع الذى اسلفناه ـ ولذلك قال فان فى صلاحه :اى الخراج نفسه :وصلاحهم اى صلاح اهل الخراج :صلاحا لمن سواهم من سائر طبقات الأمة ولا

صلاح لمن سواهم الاّ بهم لان عالم الزراعة ما بين كافة المهن والأشغال عالم له شأنه ولذلك يصحّ ان يقال ان الناس كلّهم عيال على الخراج واهله ثم شرح له مجمل ماأسلفه بقوله وليكن نظرك فى عمارة الأرض واصلاحها للأنتاج ابلغ من نظرك فى استجلاب الخراج واخذه لان وفرة الدخل منوطة بالعمران ومن طلب الخراج والأستثمار بغير الأعمار اخرب البلاد باستثقال اهلها للضرائب الموجب لتركهم عمارة الأرض وانصرافهم عن مزاولة الزراعة هذا مضافا الى انه يجب عليك ان رأيتهم شكوا ثقلا من الضريبة او علة فى الزراعة او انقطاع شرب عنها او بالّة لها او احالة ارض اغتمرها غرق فلم تزرع او مات زرعها او اجحف بها عطش كذلك ان تخفف عنهم بما ترجو أن يصلح به امرهم ولا يثقلنّ على عاطفتك شيء يكون به تخفيف المؤونة عنهم وتقليل الأثقال على عواطفهم فان ذلك يكون ذخرا لك عندهم يعودون به عليك فى عمارة بلادك وتوفير بيوت اموالك وتزيين ولايتك بالعدل وحسن السيرة مع استجلابك حسن ثنائهم وانعطاف قلوبهم وتبجحك انت باستفاضة العدل فيهم واجراء الأحسان بينهم واليهم معتمدا لمستقبلك فضل قوّتهم بما ذخرت عندهم من اجمامك لهم وترحمك بهم وانعطافك عليهم كما تحصل لك الثقة منهم بما عوّدتهم من عدلك عليهم ورفقك بهم ومن فوائد ذلك انه ربّما يحدث لك من الامور ما اذا عولّت فيه عليهم من بعد احتملوه لك مع طيب انفسهم به فان العمران محتمل ماحمّلته وانما يكون خراب الأرض من اعواز اهلها وقلة مافى أيديهم وداعى الأعواز وباعث الفقر اصرار الولاة على جمع المال وسوء ظنّهم بالمستقبل وقلّة انتفاعهم بالعبر والعظات .

(الفصل العشرون) قوله عليه السلام :ثم انظر فى حال كتّابك فوّل على امورك خيرهم واخصص رسائلك التى تدخل فيها مكائدك وأسرارك

بأجمعهم لوجوه صالح الأخلاق ممنّ لا تبطره الكرامة فيجترئ بها عليك فى خلاف لك بحضرة ملأ ولا تقصر به الغفلة عن ايراد مكاتبات عمّالك عليك واصدار جواباتها على الصواب عنك فيما يأخذ لك ويعطى منك ولا يضعّف عقدا اعتقده لك ولا يعجز عن اطلاق واعقد عليك ولا يجهل مبلغ قدر نفسه فى الامور فأن الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل ثم لايكن اختيارك ايّاهم على فراستك واستنامتك وحسن الظنّ منك فان الرجال يتعرفون لفراسات الولاة بتصنّعهم وحسن خدمتهم وليس وراء ذلك من النصيحة والأمانة شئ ولكن اختبرهم بما ولّوا للصالحين قبلك فاعمد لأحسنهم كان فى العامّة اثرا وأعرفهم بالأمانة وجها فأن ذلك دليل على نصيحتك للّه ولمن ولّيت أمره واجعل لرأس كل أمر من امورك رأسا منهم لا يقهره كبيرها ولا يتشتت عليه كثيرها ومهما كان فى كتابك من عيب فتغابيت عنه الزمته ٠

ثم ألفت نظر واليه الى حال الكتّاب الذين يقومون بواجب التدوين فى دواوين الدولة العامّ منها والخاص فأوجب عليه ان يولّى امور كتابته خيرهم ممنّ يغمره الصلاح ويتباعد عن الأنحراف وألزمه ان يختار لكتابة سرّه ودفائن قلبه ممّالا يجوز اطلاع الأغيار ولا سواد الناس عليه أجمع كتّابه للأخلاق الصالحة من امانة وعفة وكتمان سرّ ووفاء ومتانة وكياسة بحيث لا تبطره الكرامة التى ينالها من الوالى ازاء وظيفته فتوجب جرأته عليك بالمخالفة لك حتّى فى ملأ الناس ادلالا بمقامه واعتزازا بمكانته وان يكون متيقظا بحيث لا يغفل ايراد مكاتبات عمّالك عليك وعرضها بين يديك وايقافك على مضامينها والقيام بأصدار جواباتها اليهم على وجه الصواب معبّرا عن لسانك اتمّ تعبير فيما يأخذ لك منهم ويعطيهم منك وأن يكون سنادا لك وقوة لظهرك ومعززا لأمرك فلا يضعّف عقدا اعتقده لك مع غيرك بل يقوّيه ويحكمه ويشيّده ويبرمه وان لا يعجز عن اطلاق ماعقد عليك وايضاح

ما استبهم لديك وابانة ما اجملته وتفصيل ما اختصرته وان لا يتعالى بنفسه فوق حدودها فيرى من هو ارفع منه لاعتزازه بنفسه اقلّ وأدون فيرتكب من جرّاء ذلك محاذير يشق عليك رفعها ومشكلات يعزّ حلّها فان الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل لان الجهل ظلمة تغمر روح الجاهل فتصيّره أعمى حتى عن معرفة نفسه فضلا عن استبانة هوية غيره واوصاه ان لا يكون اختياره للكتّاب الذين يتولون امور دواوينه عن فراسة سطحية واستنامه الى توصية غير محقّقة وحسن ظنّ مجرد وعلّل ذلك بأن الرجال المحتالين لا يفقدون الرموز التى تبعثهم الى التصنع امام المقتدرين ليجلبوا بذلك مرضاتهم ويجوزوا ثقتهم فى حال انهم لا يملكون وراء هذه المصانعات الجوفاء والمداهنات الكاذبة نصيحة لك فى الواقع ولا امانة لعملك فى القول والعمل وليكن اختبارك لهم بحسن سوابقهم عند الولاة الصالحين الذين سبقوك فى الولاية وتقدموك فى استخدام الكتّاب الذين شرحنا لك ملاك صلاحياتهم فاعمد لأحسن من كان محسنا للعامة حسن الوقع عندهم جميل الأثر بينهم وكان اعرف الكتّاب بالأمانة وجها فأن تحريّك هذا دليل على نصيحتك للّه ولمن وليّت أمره واجعل لرأس كلّ أمر من امورك وكل شأن من شؤنك فى الكتابة رأسا من الكتّاب لا يضعف عن تحمّل كبيرها ولا يتشتت بباله امر كثيرها ثم ختم الفصل بأنّه مهما كان فى كتّابه من عيب وقف عليه ثم تغابى عنه لزمته مسؤليته وباء بأثمه .

(الفصل الواحد والعشرون) قوله عليه السلام :ثم استوص بالتجّار وذوى الصناعات وأوص بهم خيرا المقيم منهم والمضطرب بماله والمترفق ببدنه فانّهم موادّ المنافع وأسباب المرافق وجلاّ بها من المباعد والمطارح فى برّك وبحرك وسهلك وجبلك وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها ولا يجرأون عليها فانهم سلم لا تخاف بائقته وصلح لا تخشى غائلته وتفقد امورهم

بحضرتك وفي حواشي بلادك واعلم ـ مع ذلك ـ أنّ في كثير منهم ضيقا فاحشا وشحّا قبيحا واحتكارا للمنافع وتحكّما في المبايعات وذلك باب مضرّة للعامة وعيب على الولاة فامنع من الأحتكار فان رسول اللّه منع منه وليكن البيع بيعا سمحا بموازين عدل وأسعار لا تجحف بالفريقين من البائع والمبتاع فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكّل به وعاقبه في غير اسراف .

استوص معناه اقبل الوصية والتجّار هم الباعة والشراة للكسب واهل الصناعة هم الفنّانون بسيطة كانت فنونهم ام ذات أهميّة واوص بهم خيرا اى اوص عمّالك الذين هم دونك في العمل وفروعك في الولاية والمضطرب بماله هو الدوّار بتجارته والمترفق ببدنه هو الذى يهيأ المرافق بكدّه وجهده وعمل عضلاته واستخدام جوارحه ـ فانهم ـ اى التجار واهل الصناعات والاعمال مواد منافع الناس من عدة جهات (الأولى) ان المشار اليهم بالوصايا الآنفة الذكر يهيؤن المنفعة لغيرهم ممنّ لم يمتهن التجارة والصناعة والعمل ويسهّلون مرافق العيش لهم ولو في قبال اثمان تبذل في مقابلها (الثانية) ان المذكورين لا يستطيعون العمل الاّ باستخدام عمّال يشتغلون بين ايديهم وعلى سعة شغلهم في التجارات والصناعات والمهن يتسع استخدامهم للعاملين فربّ تاجر واحد يقوم بتشغيل جماعات من الناس وربّ صاحب مصنع يستخدم مئآت من العاملين وقس على ذلك (الثالثة) ان هؤلاء اذا درّت ارزاقهم تستفيد منهم الدولة والأمة استفادات جمّة فالدولة تأخذ حقّها من الضرائب والأمة تستفيد من المحسن المتدين منهم لضعفائها وفقرائها وعجزتها نظيرا من ذلك : واصولا ركيزة الدين قائمة على المتمولين المتدينين من التجار واهل الصناعات .

وأسباب المرافق :معناه انهم يسبّبون بتجاراتهم وصناعاتهم واعمال

أبدانهم ما يحصّل رفق الناس بما يحتاجونه فى قطع اشـــواط الحيـــاة والجلّاب جمع جالب اى انهم يوردون المرافق من اماكن بعيدة ومن قارات منشمرة :والمطارح عطف تفسير على المباعد وبمعناها :وحيث لا يلتئم الناس لمواضعها :معناه ان هذه المرافق المتشتتة المنفعة لا يستطيـــع اهـــل الحاجة اليها من الناس ان يأتلفوا بجماعتهم ويذهبوا ورائها ويجلبوهـــا من مطارحها ويأتوا بها الى منازلهم للأرتفاق بها كما لاجرأة لهم علـــى ذلك فان المطارح والمباعد من السهول والجبال والأراضى والبحار فيهـــا من المشاقّ والزحمات مالا يوصف هذا مضافا الى انّ صنف الكسبة عمومـــا لانشغالهم بكسبهم مأمونة بوائقهم لا يخاف منهم انتكاث ولا انقـــلاب ولا تهييج عواطف فى الأعم الاغلب :ومعنى بحضرتك هو حضورهم عندك وفـــى بلد اقامتك وحواشى البلاد اطرافها .

ثم ألفت عليه السلام نظره فى مقابل الأيصاء بهم والعطف عليهم الـى نكتة دقيقة لا يجوز اغفالها فى كل آن وتلك النكتة هـــى ان هـــؤلاء المذكورين يوجد فى كثير منهم ضيق فى المعاملة فاحش وشحّ مع النـــاس قبيح واحتكار للمنافع شنيع وتحكّم فى البياعات بمقدار ما يسوق اليه الجشع والطمع غير المحدودين وذلك باب مضرّة للعامة بالغبن الفاحش الـــذى يلاقونه فى معاملاتهم مع هؤلاء الكسبة وعيب على الولاة بتهجم المذكورين على الباقين من طريق تجاراتهم وصناعاتهم ورفع مستوى قيمها الى حـــدود فاحشة الارتفاع ولا يكون معقّب لهم على ذلك وكابح لجماحهم ومحـــدّد لأسعارهم :فامنع من الاحتكار والضنّة والشحّ بالامتعة فان رسول اللّه منع عنه تبعا للوجدان الأنسانى والحكم الربّانى وليكن البيع بيعا سمحا لاعنف فيه من البائع على المشترى بموازين عدل لا تطفيف فيها وأسعار لا تجحف بالفريقين باعة وشراة فمن قارف حكرة بعد نهيك اياه فنكّل بمتاعه توثبا على الناس واقتناصا

لضرورتهم وارصادا لضائقتهم بعد نهيك ايّاه عن ذلك فنكّل به وعاقبه عقابا يتكافئ مع جريمته فى غير اسراف فان الأسراف فى العقاب جرم .

(الفصل الثانى والعشرون) قوله عليه السلام :ثمّ اللّه اللّه فى الطبقة السفلى من الذين لاحيلة لهم من المساكين والمحتاجين وأهل البؤسى والزمنى فان فى هذه الطبقة قانعا ومعتّرا واحفظ للّه ما استحفظك من حقّه فيهم واجعل لهم قسما من بيت مالك وقسما من غلّات صوافى الأسلام فى كل بلد فان للأقصى منهم مثل الذى للأدنى وكلّ قد استرعيت حقّه فلا يشغلنك عنهم بطر فانك لاتعذر بتضييعك التافه لأحكامك الكثير المهمّ فلا تشخص همّك عنهم ولا تصعّر خدك لهم وتفقّد امور من لا يصل اليك منهم ممنّ تقتحمه العيون وتحقره الرجال ففرّغ لأولئك ثقتك من اهل الخشية والتواضع فليرفع اليك امورهم ثم اعمل فيهم بالأعذار الى اللّه يوم تلقاه فأن هؤلاء من الرعية احوج الى الانصاف من غيرهم وكلّ فأعذر الى اللّه فى تأدية حقه اليه وتعهّد اهل اليتم وذوى الرقّة فى السنّ ممّن لاحيلة له ولا ينصب للمسألة نفسه وذلك على الولاة ثقيل والحقّ كلّه ثقيل وقد يخفّفه اللّه على اقوام طلبوا العاقبة فصبروا أنفسهم ووثقوا بصدق موعود اللّه لهم .

نصب لفظ الجلالة المكرّر على المفعولية لفعل محذوف تقديره راع اللّه فى الطبقة السفلى وتكرير لفظ الجلالة للتأكيد فى الحضّ على المراعاة المذكورة وقد اسلفنا ان المنظور بتسفّل طبقة المساكين ليس هو الأنحطاط المعنوى فى القيم والشخصيات بل المنظور تسفّلهم من وجهة الماديّات لقلة مافى ايديهم منها :وأهل البؤسى هم اهل الضائقة والشدّة والزمنى هم المرضى والقناعة فى المسكين تشعر بتعففه والمتعفف لا يسأل بيده والاعتزار من طريق اشتقاقه يشعر بالتقدم وقلة الحياء نسبة ماوهو

یفید ان المنظور به هو الذی یسأل بیده .

أوصاه علیه السلام مکررا مؤکدا بطبقة المحاویج من الناس الذین لزمتهم الحاجة من فقد ان الوسیلة الضامنة للمعیشة بسبب عجز فی البدن او کبر فی السنّ او مرض فی الجسم ونظیر ذلك وذکر له انّ هذه الطبقة الضعیفة بین متکفف وبین سائل بیده فیلزمه ان یحفظ اللّه فیهم وفیما استحفظه من حقّهم وان یجعل لهم قسما من بیت المال وقسما من غلّات اراضی الخراج التی اغتنمها الأسلام فکانت رصیدا لاحتیاجات المسلمین وان یلحظ الأباعد منهم فی الدیار کما یلحظ القریبین منه فان البعید فی داره کالقریب فی مزاره له حقّه الثابت وواجبه اللازم والوالی قد استرعی حقوق الطرفین علی حدّ سواء فان البعید القاصی من الرعیة حقّه من القانون کحق القریب لا یتفاوتان فی قلیل ولا کثیر منه وان لا یشغله عن القیام بواجب ذلك بطر النعمة والولایة فانه حتّی مع احکامه الکثیر المهمّ من امور سیاسته وابرامه المسائل الوزینة من قضایا رعیّته لا یعذر فی تضییعه للتوافه واعراضه عن الحلول البسیطة فان لکل من ذاك وهذا موقعیة لا یجوز تخطّیها ولا یغتفر تعدّیها وعلیه فلا یشخص همّه عنهم ولا یتباعد بتوجهه منهم ولا یتکبر علیهم ولا یصعّر خدّه لهم وأوصاه ان یتفقد امور من لا یستطیع الوصول الیه من هؤلاء الضعفاء ممنّ تنفذ فیه العیون ولا تحسر عنه لضوءولة مقامه وتحقره الرجال بعدم احترامه وان یفرّغ لهؤلاء الضعفاء من یثق به من اهل الخشیة والتواضع لیتصل بهم ویحسن الاستماع الی موارد حاجتهم وما أهمّ بهم من مشکلاتهم فایرفع الیه امورهم ویعرض بین یدیه حاجاتهم ثم یعمل فیهم بما لا یبقی معه سؤال علیه من اللّاحین یلقاه فأن هذه الطبقة من الذین لاحیلة لهم احوج من کل احد الی الأنصاف والتوجه والأحسان والتلطف وکل من هؤلاء وغیرهم من

الطبقات يجب على الوالى الأعذار الى اللّه فى تأدية حقّه اليه على الأخص اهل اليتم الذين فقدوا كفلائهم وذوى الرقّة الذين دقّت عظامهم ونحفت جسومهم وعطّلت قواهم :وطبعا ان الوصية بذلك كله ثقيلة على الولاة لتعدد المسؤليات وتوفر الوظائف بها عليهم واصولا الحقّ كلّه ثقيل فى الشدة والرخاء والسعة والبلاء لكنّ اللّه سبحانه يخففه على المتقين الذين يؤمنون به ايمان ايقان ويثقون بصدق وعوده للابرار وجزاءه الأوفى للأطهار .

(الفصل الثالث والعشرون) قوله عليه السلام :واجعل لذوى الحاجات منك قسما تفرّغ لهم فيه شخصك وتجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه للّه الذى خلقك وتقعد عنهم جندك واعوانك من أحراسك وشرطك حتى يكلمك متكلمهم غير متتعتع فأنّى سمعت رسول اللّه (ص) يقول فى غير موطن لن تقدّس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوّى غير متتعتع ثم احتمل الخرق منهم والعىّ ونحّ عنهم الضيق والأنف يبسط اللّه عليك بذلك اكناف رحمته ويوجب لك ثواب طاعته وأعط ما اعطيت هنيئا وامنع فى اجمال واعذار.

اوصاه عليه السلام بأن ولاية الوالى ومنطقة حكمه وان كانت واسعة ومشاغله السياسية كثيرة وتنظيماته الأدارية وفيرة لكنه يجب عليه ان يخصّص من اوقاته على محدوديتها فى اليوم ساعات او فى الاسبوع ايّاما يواجه فيها اهل الحاجات والظلامات حتى يكون له من طريق هذه المواجهات المام بعمل عمّاله من ناحية وعلم بسير الناس بعضهم مع بعض فى المجارى الاجتماعية والاقتصادية من ناحية ثانية واتصال مباشر بذوى الحاجات والظلامات من ناحية ثالثة وهذه الفوائد الجمّة تنقطع عنه اذا انزوى لخاصة نفسه واختصّ بعمله الأدارى فحسب .

ثم انه عليه السلام بيّن له ان هذا الاتصال المباشر للناس يجب ان

یکون واجدا لمزایا کثیرة (١) ان یکون فی جلوسه متواضعا لا متکبرا علی من بحضرته من اهل الحاجات فان مقام الرئاسة له فی انظار العوام اهمیة ورهشة فاذا تظاهر الرئیس بعلوّ مقامه فقد حدّد موقف الضعیف امامه ومتی تحدد موقفه ارتج علیه فلم یبین عن مقاصده (٢) ان لا یتخذ لنفسه ابّهة الحاکم المقتدر من ایقاف الجنود والأعوان والشرطة والحرّاس بین یدیه فان ذلک یتعتع بالضعیف (٣) ان یحتمل من هذه الطبقة خرقها ونقصان عقولها وعیّها وحصرها فانّها مظنة لکلّ ذلک (٤) ان لا یضیق علیهم فی الکلام او یأنف عن سماع ما یقولون فاذا فعل الوالی ذلک بسط اللّه علیه اکناف رحمته ولطفه واوجب له ثواب طاعته والانقیاد لأوامره: وأوصاه انّه اذا أعطی شفع عطیته بالارتیاح حتی یتضاعف موقع عطایاه فی قلوب من یعطیهم واذا منع علّل منعه بما یوجب قبول عذره بلین کلامه وأدبه فی خطابه ·

(الفصل الرابع والعشرون) قوله علیه السلام: ثم امور من امورك لا بدّ لك من مباشرتها منها اجابة عمّالك بما یعیی عنه کتّابك ومنها اصدار حاجات الناس یوم ورودها علیك بما تحرج به صدور اعوانك وأمض لکل یوم عمله فان لکل یوم مافیه واجعل لنفسك فیما بینك وبین اللّه افضل تلك المواقیت وأجزل تلك الأقسام وان کانت کلّها للّه اذا صلحت فیها النیّة وسلمت منها الرعیة ·

اوصاه علیه السلام بأنه لا یجوز له ایکال جمیع اموره الی عمّاله بل لا بدّ له ان یباشر من جملة أعماله اعمالا منها ان یتصدر لجواب ما یعیی عنه کتّابه فی اجوبة رسائل عمّاله ومسائل مأموریه فی الأکناف والأقطار فان جمله من الکتّاب یحسنون تنمیق العبارات ولکنهم لا یستطیعون ان یصیبوا کبد الحقیقة التی یرومها السائل ویریدها العامل ومنها حلّ مشکلات الناس

بمجرد عرضها عليه مع تيسرها له بما يعجز عن القيام به أعوانه والمتصدون لقضاء اشغاله وأوصاه ان لا يحيل عمل وقت الى وقت آخر فان لكل وقت مايلزم له وليس يخلو وقت من الأوقات عن عمل لازم الأنجاز ووظيفة واجبة التأدية :ثم بيّن له ان سلطان الدنيا لا يجوز ان يكون حاجبا وحاجزا للانسان عن عمل الآخرة بل يجب على الوالى وهو من جملة المكلّفين ان يجعل لنفسه بينه وبين ربّه أفضل تلك الأوقات التى أمره ان لا يخلى وقتا منها عن عمل واجزل تلك الأقسام وان كانت كل تلك الأوقات الموزعة على ادارة اعمال الناس وتنظيم شؤنهم اذا صلحت فيها النيّة وسلمت من حيفها الرعيّة بل كانت بنفعهم ولتعديل جنبات حياتهم للّه سبحانه لأنّ خدمة الخلق من خدمة الخالق لكنّ عبادة اللّه بمعناها الخاص امر وراء ذلك فتجب المواظبة عليها فى حدودها والقيام بها لخاصّتها .

(الفصل الخامس والعشرون) قوله عليه السلام: وليكن فى خاصة ماتخلص به للّه دينك اقامة فرائضه التى هى له خاصة فأعط اللّه من بدنك فى ليلك ونهارك ووفّ ماتقربت به الى اللّه من ذلك كاملا غير مثلوم ولا منقوص بالغا من بدنك مابلغ واذا قمت فى صلاتك للناس فلا تكونن منفرّا ولا مضيعا فان فى الناس من به العلّة وله الحاجة وقد سألت رسول اللّه (ص) حين وجّهنى الى اليمن كيف اصلّى بهم فقال صل بهم كصلاة اضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما .

وان كان الأمام اشار فى الفصل الآنف الى لزوم مواظبة الوالى على عبادة اللّه لكنّ الفصل الذى بأيدينا مختصّ بذلك فألفت نظره الى انّ اهمّ مايخلص للّه به دينه هو اقامة الفرائض المختصة به تعالى فحسب لتكون من اعظم الروابط بين العبد والمعبود واكثر الفوائد فى الآخرة ولذلك أوصاه ان يعطى اللّه من بدنه وقواه فى ضمن ساعات ليله ونهاره

ما يتكفل بأداء تلك الوظيفة وان يأتى بالعمل وافيا كاملا وان اخذ من القوّة واثّر على النشاط هذا فيما يعود لأعماله العباديّة فى نفسه وامّا ما يعود لعمله العبادى الجماعى المشترك فأبان له فيه انّه اذا قام فى صلاته للناس وجمع بهم لم يجز له ان ينفّرهم منه بالأطالة ويضيع وصية الشرع فى الأمام بالنسبة الى مأموميه من التخفف بالصلاة وعلّل عليه السلام ذلك بانه يوجد فى الناس من به العلّة والزمانة ومن تملكه الضرورة والحاجة واستدل على المطلب بقول الحجة فقال وقد سألت رسول اللّه (ص) حين وجهنى الى اليمن كيف اصلّى بهم فقال صل بهم كصلاة اضعفهم وكن بالمؤمنين رحيما غير معنت ولا متشدد .

(الفصل السادس والعشرون) قوله عليه السلام :وامّا بعد فلاتطولنّ احتجابك عن رعيتك فأن احتجاب الولاة عن الرعيّة شعبة من الضيق وقلة علم بالأمور والأحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير ويعظم الصغير ويقبح الحسن ويحسن القبيح ويشاب الحقّ بالباطل وانّما الوالى بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور وليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب وانّما انت احد رجلين امّا امرؤ سخت نفسك بالبذل فى الحق ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه او فعل كريم تسديه او مبتلى بالمنع فما أسرع كفّ الناس عن مسألتك اذا أيسوا من بذلك مع ان اكثر حاجات الناس اليك ممّا لامؤونة فيه عليك من شكاة مظلمة او طلب انصاف فى معاملة .

اوصاه عليه السلام فى هذا الفصل بالتوسط بين الأحتجاب والأبتذال لأن الأبتذال يوهن بالشريف ويسقطه من انظار الناس والأحتجاب يقطعه عن العلم بما يجب العلم به والتعرف عليه كما يقطع الرعية عن الوقوف على ما يلزم ان يعرفوه فانهم مع جهلهم بالمجارى قد يستصغرون من نظام

الأجتماع ما هو كبير فى الواقع ويعظّمون بنظرهم ما لا قيمة له ويقبّحون حسنا طبق اذواقهم العامية ويحسّنون قبيحا كذلك وما لم يكن اصحار بالحق وكشف للحقيقة يختلط به الباطل فيضيع الحقّ فيه وليس الوالى الآ بشرا اذا تعرّف على شئ فمن طريق الأختبار والآ انسترت عليه الأمور اذ لا طريق الى المحجوب الآ بكشف الحجاب عنه وليس الواقع فى مضامين الأشياء موسوما بسمة خاصة وشعار خاص حتى يطلع بعنقه المديد من غير هاد اليه ودالّ عليه فلتكن انت الهادى والدّال ثم لا تخلو انت من أن تكون احد رجلين امّا امرؤ سخت نفسك بالبذل فى الحق وطاوعك قيادك الى المعروف ففيم احتجابك من واجب حق تعطيه ومعروف تسديه ومكرمة توصلها لأهلها وامّا انسان مبتلى بالمنع قد اضطمت جوانحك على شحّ ولؤم فما أسرع كفّ الناس عن مسألتك وانشمارهم عن الطلب منك اذا أيسوا من بذلك وخابت ظنونهم من فضلك هذا مع انّ اكثر حاجات الناس اليك ممّا لا مؤنة فيه عليك ولا ثقل به على عاطفتك من شكاة مظلمة من ظالم متهجّم او طلب انصاف واحقاق حق فى معاملة .

(الفصل السابع والعشرون) قوله عليه السلام :ثم ان للوالى خاصة وبطانة فيهم استئثار وتطاول وقلّة انصاف فى معاملة فاحسم مادة اولئك بقطع اسباب تلك الأحوال ولا تقطعنّ لأحد من حاشيتك وحامّتك قطيعة ولا يطمعنّ منك فى اعتقاد عقدة تضر بمن يليها من الناس فى شرب او عمل مشترك يحملون مؤنته على غيرهم فيكون مهنّا ذلك لهم دونك وعيبه عليك فى الدنيا والآخرة .

بطانة الثوب هى وجهه الملاصق للبدن وظهارته هى الوجه الظاهر منه وخلطاء الانسان هم الذين لهم نوع خصوصية به وانّما شبهوا ببطانة الثوب لمزيد لصوقهم به وطبعا تكون فى مثل هذا الخليط دالّة وقلة

احتشام تدعوانه الى طلب الأثرة بالنسبة الى غيره والتطاول على من سواه وقلّة الأنصاف فى معاملة الأغيار كل ذلك بداعى اعتزازه بصديقه المقتدر وخليطه المتنفذ لكن هذا الانسان النافذ اذا كان عادلا منصفا أبطل فى خلطاءه كل استثناء وتطاول واوقفهم عند حدودهم اللازمة لهم وحال بينهم وبين دالّتهم ومنع عن قلة انصافهم فى معاملات غيرهم واوصاه عليه السلام ان لا يقطع واحدا من هؤلاء لمكان الخصوصيات قطيعة ارض اوزرع لانه تبعيض على غير وجه حقّ كما أوصاه ان لا يكون رخوا فى قبالهم حتّى يطمعوا فيه باستثناآت يستفيدون من طريقها ما يعود سوء على غيرهم فيتضرر جارهم فى المزرع والمرتع باستئثارهم عليه فى الماء او تحميلهم عليه الأعمال المشتركة بما يكونون معه فى راحة وجارهم فى تعب مضاعف فانك اذا فعلت ذلك واستفادوا من طريقك هذه الفوائد المنحرفة كان مهنأ ذلك لهم دونك وكان عيبه وذنبه عليك فى الدنيا بانحرافك عن العدل اللازم للوالى والآخرة بمخالفتك لأوامر اللّه والرسول والأمام الذى ولاّك .

(الفصل الثامن والعشرون) قوله عليه السلام :وألزم الحقّ من لزمه من القريب والبعيد وكن فى ذلك صابرا محتسبا واقعا ذلك من قرابتك وخاصّتك حيث وقع وابتغ عاقبته بما يثقل عليك منه فان مغبّة ذلك محمودة وان ظنّت الرعية بك حيفا فأصحر لهم بعذرك واعدل عنك ظنونهم بأصحارك فان فى ذلك رياضة منك لنفسك ورفقا برعيّتك واعذارا تبلغ به حاجتك من تقويمهم على الحق .

لافرق فى الميزان العادل بين القريب والبعيد فى احقاق الحق وابطال الباطل امّا اجراء الحق على البعيد فممّا يهوّنه على الوالى ركود العاطفة بالنسبة اليه وانما تلزمه الوصية بأجراءه على القريب لان الميول العاطفية تقف دون اجراءه فى الضرر وتسرع باجراءه فى النفع وايصال

النفع اليه موفورا وهذا ممّا يخلّ بالعدل الربانی الأنسانی ومن اجله قال عليه السلام لواليه وكن فی ذلك صابرا محتسبا امّا الصبر فمن طريق الضغط على الميل النفسی وامّا الأحتساب فلأن السحق على العاطفة النفسية من نتائجه وآثاره واذا صبر الانسان على اجراء الحق بشتّى صوره وألوانه واحتسب ذلك عند اللّه لم يهمّه رضاء قرابته بذلك او غضبه منه بل يكون فی ذلك مبتغيا عاقبة عمله الصحيح وان ثقل على عاطفته بالفعل : ثم ألفت عليه السلام نظره الى أن الرعية اذا ظنّت بعمل من أعماله حيفا وجورا وجب عليه ان يبيّن وجه ذلك لهم حتى يخرجوا من سوء الظنّ به وحمله على الباطل وان لا يعتزّ بمقامه وعظمة شانه فيلوی عنهم صفحا ويوسعهم اعراضا فان فی سعة الحوصلة ورجابة الصدر وتوخی رضاء الناس مهما امكن رياضة للنفس وتدريبا لها على خوض المشاكل وحلّ المعضلات ورفقا بالرعية وعطفا على الناس ولطفا بالعباد واعذارا تبلغ به الحاجة وتتحقق به الأربة ويتقوم به الحق وتستقيم به امور الناس .

(الفصل التاسع والعشرون) قوله عليه السلام ولا تدفعنّ صلحا دعاك اليه عدوّك وللّه فيه رضا فانّ فی الصلح دعة لجنودك وراحة من همومك وأمنا لبلادك ولكن الحذر كل الحذر من عدوّك بعد صلحه فان العدوّ ربّما قارب ليتغفل فخذ بالحزم واتّهم فی ذلك حسن الظن وان عقدت بينك وبين عدوّك عقدة او ألبسته منك ذمة فحط عهدك بالوفاء وارع ذمّتك بالامانة واجعل نفسك جنّة دون ماأعطيت فانه ليس من فرائض اللّه شیء الناس اشدّ عليه اجتماعا مع تفرق اهوائهم وتشتت آرائهم من تعظيم الوفاء بالعهود وقد لزم ذلك المشركون فيما بينهم دون المسلمين لما استوبلوا من عواقب الغدر فلا تغدرنّ بذمتك ولا تخيسنّ بعهدك ولا تختلنّ عدوك فانه لا يجترئ على اللّه الاّ جاهل شقی وقد جعل اللّه عهده وذمّته أمنا

أفضاه بين العباد برحمته وحريما يسكنون الى منعته ويستفيضون الى جواره فلا ادغال ولا مدالسة ولاخداع فيه ولا تعقد عقدا تجوّز فيه العلل ولا تعولنّ على لحن قول بعد التأكيد والتوثقة ولا يدعونّك ضيق امر لزمك فيه عهد اللّه الى طلب انفساخه بغير الحق فان صبرك على ضيق امر ترجو انفراجه وفضل عاقبته خير من غدر تخاف تبعته وان تحيط بك من اللّه فيه طلبة فلا تستقيل فيها دنياك ولا آخرتك .

لاشكّ انّ الصلح والسلم من الأحجار الأساسية للحياة الصحيحة وعلى هذا الأساس نجد المتنورين فی كافة الأدوار يدعون اليهما ويحثّون عليهما وقد سبقهم الشرع الى ذلك كلّه فاعتبر ان صلاح ذات البين من العبادات المرغوبة وايجاد الصفاء بين الاثنين فما زاد من الخدمات المطلوبة حتى انه أجاز قول مايخالف الواقع فی هذا الطريق وقد اسلفنا القول فی هذا الباب مفصلا عندما تكلمنا على التهويلات الواردة فی الكتاب والسنة فی بحوث مبسوطة اشبعنا بها عنوان (نهج البلاغة فی المواعظ والزواجر) .

ومن أعظم بناة الشرع علىّ عليه السلام ومن جملة وصاياه فی العنوان المتحدث عنه هذا الفصل الذی اسلفنا نقله فقد دعا واليه الى قبول الصلح متى دعاه اليه عدوّه اذا كان للّه فيه رضا وهذا الشرط لابدّ منه فان المصالحة التی يسحق فيها حق لازم الأجراء لتثبيت حق آخر ليست بسالمة من الهناة بل هی من باب المعارضة بالمثل التی يسقطها وقوع التعارض فی البين وعلّل عليه السلام لزوم قبوله للصلح بشرطه المذكور بانّ فی الصلح دعة لجنودك فلا تُقلقُ راحتهم ولا تُراقُ دماؤهم ولا ترملّ نساؤهم ولا يزعج اليتم ابنائهم وفيه ايضا راحة من همومه وقلة لتكاليفه وأمن لبلاده وحفظ للناس وابقاء على الضعفة والعجزة واستمتاع بالنعم التی

لا تحصل الاّ مع الأمن ولا تكون الآمن طريق الموادعة وتخلية السرب وأمان الطرق وانشغال المخلوق كل بشغله وعمله .

ومع هذا فقد ألفت نظره الى انّ عقد الصلح بينه وبين عدوّه لا يجيز له ان يستنيم الى الغفلة ويخلد الى الراحة القاطعة لأخذ الحذر والاحتياط فان العدوّ ربّما قارب عدوّه بالموادعة ودناه بالمصالحة ليأخذه على غرّة ويختله بدون مؤونة ويسلبه سلطانه من غير مجادلة ولا مقاتلة فأوجب عليه ان يأخذ بالحزم ويتدرع باليقظة وان يتهّم فی نفسه دائما حسن ظنّه بأعدائه لكن مع الحفظ بالوفاء عملا ورعاية الذمة أبدا وحياطة العهد باستمرار مالم يحصل نقض من عدوّه وانتكاث من طرفه وغدر من قبيله فان من يعقد عقدة بينه وبين عدوّه ويفيض عليه من ذمته يلزمه ان يحوط ذلك العهد بالوفاء ويرعى تلك الذمة بالأمانة وان يقبض على زمام نفسه متى حاولت منه انتكاثا على ما اعطت من عهد وميثاق فان الناس الاّ الساقطين منهم لم يجتمعوا على احترام العلاقات كما اجتمعوا على تعظيم الوفاء بالعهود والالتزام بالعقود لعلمهم ان الأستهانة بذلك استهانة بأصل الحياة وهم انّما يعملون فی دنياهم للأبقاء عليها والأستمرار بها ولم يفترق فی هذه النزعة مسلم عن مشرك وعدوّ عن صديق لان الجميع ادركوا ويدركون وبال عواقب الغدر ووخامة سوء المنقلب بالخيانة ولذلك نهاه عليه السلام أن يغدر بذمته ويخيس بعهده ويختل عدوّه باعطاءه المواثيق ليصيده من طريق امانه به واطمئنانه اليه فأنّه لا يجرأ على اللّه الذی جُعلَ موثقا بين المتعاهدين الاّ جاهل بمبانی الحياة الصحيحة شقی امام ربّه وما يستقبله من منقلبه وقد جعل اللّه العهد المأخوذ به والذمة التی تنسب اليه أمنا نشره بين العباد بمنّه ورحمته وحريما يسكنون الى منعته ويرتاحون الى حرمته ويستفيضون الى

جواره ويلجأون الى عزّته فلا ادغال ولاغشّ فی عهده ولا مداهنة فی ذمته ولاخداع ولامكر فی میثاقه :ونهاه ایضا ان یعقد عقدا وهو ینوی فیه سوء نیّة وخبث طویة أو ان یعمد بعد التأكید والتوثقة الی نحت الأحتمالات وخلق التحلات ولو ان العهود التی یوثقها والمواثیق التی یعقدها الجأته الی ضیق وحبسته فی مضیق لما جاز له فسخها ولا حلّها الاّ بالحقّ الذی یسلطه علی قبیله والحجة التی تجعل له الغلبة علی خصمه فان صبره علی ضیق امر یرجو انفراجه ومشكلة یتوقع حلّها وفضل عاقبتها خیر من غدر یرتكبه ویخاف تبعته ویحذر ان تحیط به من اللّه لمكان غدره ونقضه للعهود ونكثه للمواثیق طلبة فلا یستطیع معها ان یقیل دنیاه وآخرته منها لتشدید اللّه علیه وعدم قبوله التعلل منه .

(الفصل الثلاثون) قوله علیه السلام :ایّاك والدماء وسفكها بغیر حلّها فأنه لیس شیء ادنی لنقمة ولا اعظم لتبعة ولا أحری بزوال نعمة وانقطاع مدّة من سفك الدماء بغیر حقّها واللّه سبحانه مبتدئ بالحكم بین العباد فیما تسافكوا من الدماء یوم القیامة فلا تقوین سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك ممّا یضعفه ویوهنه بل یزیله وینقله ولاعذر لك عند اللّه ولاعندی فی قتل العمد لان فیه قود البدن وان ابتلیت بخطأ وافرط علیك سوطك او سیفك او یدك بالعقوبة فان فی الوكزة فما فوقها مقتلة فلا تطمحنّ بك نخوة سلطانك عن ان تؤدی الی اولیاء المقتول حقّهم .

شدّد علیه النهی عن اراقة الدماء وسفكها من دون مسوّغ متیقن لعلمه ان النافذین نوعا یزدرون بمن دونهم ویدوسون كلّ حرمة فی مقابل احترامهم وتثبیت شخصیاتهم وحفظ حیثیاتهم والمسوغات المتیقنة محررة فی الفقه وملاكها حفظ الحقوق والنظام ونشر الأمان وقطع العدوان وعلّل علیه السلام ذلك بقوله فأنّه لیس شیء ادنی لنقمة اللّه ولا اعظم لتبعة

موبقة ولا أحرى بزوال نعمة دنيا وانقطاع مدة فی عزّ وسلطان من سفك الدماء بغير حقّها من قصاص وتأمين سبل وارتكاب اجرام مهمّة وانّ اللّه سبحانه يسبق فی حسابه يوم القيامة عن تسافك الدماء بين الناس ويحكم فيه بين عباده قبل حكمه على باقی السيئآت ونهاه (ع) ان يقوّی سلطانه بسفك دم حرام اطاحة بالناس من غير حق وتشييدا لحاكمية لا يملكها صاحبها مضافا الى انّ سفك الدم بغير حلّه حتّى لو داس سافكه وجدانه وايمانه تحت رجليه ممّا يورث عقدا نفسية فی الناس ينتهزون من طريقها كل فرصة متاحة للأنقلاب على السافك ولا ريب ان مثل هذا السلطان يهن ويضعف فی الآونة السانحة بعد الآونة حتّى يؤل به الأمر الى الزوال والانتقال وحذّره اتم التحذير من قتل العمد بغير حقّ لان اللّه سبحانه توعد عليه كثيرا وأوجب فيه القود ثم قال له وان ابتليت بخطأ فی القتل وأفرط عليك سوطك الذی تضرب به او سيفك الذی تخيف به او يدك التی تبطش بها فانّ هذه الآلات قد تؤدی الى قتل وازهاق روح ولذلك قال عليه السلام فان فی وكزة العصا والرمح واشباه ذلك مقتلة فعند حصول ذلك منك لا يجوز لك ان تترفع بنفسك وتطمح بك نخوة سلطانك عن أن تؤدی الى اولياء المقتول حقّهم من الدية المقررة عليك شرعا .

(الفصل الواحد والثلاثون) قوله عليه السلام :وايّاك والأعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها وحبّ الأطراء فانّ ذلك من اوثق فرص الشيطان فی نفسه ليمحق ما يكون من احسان المحسنين وايّاك والمنّ على رعيتك بأحسانك او التزيّد فيما كان من فعلك او أن تعدهم فتتبع موعودك بخلفك فان المنّ يبطل الاحسان والتزيّد يذهب بنور الحق والخلف يوجب المقت عند اللّه والناس قال اللّه تعالى كبر مقتا عند اللّه ان تقولوا مالا تفعلون وايّاك والعجلة بالأمور قبل اوانها او التسقط فيها عند

امکانها او اللجاجة فیها اذا تنکرت او الوهن عنها اذا استوضحت فضع کلّ امر موضعه واوقع کل امر موقعه ٠

الأعجاب بالنفس منشؤه الأنقطاع الیها وعدم مقارنتها بغیرها بداعی حسن الظن بها وهذه الصفة اذا استقرّت فی النفس اعطتها کل نقص وبعدت بها عن کل کمال ومن هنا حذّر علیه السلام والیه عن الأعجاب بنفسه وأوصاه بالأجتناب عن هذه الرذیلة لأنها تدعو الی التوثق من النفس علی مافیها من موهنات وعلاّت والتوثق منها یدعو الی التکبر والتکبر یدعو الی حبّ الأطراء والتقریظ وحسن الثناء وکل ذلك من اوثق فرص الشیطان فی نفسه یغتنم بها اغواء عدوّه الأنسان لیمحق ما یکون فی البین من احسان المحسنین ویزید فی اغواء الجهلة الضالّین وحذّره ایضا من المنّ بالأحسان یسدیه والمعروف یفعله لانّ المنّ یبطل الأحسان لأن فیه ایذاء للطرف وحطا من کرامته کما حذّره عن التزید فیما فعل وادعاء اکثر ممّا أولی لانه کذب فی الزائد ومنّة فی اصل الأظهار وکل ذلك یذهب بنور الحق وحذّره کذلك من الوعد المشفوع بالخلف للموعود لانه کذب مکرر یوجب المقت عند اللّه وعند الناس جمیعا فقد قال سبحانه کبر مقتا عند اللّه ان تقولوا مالا تفعلون وأوصاه بالأناة والتربص فی کافة الأمور الی حصول مواقعها وعدم العجلة بها قبل حلول اوقاتها وحذّره من تضییع الفرص عند سنوحها والمطالب عند امکانها والولوج فی الورطة والأقتحام فی الشبهة واللجاجة فی موارد الحاجة اذا تنکرت علیه واستبهمت لدیه وابداء الضعف عنها اذا استوضحت وانکشفت بل یجب علی العاقل ان یضع کل امر من الوضوح والابهام والتقدم والأحجام موضعه وان یوقع کل شأن من الشؤن موقعه ومع خلافه لذلك یفوته کلّ شیء ٠

(الفصل الثانی والثلاثون) قوله علیه السلام :وایّاك والأستئثار بما

الناس فيه اسوة والتغابى عمّا تعنى به ممّا قد وضح للعيون فانه مأخوذ منك لغيرك وعمّا قليل تنكشف عنك اغطية الأمور وينتصف منك للمظلوم املك حمية انفك وسورة حدّك وسطوة يدك وغرب لسانك واحترس من كل ذلك بكفّ البادرة وتأخير السطوة حتّى يسكن غضبك فتملك الأختيار ولن تحكم ذلك من نفسك حتى تكثر همومك بذكر المعاد الى ربّك والواجب عليك أن تتذكر مامضى لمن تقدمك من حكومة عادلة او سنّة فاضلة او أثر عن نبيّنا (ص) او فريضة في كتاب اللّه فتقتدى بما شاهدت ممّا عملنا به فيها وتجتهد لنفسك في اتباع ماعهدت اليك في عهدى هذا او استوثقت به من الحجة لنفسى عليك لكيلا تكون لك علة عند تسرّع نفسك الى هواها .

نهاه عليه السلام ان يستفيد من رفعة مقامه سوء استفادة يحرّمها القانون العادل بأن يمنح نفسه ويمنع غيره ممّا الناس فيه شرع سواء كالمباحات العامّة او يتجاهل بما هو معنّى به ومسؤل بتنفيذه مما ظهر واتضح ولزمت صاحبه الحجة فان كل ما يهمله مأخوذ به عند ربّه وامامه وكل مغطأ ينكشف ولبس يتضح ومخبأ يظهر سواء في ذلك نشأة الدنيا والآخرة وحينذاك يؤخذ المجرم وينتصف للمظلوم .

ثم أوصاه ان يملك نفسه امام الحق فلاتذهب به الانانيّات مذاهبها الباطلة فتراه يمنع المستحقر ماهو حقّه ويزمّ بحده وحدّته عمّن سواه ولا يقف امام سطوة يده وغرار لسانه :وأن يحترس من كل ذلك بكبح جماحه وكفّ بوادره ومنع تنزياته وتأخير سطواته حتّى يسكن غضبه ويعتدل له شعوره وحينذاك يملك اختياره ويكون قياده في قبضته ولا يستطيع الأنسان ان يكون كذلك الاّ اذا اعتقد بالمبدأ القهّار والمعاد عليه والوقوف بين يديه والاّ يكن كذلك اغذ بطغيانه واسترسل مع تهوره بل ازداد على مرور الأيام وقاحة وصلافة وتعنتا وجبرية واوجب عليه ان يتعرف ان لم يعرف ويتذكر

ان غفل او نسی ماکانت علیه الحکومات العادلة قبله فیتحذی حذو أهلها فی حکومته ویقتدی بقادتها فی دولته وما أمرت به السنن الفاضلة والآثار الواردة عن نبیّ الاسلام القائمة بأحسن نظام واتمّ سلام او جاء فی کتاب اللّه فیتبع ذلك کله فانه لم یقرّر الاّ للسعادة وبلیغ الاستفادة هذا مضافا الی انّه شاهد امامه کیف یسیر مع الناس وکیف یسلك مع الحیاة والأحیاء فهو اذن أحری بأن یقتدی بأمامه ممنّ یسمع بوصف الحقّ ولم یره محققا وأوصاه فی ختام عهده الیه ان یبذل جهده فی اتباع ماأمره به ونهاه عنه واستوثق به من الحجة لنفسه ،بما انه امام ،علی والیه ،بما انه مأموم له حتّی لا یبقی له مجال فی الأعتذار بالجهل او الغفلة اوعدم الفات النظر.

(الفصل الثالث والثلاثون) قوله علیه السلام :فی ختام هذا العهد المیمون :وانّا اسأل اللّه بسعة رحمته وعظیم قدرته علی اعطاء کل رغبة أن یوفقنی وایّاك لما فیه رضاه من الأقامة علی العذر الواضح الیه والی خلقه مع حسن الثناء فی العباد وجمیل الأثر فی البلاد وتمام النعمة وتضعیف الکرامة وان یختم لی ولك بالسعادة والشهادة انّا الیه راجعون والسلام علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه وآله وسلّم.

سأل علیه السلام ربّه مستعینا بسعة رحمته التی لا ینقصها شیء وعظیم قدرته التی لا یعجزها مطلب ومهما عظم أن یوفقه هو و والیه الذی عهد الیه بعهده السالف لما فیه رضاه واحراز رضوانه من الأقامة علی مافیه اعذار الی الخلیقة ببیان الحقیقة والعمل بها حتی یکون معذورا امام ربّه وخلقه مع تحصیل حسن الأحدوثة وابقاء جمیل الأثر وتمام النعمة للوالی والمولیّ علیه ومضاعفة الکرامة وأن یختم له ولوالیه المذکور بالسعادة التی لاتحققها الاّ الشهادة وقد أجاب سبحانه دعائه فیه وفی والیه فقد استشهد کلّ منهما فی سبیل ربّه وفازا جمیعا برضوانه :ولا یخفی ان کافة

مضامين هذا العهد الشريف والكتاب المنيف من اعلا ما يمكن تصويره للعقول المدربّة والأفهام المهذّبة والقرائح المعتدلة ولو أتيح لها تطبيق ولمفاهيمها تحقيق لكان البشر غير هذا البشر الذى عاصرناه وباشرناه وعاصره آباؤنا واسلافنا وباشروه ولكانت الحياة بوصف آخر لا يرتبط بالحياة الدارجة بين الأحياء ولآمن الناس كلّهم بالحقيقة ايمانا لايشوبه تشكك ولعاشوا عيشة لا يتخللها انزعاج ولكن مع آلاف الأسف لم تتوفق هذه المعلومات العالية والقوانين الراقية للتحقق فى الخارج والتقرر فى عرصة العيان الاّ آنات خفيفة فى اماكن محدودة وقامت دول الدنيا كلها منذ القديم السابق على الانحراف والجور والاعتساف وتعاقبت سلاسلها على ذلك وقويت حكوماتها بأعمال الباطل والأنتباذ عن الحق حتّى قلّ المحقّون بضعف الحق نفسه وذلّ المنصفون فى قبال الانتهازيين وانهارت الحقائق كلّها امام الأهواء والميول واخذ الخفيف الكفّة يستهزأ بالوزين وجاء الطغام يستخفون بالكرام ولله فى خلقه شؤن .

ومن درره الغوالى فى الباب الذى نحن فيه قوله عليه السلام فى كتاب له الى مصقلة بن هبيرة الشيبانى وهو عامله على اردشير خرة .

بلغنى عنك امر ان كنت فعلته فقد أسخطت الاهك وأغضبت امامك انّك تقسم فىء المسلمين الذى حازته رماحهم وخيولهم وأريقت عليه دماؤهم فيمن اعتامك من أعراب قومك فو الذى فلق الحبّة وبرأ النسمة لئن كان ذلك حقا لتجدنّ بك علىّ هوانا ولتخفنّ عندى ميزانا فلا تستهن بحق ربّك ولا تصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الأخسرين أعمالا ألا وأنّ حقّ من قبلك وقبلنا من المسلمين فى قسمة هذا الفىء سواء يردون عندى عليه ويصدرون عنه والسلام .

من عميق سياسته عليه السلام ودقة نظره فى مجارى امور النّاس

ويقظته لأحقاق الحق هذا الكتاب الذى أشبعه تشنيعا على عامله لكن بعبارات مؤدبة لا توقع الطرف فى لجاجة ولا تخشّن عاطفته لدرجة الوحشة بل توقفه موقف الخائف الحذر المحتشم لأمامه فذكر له بنحو القضية الشرطية ـ ليجعل له مجالا فى الجواب عمّا وجّه اليه من الخطاب فى الكتاب ـ انه بلغه عنه امر ان كان صحّ نقله وصدر عنه فعله فقد أسخط ربّه بمخالفته لأوامره وعدم انقياده لنواهيه وأغضب امامه لأنه امام شرعى تغضبه معصية اللّه لان رضاه منوط برضا الخالق وغضبه مربوط بسخطه والذى بلغه عنه انه يحتاز حقوق المسلمين المسلّمة لهم لانها حيازة خيولهم ورماحهم ونتيجة جهادهم وكفاحهم لنفسه ولمن يهواه هوى عاطفة لا هوى دين .

والأعتيام هو القصد والتعبير بلفظ الأعراب مشعر بأنهم لا قيمة لهم فى دين اللّه لان اهل البوادى أبعد الناس عن الهدى والدين وانما قصدوا قريبهم للاستفادة المادّية بأيّة وسيلة حصلت : ثم هدّده عليه السلام بتهديد له وزنه فى الميزان الوزين وان كان غير موجع فى الظاهر عند العوام من الناس فقال له لئن كان ما بلغنى عنك حقا وله واقع راهن لتجدنّ بك علىّ هوانا وان كان من حق العامل ان يرى نفسه عزيزا عند من استعمله ولتخفنّ عندى ميزانا بعد ان كنت راجح الكفة بحسن ظنّى بك وعلىّ منصبك فلاتستهن بحق ربّك وهو تكليفه ايّاك بحفظ الامانة واحترام حقوق المستحقين ولا تصلح دنياك من طريق اتباعك لهواك بمحق دينك وتضييع يقينك فتكون من الأخسرين أعمالا كما قال اللّه .

ثم ألفت نظره ان كان غافلا وذكّره ان كان ناسيا الى انّ ما تحوزه رماح المسلمين وخيولهم هم سواء فيه اينما كانوا فى بلدى التى اسكنها ام فى دار عملك التى انت فيها والقسمة بالسواء شريعة حقّ عندى عليها يرد

الناس وعنها یصدرون :ونحن قد ذکرنا فی الجزء الأول من هذا الشرح فلسفة القسمة بالسویة فی دین الاسلام ومن نظر الأمام فراجع مبسوط ماذکرناه هناك لتستفید به فی هذا المقام .

وقوله علیه السلام :فی کتاب له الی عثمان بن حنیف الانصاری وهو عامله علی البصرة وقد بلغه انّه دعی الی ولیمة قوم من اهلها فمضی الیها: أمّا بعد یاابن حنیف فقد بلغنی انّ رجلا من فتیة اهل البصرة دعاك الی مأدبة فأسرعت الیها تستطاب لك الألوان وتنقل الیك الجفان وما ظننت انك تجیب الی طعام قوم عائلهم مجفو وغنیّهم مدعوّ فانظر الی ماتقضمه من هذا المقضم فما اشتبه علیك علمه فالفظه وما أیقنت بطیب وجوهه فنل منه الا وان لکل مأموم اماما یقتدی به ویستضیء بنور علمه الا وان امامکم قد اکتفی من دنیاه بطمریه ومن طعمه بقرصیه الا وانکم لاتقدرون علی ذلك ولکن أعینونی بورع واجتهاد وعفّة وسداد فواللّه ماکنزت من دنیاکم تبرا ولا ادّخرت من غنائمها وفرا ولا أعددت لبالی ثوبی طمرا .

کان علیّ علیه السلام یحاول ان یبنی مدینة فاضلة تستمد معنویتها من مثالیته ولکن جیله لم یطاوعه الی ذلك وکل جیل لا یطاوعه بلا فرق بین قدیم وحدیث ذلك لا لأنّ خلقة البشر تعجز عن هضم ماأوعزنا الیه بل لان المیول الحیوانیة طاغیة والهیضات الشهویة عارمة وتمایل الانسان الی اللاّطائلات المادیة غیر محدود ومن هنا نجد نوع البشر یعترف بالحقائق ولکنه یلوی فی مقام العمل عنها جانبا ویعرض صفحا وهذا هو الذی أجهد علیّا ومن احتذی حذوه فی الحیاة واکثر همّه وأطال غمّه علی شجاعته وبطولته .

ان البشر السائر عندما یقرأ السبب الداعی الی تحریر هذا الکتاب قد ینتقد هذا الأمام الکاتب ویعذر المأموم المکتوب الیه فی اجابته

الدعوة الی الولیمة المتحدث عنها لانه یری المطلب عادیّا لدرجة بعیدة فایّ انسان ومهما کان فی سمته وعنوانه اذا دعاه غنی لا یجیبه الی مادعاه لتعارف ذلك فی کافة البلاد وجمیع طبقات العباد فاستنکار علیّ علیه لا یراه استنکارا لما ثبت فی ذهنه وما أنس به من سیرة الناس ان طبقة الفقراء طبقة خاصة وطبقة الأغنیاء طبقة أخری ولا انس لأحدی الطبقتین بالثانیة فالأغنیاء صنف یدعو بعضهم بعضا ویحشر بعضهم مع بعض والفقراء صنف ثانی یتعاشرون فیما بینهم ولیس لهم ان یتوقعوا الانضمام الی حوزة اولئك او ان یکونوا فی مصافّهم واذا کان مغروس اذهان الناس هو ذلك لم یعد لقول علیّ علیه السلام :وما ظننت انك تجیب الی طعام قوم عائلهم مجفوّ وغنیّهم مدعوّ :وقع عندهم لأنهم یرونه علی خلاف سیرتهم وما تعارف بینهم ·

امّا الواقع فهو مع علیّ علی کل حال لکنّ الواقع مهجور وکل مهجور لاقیمة له عند الناس حتی العقلاء منهم ومن هنا شاع بینهم هذا المثل غلط مشهور خیر من صحیح مأثور ·

ولهذا أصبحت القضایا المنطقیة صرف مفاهیم تحرر علی صفحات الدفاتر وتلقی من أعلا صهوات المنابر ولکن لاعامل بها اصلا ·

فمحاولة الأمام اذا ووجهت بالفشل عملا فلأنّ الناس لیسوا فی طریق محاولته وان اعاروا کلامه سمعا فلأنه لذیذ الوقع فی القلوب والأسماع بطیء الهضم علی الطباع:هذا وان علیا لم یتوقع من البشر حتی الفاضل منهم ان یطأوا عقبه فی کل ماأتی وترك لانه صعب عسیر مجهد للحواس والعضلات بصورة لا یطیقها الاّ المرتاض القویّ الریاضة وهو فی جامعة البشر قلیل عزیز ومن هنا قال الا وانکم لاتقدرون علی ذلك ولکن اعینونی بورع واجتهاد وعفّة وسداد :لکن النزوع عن کبائر الذنوب والأبتعاد عن

مهمّات العیوب امران مقدوران لنوع الناس ولا بدّ من اعمال هذه القدرة حتی تصلح الحیاة للتلبس بها ویقوی الأحیاء علی قطعها براحة نسبیة دون ماذا انجرف الجمیع نحو الأهواء وعلقوا بالمادة السوداء فان مع هذه الهناة ازعاجا وهیاجا واعناتا واشتطاطا لا یطاق القلیل منها فضلا عن الکثیر وان یوجد متنعّم فی هذه المضامین فجدّ قلیل لا یملأ زاویة واحدة من زوایا الحیاة فضلا عنها جمیعا ·

وقوله علیه السلام: فی کتاب له الی بعض عمّاله: امّا بعد فانك ممّن استظهر به علی اقامة الدین وأقمع به نخوة الأثیم وأسدّ به لهاة الثغر المخوف فاستعن باللّه علی ما اهمّك واخلط الشدّة بضغث من اللین وارفق ماکان الرفق ارفق واعتزم بالشدّة حین لا یغنی عنك الاّ الشدة واخفض للرعیة جناحك وابسط لهم وجهك وألن لهم جانبك وآس بینهم فی اللحظة والنظرة والأشارة والتحیة حتی لا یطمع العظماء فی حیفك ولا ییأس الضعفاء من عدلك ·

استظهر به جعله ظهرا له وقوّة وسندا واقامة الدین احکامه واظهاره والقمع هو الدكّ والنخوة هی ظاهرة التکبر والثغور هی الحدود تکون بین مملکة ومملکة ولهاة الثغور هی فوهات الحدود ومخارمها التی یخاف علی المملکة من هجوم العدوّ منها وکلا اللفظین فی هذین المعنیین استعارة وکلمة امّا بعد مقطع تفصل ماقبلها عن الاتصال بما بعدها وهی هنا وان لم یکن لها ماقبل مذکور لکنه بحسب سیاق ما یقوله ویکتبه الأمام دائما هو الحمد للّه والصلاة علی رسوله خاطب علیه السلام والیه هذا استجلابا لعاطفته واریحیته بانّه ممنّ یعتد به فی ترکیز الدین وتقویمه وتأییده وتشییده ویدكّ بمعاونته له وانضمامه الی جانبه تکبر المجرمین المنحرفین ویسد به الثلمة ویدوم به الثغرة فاذا کان منه بالمحلّ المزبور

وجب علیه ان یستعدّ للمهام بالاستعانة باللّه اولا وأن لا یکون شدیدا فی کل احواله ولا رخوا فی اعماله فان الشدید المشتطّ بغیره دائما مبغوض ممقوت للّه وللناس جمیعا والرخو لا یهابه الناس ولا یأتی منه عمل مثمر :والضغث بمعنی البعض بتقدیر اخلط شدّتك فی انجاز عملك ببعض من اللین حتی لا تبعد عن عواطف الناس بعیدا ولا تکون علیهم مهینا : والزمه بالرفق مادام للرفق مجال صحیح لاان یعود مغریا بجهل الجاهل ومروجا لسوق الباطل فان جملة من الجهلة یحسبون الرفق من ضعف الحکومة واللین من عجز الحاکم فیدعوهم هذا الحسبان الی الأغبراء والتغلت علی القانون ومثل هؤلاء یجب علی الوالی ان یعتزم فی قبالهم بالشدّة واعلام القدرة .

ولم یجز له ان یظهر نخوة الحاکم وجبریة الانسان النافذ لعموم رعایاه بل ألزمه بخفض الجناح حتی یحسبه الناس أبا رحیما بهم عطوفا علیهم الاّ اذا أوجب ذلك خفة مقامه بینهم :وبسط الوجه هو حسن الخلق ولین الجانب هو الحلم وسعة الحوصلة کما ألزمه بأعمال المواساة بین طبقات الرعیة فی لحظاته ونظراته واشاراته وتحیاته وعلّل ذلك بأنه اذا أضاف العظماء من انبساط وجهه ولین جانبه ولحظاته ونظراته وقصّر فی جانب الضعفاء فقد أطمع العظماء فی ان یتوقعوا منه ماالیس لهم وآیس الضعفاء من انتظار عدله وانصافه .

وقوله علیه السلام :فی کتاب له الی امرائه علی الجیوش :من عبد اللّه علیّ امیر المؤمنین الی اصحاب المسالح أمّا بعد فانّ حقا علی الوالی ان لا یغیّره علی رعیته فضل ناله ولا طول خصّ به وأن یزیده ماقسم اللّه له من نعمة دنّوا من عباده وعطفا علی اخوانه الا وان لکم عندی ان لا احتجز دونکم سرّا الاّ فی حرب ولا أطوی دونکم امرا الاّ فی حکم ولا أؤخر لکم حقا

عن محلّه ولا اقف به دون مقطعه وان تکونوا عندی فی الحق سواء فاذا فعلت ذلك وجبت للّه علیکم النعمة ولی علیکم الطاعة وان لا تنکصوا عن دعوة ولا تفرّطوا فی صلاح وان تخوضوا الغمرات الی الحقّ فان انتم لم تستقیموا علی ذلك لم یکن احد اهون علیّ ممنّ اعوجّ منکم ثم اعظم له العقوبة ولا یجد عندی فیها رخصة فخذوا هذا من امرائکم واعطوهم من انفسکم ما یصلح اللّه به امرکم ·

المسالح جمع مسلحة وهی الفرقة الحاملة للسلاح بنفع الدولة وتحت آمریّتها قدّم الأمام علیه السلام قبل أن یذکر مالأمراء الجیوش من الحقوق علی السلطان العادل وما للسلطان علیهم مقدمة عامة کلیة مفادها ان کل من یحصّل علی نفوذ وسلطان وحاکمیّة یجب علیه ان لا ینسی نفسه فی مقابل کل انسان وان لا یعتبر ذاته الاّ عبدا من عباد اللّه وفردا مشمولا للقانون کالسائرین وانما میزته علیهم ان اللّه سبحانه افضل علیه بنوال المقام وخصّه بمقدار من الحول والطول وحکّمه علی جملة من عباده وصقع من بلاده مضافا الی انّه مسؤل امام هذه النعمة بمزید الشکر لربّه الذی أولاه وخصّه واعطاه وشعار شکره للّه قربه من العباد وتأمینه للبلاد وتحصینه لولایته وصونه لأمانته وعطفه علی اخوانه ولطفه بمن تحت یده کل ذلك بالحق ثم بعد هذه المقدمة شرع علیه السلام ببیان مالهؤلاء الأمراء وما علیهم فقال انّ واجبی انا علی علوّ مقامی ورفعة کیانی بالنسبة الیکم مع انکم دونی ان لا أفتات علیکم بسرّ الاّ فی اقدامی علی حرب انویها فی نفسی وازویها فی ضمیری فانه لیس علیّ فی ذلك لزوم الأفشاء الیکم لان المصالح المهمة قد تدعونی الی التکتّم فی خبر حربی لعدوّی ومناهضتی له الاّ حین المناهضة والمصافّة کما لا اختصّ بنفسی فی شأن من الشؤن الدولیة الاّ فی حکم احکم به وفتوی افتیها لان ذلك خارج عن حدود

صلاحیتکم لان مرحلة القضاء سابقة علی مرحلة الأجراء .

وان لکم علیّ ان لاأؤخر حقوقکم ورواتبکم عن حدودها وأنسئها الی ماوراء مواقیتها لان فی ذلك اضاعة لحکم القانون وتشویشا فی معائش اهل الحق وازعاجا لخواطرهم وتکثیرا لحاجاتهم ـ والمقطع هو الحدّ الفاصل ـ وان لاأبعضّ بینکم فأقدّم انسانا لا لموجب سوی العاطفة وأوخر آخر للمیل النفسی عنه والهوی الشخصی فیمن سواه فاذا قمت بواجبی تجاهکم وادّیت ذلك لکم فقد ثبتت بذلك نعمة اللّه علیکم لاتصالکم بحقوقکم کاملة مستوفاة ووجبت لی علیکم الطاعة لأنّی قمت بالوظیفة وادّیت الامانة لاهلها وهی ایصال حقوقکم الیکم ومن طاعتکم لی ان لاتنکصوا عن دعوتی اذا دعوتکم وعن اجابتی اذا اردتکم وأن لاتقصّروا فی صلاح امر العباد والبلاد والأمام والمأموم وان تخوضوا الغمرات الی الحقّ وتدخلوا المعارك لدحض الباطل فان انتم لم تقوموا بوظائفکم ولم تستقیموا علی ذلك لم یکن احد اهون علیّ ممّن اعوّج منکم وزاغ عن الطریقة من افرادکم هوانا فی کیانه وضعة فی شأنه ثم اعظم له العقوبة علی تمرده والنکایة علی انحرافه والمؤاخذة علی خیانته لوظیفته ولا یجد عندی فی ذلك رخصة او هوادة فخذوا حقوقکم هذه من امرائکم واعطوهم من انفسکم مثل مالزم لکم علیهم ممّا یصلح اللّه به امرکم ویضمن لکم سعادتکم .

وقوله علیه السلام فی کتاب له الی عمّاله علی الخراج :امّا بعد فأن من لم یحذر ماهو صائر الیه لم یقدّم لنفسه مایحرزها واعلموا ان ماکلّفتم یسیر وأنّ ثوابه کثیر ولو لم یکن فیما نهی اللّه عنه من البغی والعدوان عقاب یخاف لکان فی ثواب اجتنابه مالاعذر فی ترك طلبه فأنصفوا الناس من انفسکم واصبروا لحوائجهم فانکم خزّان الرعیة ووکلاء الأمّة وسفراء الائمة ولاتحسموا احدا عن حاجته ولاتحبسوه عن طلبته ولا تبیعنّ للناس فی

الخراج کسوة شتاء ولا صیف ولا دابة یعتملون علیها ولا عبدا ولا تضربنّ احدا سوطا لمکان درهم ولا تمسنّ مال احد من الناس مصلّ ولا معاهد الاّ ان تجدوا فرسا او سلاحا یعدی به علی اهل الأسلام فیکون شوکة علیه ولا تدخّروا انفسکم نصیحة ولا الجند حسن سیرة ولا الرعیة معونة ولا دین اللّه قوّة وأبلوا فی سبیل اللّه ما استوجب علیکم فانّ اللّه سبحانه قد اصطنع عندنا وعندکم أن نشکره بجهدنا وأن ننصره بما بلغت قوّتنا ولا قوّة الاّ باللّه .

الخراج هو المال الذی تأخذه الدولة من شعوبها لأقامة شؤنها وعمّاله هم الموظفون لاستیفاءه من اهله وقبل أن یفیض علیه السلام فیما یخصّ هذا الفریق من ارکان دولته الشرعیة قدّم مقدمة ثمینة فی بابها موطئة لمقاصده التی عنون لها کتابه والمقدمة هی ان کل انسان اذا لم یحذر عواقب انحرافاته ونتیجة جرائمه ووخامة سیئآته سواء أکان منشأحذره هو اللّه اذا کان من اهل الأعتقاد به ام السلطان ان کان هناک سلطان عادل ام قوّة اخری تصادمها انحرافاته وجرائمه وسیئآته ام اثرا طبیعیا یترتب علی فعله کمن یعلم ان هذه المادة سمّ وان تناولها یسمّم الدم وعلی اثره یموت المتسمم لا یتوقف عن فعل الأنحراف اصلا اذا کان للنفس میل الی ارتکابه ولو میلا جنونیا والذی یزع عن الانحراف ویحرز النفس من المهالک امّا عقیدة باللّه سبحانه واذعان بالمعاد علیه والوقوف بین یدیه للمحاسبة علی الصغیرة والکبیرة من الجرائم والذنوب التی أبلغ النهی عنها بوسیلة الشرع ودعاته :وهذا من اهمّ الدواعی الی الحذر والبواعث الی احراز النفس لانّ مؤاخذة اللّه شدیدة وعقابه عظیم عند من تبنّی هذه العقیدة :وامّا خوف من سلطان عادل مقتدر منفّذ لقوانینه فعمّال فی حوزة امارته وهو داع مهمّ ایضا الی الحذر من ارتکاب الخلاف وباعث الی احراز

النفس كذلك :وامّا ملاحظة من قبيل قوّى على المقاومة طالب لحقه مدرك له لا يستطيع احد ان يزاحمه على اختصاصه او يسلبه حقا من حقوقه ومثل هذا يحذره كل من يريده بسوء ويحرز نفسه منه بالاحتراز عنه :او خوف على النفس وملحقاتها فهذا الخوف يزع صاحبه عن ملابسة ما يقود اليه ويحرز النفس بالسلامة من طريق الاجتناب وعدم الارتكاب :واذا خلا الأنسان من كافة هذه الدواعى والبواعث جاء الذئب الأجرد والسبع الضارى والوحش المضر والكلب الكلب ولا يعلم الاّ اللّه ما يأتى عن مثله من جرائم وجنايات وبوائق وانحرافات وكم لهذا الفرض من مصداق جاء الى عرصة الوجود فأحالها الى بركان ثائر ومحيط بائر .

ثم قال عليه السلام انّ ماكلّفتم يسير وانما اعتبر تكاليف اللّه لعباده يسيرة لمن راض نفسه عليها وامّا غير المرتاض فقليلها كثير فى حقه ويسيرها ثقيل عليه وهذا الفريق هو القسم الأوفر من الناس :وامّا ان ثواب اللّه للطائع كثير فلان اللّه يضاعف الحسنة لفاعلها تشويقا له واحتفاء به وتقديرا لانقياده :ثمّ اكّد لزوم الاجتناب عن مناهى اللّه بانّه حتّى لو لم يكن فيما نهى اللّه عقاب يخاف لكان فى ثواب اجتناب ما نهى عنه ملزم لتحصيله لان المكلف اذا انتهى بنهى اللّه افاد ثوابا من طريق انقياده لربّه وامتثاله لوظائفه :ومع تمام هذه المقدمات فى نفسها اولا ومن الواقع ثانيا تكون نتيجتها لزوم انصافكم ايّها العمّال للناس الواقعين تحت حاكميتكم فان الجور جرم يسلب مصونية النفس من مؤاخذة اللّه سبحانه وتنكيل السلطان العادل به وصبركم لقضاء حوائجهم فان حاجة المحكوم لازمة لحاكمه فانكم خزّان الرعية من حيث المادة ووكلاء الأمّة بالنيابة عن امامهم الذى صفقوا على يده بالبيعة والسفراء بين الأئمة والمأمومين فاذا كنتم بالنسبة الى الناس على الوصف الآنف وجب عليكم ان لا تقطعوا احدا من

الناس عن حاجته بالحيلولة بينه وبينها وحبسه عن طلبها ولا تلجئوا الناس فى طريق تحصيل الخراج منهم الى بيع ما يكنّهم من كسوة شتاء او صيف او دابة عليها يعملون اوعبد به يستعينون كما لا يجوز ان تضربوا احدا بسوط لمكان درهم تريدونه منه وهو يفقده فان ذلك اعنات وازعاج وهما محظوران على الولاة الاّ بحق مسلّم او تمسّوا مال احد من الناس مسلما كان ام معاهدا للمسلمين بقهر وغلبة الاّ اذا وجدتم فرسا اوسلاحا يعدى به على اهل الاسلام ويستعان به على هدم الدين وهتك المتدينين فانه لا ينبغى للمسلم ان يدع ذلك فى ايدى اعداء الاسلام وخصوم الدين والسلام فيكون شوكة على الدين وقوة على المؤمنين :اويمنع بعضكم بعضا نصيحته او يألو فى حقه نصحا او الجند حسن سيرة وطيب عشرة او الرعية مساعدة ومعونة اودين اللّه تأييدا وتسديدا وتقوية تشييدا ويجب عليكم ان تغطوا من انفسكم فى سبيل اللّه ما استوجب عليكم بنعمه التى افاضها وكرمه الذى أسبغه وصنعه الحسن الذى اصطنعه فان اسباغ النعمة من الخالق قاض على المخلوق بواجب الشكر الجزيل والثناء الجميل وان ينتصر لشرائعه وترويج دينه وتعزيز اولياءه جهد مقدوره ويبذل فى سبيل ذلك جميع امكاناته وتمام قواه وما يقوم به حوله وطوله ٠

وقوله عليه السلام فى كتاب له الى الأسود بن قطيبة صاحب جند حلوان :امّا بعد فان الوالى اذا اختلف هواه منعه ذلك كثيرا من العدل فليكن امر الناس عندك فى الحق سواء فانه ليس فى الجور عوض من العدل فاجتنب ما تنكر امثاله وابتذل نفسك فيما افترض اللّه عليك راجيا ثوابه ومتخوفا عقابه واعلم ان الدنيا دار بليّة لم يفرغ صاحبها فيها قطّ ساعة الاّ كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة وانّه لن يغنك عن الحقّ شىء ابدا ومن الحق عليك حفظ نفسك والاحتساب على الرعيّة بجهدك فان الذى

يصل اليك من ذلك افضل من الذى يصل بك والسلام .

اختلاف الهوى تذبذبه بأن يهوى الانسان شيئا ثم يلوى عنه الى شيء آخر لميول مجردة عن المرجحات ولا ريب ان مثل هذا الانسان يزيغ به تذبذبه عن كثير من العدل لانّ اعراضه عن شيء الى شيء لمجرد الميل النفسى ورجوعه الى ما اعرض عنه تارة اخرى للميل المفروض فيه مجانبة عن العدل وانصراف الى الباطل فمن لازم العاقل ان يزن افعاله وتروكه بالمنطق لا بالأهواء النفسية والميول المجردة واذا كان كذلك كان امر الناس عنده فى الحق سواء لان المنطق لا يفاوت بين المحقّين فيعتبر قريب الانسان أحق والبعيد عنه اخفّ كفة فى الحق لان هذا التفاوت وليد عواطف وميول لا قيمة لها وكل من يعمل به يعتبر عاطفيا لا منطقيا وجائرا لا عادلا :ثم ان الامام ألفت نظره اليه فى كل مقام يخاف فيه هجوم العواطف عليه وميلها به عن جانب الحق من حيث يشعر اولا يشعر بأن عنده ميزانا عتيدا لديه حاضرا بين يديه وهو ان يجرّد من نفسه انسانا مقابلا لها فكل ما يكرهه منه يجب عليه ان يكرهه من نفسه فاذا فعل ذلك فقد اعتدل وبعد عن العاطفة المجردة ثم اوصاه ان يبذل نفسه فيما افترض اللّه عليه من فريضة ووظّف عليه من وظيفة وان لا يعتزّ بها فى قبال بارئها وبراحتها فى مقابل ما ترجو من ثواب على الطاعة وتتخوف من عقاب على المعصية :وبيّن عليه السلام له انّ مجال الحياة فى هذه النشأة مجال اختبار وامتحان وكل فرصة من فرص الأمتحان تعتبر غنيمة يكون فوتها حسرة على الانسان وأعلمه انّه لا يغنيه عن الحقّ ايّ شيء يفرض سواه فأن ما سوى الحق ليس بحق وعدم الشيء لا يسدّ فراغ وجوده ومن الحق عليه حفظ نفسه من ارتكاب الجرائم ومقارفة المآثم وخدمة الرعية احتسابا عند اللّه بحملها على فعل المعروف والانتهاء عن المنكر واحقاق حقوقها

وابطال كل باطل يكون عنها :وان الذى يصل اليه من ثواب ذلك افضل بكثير من الذى يصل بسببه الى الناس لانّ اللّه سبحانه بقدرته غير المحدودة وكرمه الواسع قد يتفضل بما يفوت حسبان الراجى وأمل الآمل .

وقوله عليه السلام فى كتاب له الى العمّال الذين يطأ الجيش عملهم : من عبد اللّه علىّ امير المؤمنين الى من مرّ به الجيش من جباة الخرّاج وعمّال البلاد امّا بعد فانى قد سيّرت جنودا هى مارّة بكم ان شاء اللّه وقد اوصيتهم بما يجب للّه عليهم من كفّ الاذى وصرف الشذى وانا ابرأ اليكم والى ذمّتكم من معرّة الجيش الاّ من جوعة المضطر لا يجد عنها مذهبا الى شبعه فنكّلوا من تناول منهم شيئا ظلما عن ظلمهم وكفّوا ايدى سفهائكم عن مضارّتهم والتعرض لهم فيما استثنيناه منهم وانا بين اظهر الجيش فارفعوا الىّ مظالمكم وما عراكم ممّا يغلبكم من امرهم ولا تطيقون دفعه الاّ باللّه وبى فأنا اغيّره بمعونة اللّه تعالى ان شاء اللّه .

نقول للقوّة عرامة وللحول صولة وللقدرة هياج وعن هذه الدواعى ترى الجنّدى البسيط على بساطة قواه مترفعا على غيره تخشى بوادره ولا يخاف عليه من بادرة من سواه وعن هذا الدافع رأى الامام عليه السلام لزاما على نفسه ان يسبق بكتابه مسير جيشه وحركة عساكره الى كل منطقة تمرّ بها هذه الجيوش حتى يكون الناس والعمّال الذين يلون امورهم على أهبة واستحضار لذلك مخافة ان تحدث فى البين مزاحمات لا يراها الامام الشرعى مشروعة فان العساكر المتسعة تحتاج الى تحصين منها ولها وقد أعرب عليه السلام عن هذا المعنى بقوله فأنى قد سيّرت جنودا هى مارّة بكم لانكم فى طريقها وهذه المقدمة مشعرة بما يترتب عليها من احتمال المزاحمة ولذلك عقّب عبارته الأولى بقوله وقد اوصيتهم بما يجب للّه عليهم من كفّ الاذى عن الناس وصرف السوء عمّا يقع فى الطريق من زرع وضرع

وانسان وحيوان وفرّع على ذلك بانّه بعد ماقام بواجب الايصاء برئ الى الناس من معرّة الجيش فى حينها وبادرته فى وقتها لو حصل ذلك فى صدفة غير متوقعة وان وجب التنكيل بالمتهجم والمتجرم بعد ذلك واستثنى من المعرّة جوعة المضطر الذى لا يجد مخلصا من قهره لواجد الزاد ثم امر عليه السلام عمّال البلاد وجباة الخراج بتأديب من تحصل منه معرّة من الجيش اذا كانت عن ظلم كما ألزمهم بكفّ ايدى المواطنين اذا سفه منهم سفيه على الجيش كله او فرد منه ثم عقّب ذلك بانّه فى الاعمّ الأغلب مساير لجيوشه وانه ان لم يكن فى مقدمتها فهو حاضر فى ساقتها فليرفعوا اليه مظالم جيشه وما يعروهم من أمره ممّا لا يطيقون دفعه الاّ بدفع اللّه وقدرة الأمام القائم بالأمر وانهم اذا رفعوا اليه ذلك غيّر ما يحدث منهم وما يحصل لهم بمعونة اللّه تعالى .

وقوله عليه السلام فى كتاب له الى كميل بن زياد النخعى وهو عامله على هيت ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالبا الغارة امّا بعد فان تضييع المرء ماولّى وتكلفه ماكفى لعجز حاضر ورأى متّبر وان تعاطيك الغارة على اهل قرقيسيا وتعطيلك مسالحك التى ولّيناك ليس بها من يمنعها ولا يردّ الجيش عنها لرأى شعاع فقد صرت جسرا لمن اراد الغارة من اعدائك على اوليائك غير شديد المنكب ولا مهيب الجانب ولا سادّ ثغرة ولا كاسر شوكة ولا مغن عن اهل مصره ولا مجزع عن أميره والسلام .

كل موظف اذا تأخر عن حدود صلاحياته او تعدّى عنها حسب مضيعا لوظيفته تكليفا وترتب عليه اثر تضييعه وضعا ومن هنا أنبّ الأمام عليه السلام واليه كميل بن زياد على تضييعه امر ولايته المربوط به وتكلفه ماهو وظيفة غيره ويكفيه عنه من سواه وبيّن له ان ذلك منه عجز عن ادارة شؤنه

اللازمة له ورأى عليل انقاد معه ثم شرح له كلّياته التى قدّمها له بقوله وان تعاطيك الغارة على اهل قرقيسيا بما انهم من جماعة معاوية ومساندیه وتعطيلك مسالحك الموظف بحفظها والنظارة عليها ليس بها من يمنعها عن عادية المعتدين ولا يردّ الجيش عنها اذا هاجمها حينا بعد حين لرأى لاثبات له من الواقع ولا وزن له من المنطق وانت فى رأيك هذا الذى مشيت على ضوءه وعملت به صرت جسرا لمن اراد الغارة من اعدائك على اولياءك وقنطرة يمرّ عليها مناوؤك آمنين فى تهجمهم عليك ويجتازها محادّوك فارهين فى ترسلهم اليك غير شديد المنكب فى قبال اعدائك ولا مهيب الجانب امام من يبغيك بسوء ويريدك بباطل ولا سادّ ثغرة منهارة ولا كاسر شوكة شرعت عليك ووجّهت اليك ولا مغن عن اهل مصرك ولا دافع عن سكّان بلادك ولا مجز عن أميرك ماكلّفك به وارادك لأنجازه واذا استمرّ الوالى على هذه الحال اتلف نفسه وضيّع عمله وهدم سلطان امامه .

وقوله عليه السلام فى كلمة له : من نصب نفسه للناس اماما فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ومعلّم نفسه ومؤدبها احقّ بالأجلال من معلّم الناس ومؤدّبهم .

طبعا لا يجوز للانسان ان يؤم انسانا غيره الاّ وان تكون فيه مؤهلات التقدم من كونه افضل منه بدرجة حدّ الأقل فى كل مزية من مزايا الانسان الكامل ومن هنا يجب عليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وأن يؤدب من سواه بسيرته الحسنة يراها عليه فيتأثر بها قبل أن يؤدبه بلسانه المجرد عن عمله ومعلّم نفسه ومؤدبها احقّ بأجلال الناس له ممنّ يعلمهم بالفاظه ولم يتأثر هو بمعانيه ويؤدبهم بلسانه ويتخلّى عن الخلق الفاضل بسيرته .

وقوله عليه السلام وقد لقيه عند مسيره الى الشام دهاقين الأنبار فترجلوا له واشتدّوا بين يديه فقال ماهذا الذى صنعتموه فقالوا خلق منّا نعظّم به امراءنا :فقال :واللّه ماينتفع بهذا أمراؤكم وانكم لتشقّون على انفسكم فى دنياكم وتشقون به فى آخرتكم وما أخسر المشقة ورائها العقاب وأربح الدعة معها الأمان من النار ٠

الدهاقين جمع دهقان وهم الفلاّحون والترجل هو النزول من علا الدابة الى الارض والمشى عليها بالرجل واشتدّوا بين يديه اذا عدوا وتراكضوا وانما استفسر عليه السلام عن هذا العمل منهم لان العرب لايدينون بهذه السنن على انّها من خواص جيرانهم الفرس لان العرب كانوا يأنفون من الخضوع مطلقا وجاء الاسلام فدحر روح الانانية والتكبر من بين الناس قاطبة وجعل التواضع شعار المؤمنين باللّه وشفع الامام عليه السلام هذا الاستنكار منه عليهم بالمنطق ساقه اليهم ليعرفوا انّهم مخطأون فى سنّتهم هذه وان ماعوّدهم امراؤهم الأسبقون عليه عمل باطل وسنة خاطئة وقياس المنطق هو هذا :ان أمراءكم لا ينتفعون بترجلكم لهم وعدوكم بين ايديهم الاّ بأشباع نهمة وهمية هى احساسهم فى انفسهم العظمة حينذاك لكن هذا الاحساس لاواقع له بل الواقع هو وجود القدرة والنفوذ فان كانا حاصلين فهما كذلك حاصلان حتى مع التواضع والتجرد عن الاعتبارات وان كانا مفقودين فخيال الشىء لاقيمة له بالمرة هذا من ناحية الأمراء ٠

وامّا من ناحيتكم انتم فانكم بعملكم هذا توردون المشقة على انفسكم فى الدنيا من دون محصّل منها لان امرائكم لا يعطونكم على مشقتكم هذه اجرا وتتلبسون بالشقاء فى الآخرة لان عملكم هذا ممقوت للّه مبغوض عنده واذا كان الأمر على اللون الذى ذكرناه فما أخسر المشقة فى الدنيا

ووراثها العقاب فى الآخرة وما اربح الراحة فى الدنيا ويشفعها الأمان من النار فى الآخرة وهو حظ المؤمنين فقط لانهم لا يشقّون على انفسهم فى دنياهم ولا يتكبرون او يتصاغرون حتى يشقوا بذلك فى آخرتهم .

وقوله عليه السلام فى كتاب له الى قثم بن العباس وهو عامله على مكة:

أمّا بعد فان عينى بالمغرب كتب الىّ يعلمنى انّه وجّه الى الموسم اناس من اهل الشام العمى القلوب الصمّ الأسماع الكمه الابصار الذين يلتمسون الحق بالباطل ويطيعون المخلوق فى معصية الخالق ويحتلبون الدنيا درّها بالدين ويشترون عاجلها بآجل الأبرار المتقين ولن يفوز بالخير الاّ عامله ولا يجزى جزاء الشرّ الاّ فاعله فأقم على مافى يديك قيام الحازم الصليب والناصح اللبيب التابع لسلطانه المطيع لأمامه وايّاك وما يعتذر منه ولا تكن عند النعماء بطرا ولا عند البأساء فشلا .

العين هو الجاسوس والتجسس بنفع الحق فعل فاضل وبضرره عمل باطل وليس هو على اطلاقه مذموما ولا كلّ متجسس مبغوضا للناس والتجسس التفاتة قديمة فى البشر لانّ به حفظ وجود الفرد والمجتمع وتأمين حيثياتهما ذلك لان التغالب بين الحق والباطل نزعة قديمة فى افراد الانسان فترى كل فرد يحوك الدسائس لصاحبه لأجل ان يسلبه حقّه لا بحق اشباعا لنهمة الطمع التى لا تشبع لكنّ التجسس عند اهل الحق كان ضعيفا لان الورع كان يحجزهم عن الأستماع لكل حديث من كل متحدث :امّا الانتهازيون من السياسيين الذين يريدون تمشية امورهم بكل وسيلة ويحتالون لها بكل حيلة حقا كانت ام باطلا تهجما على برئ ام على متهجم فيعتبرون كوانين التجسس من أهمّ مقومات دولهم وحاكميتهم ولذلك يسعون لها بكل قواهم ويمدونها الكثير الوفير من قدرتهم ودولة معاوية من هذا القبيل فما قامت الاّ بالفتك والتجسس

والغدر والوعود الكاذبة ورضخ الرشوات وهذه الوسائل قوية التأثير في عوام الناس ولأجلها ضعف الحق والمحقّون وقوى الباطل والمبطلون ولا يشخص في الدنيا من يقتصر على الحق علما وعملا وكلما أمعن السياسي في الباطل زاد خوف الناس منه وهيبتهم له ومتى خافوه وهابوه قويت حاكميته بينهم وازداد نفوذه عليهم وطال زمان سلطانه وأخذ يمجّده لسان الشاعر وقلم الكاتب وتصوره ريشة المؤرخ بأحسن صورة وحذرا من فتك الدسائس ألفت الامام نظر واليه على مكة التي يؤمّها اشتات الناس بشتى الصور والرموز وان كان بظاهرة الايمان فينتهز السارق هذه الفرصة والشحّاذ هذه المواقيت والجاسوس هذه المجتمعات والمبلغون هاته المناسبات والدجّالون هذه الظاهرات .

وذكر له ان هذا الموسم ليس بموسم حجّ فقط بل هو موسم كسب وانجاز وعود ولقاء متواعدين ومجال تجسس وعرض افكار وآراء ودعاية الى حزب ومرام وتصريف دجل ومشعوذات وان الذين يتدرعون ظاهرة الدين ويرومون من وراء ذلك تحقيق امل وامنية يعتبرون هذه المواسم من اعظم الغنائم لانهم يواجهون بظواهرهم الجذّابة وبياناتهم الخلّابة اناسا يتوجهون الى قضايا الدين تلقى عليهم وبسطاء في عقلياتهم يصدقون بما يقال لهم من دون تصور له وكل العوام كذلك ونوع حاضرى المواسم عوام فلا جرم اذا استغلّ معاوية هذه المناسبات واستخدم لها من الزعانف بسمة انهم صحابة ومحدثون وعلماء دين لا يزيد عليهم عليّ في صحبة الرسول ولا يفضلهم بعلم والعوام تفوت عليهم هذه العناوين ويتأثرون بهذه الكلمات فأوجب على واليه ان يلتفت كل الالتفات الى هذه النكات وبيّن له الداعى الى جلب وعيه ان عينه بالمغرب :والشام مشمولة له في اصطلاح الاسبقين :كتب اليه يعلمه انّ معاوية وجّه الى موسم الحج

اناسا من اهل الشام العمى القلوب عن الحق الضعفاء البصائر بالنسبة الى الحقيقة الصمّ الأسماع عن وعى المنطق الكمه الابصار عن شهود آثار الحق والباطل والمحقين والمبطلين الذين يطلبون الحقّ بظاهر سماتهم وسطّحى كلماتهم ويتطرقون الى الباطل فى واقع سيرتهم ويطيعون المخلوق من معاوية واشباهه فى معصية الخالق الذى حرّم عليهم الدنو من الظالم فضلا عن الشركة معه فى اعماله الظالمة وافعاله الغاشمة وتحقيق منوياته الفاسدة ومقاصده الباطلة ويحتلبون درّ الدنيا بالتظاهر بالدين دجلا وتلبيسا ويشترون عاجل العيش باتلاف العاقبة ولن يفوز بالخير الاّ العامل به والمدعو بدعوته ولا يجزى جزاء الشر الاّ فاعله والمبعوث اليه بخبث باطنه فأقم على مافى يديك من عمل قيام الحازم الصليب الذكى الملتفت الساهر على مصلحة امامه ومواطنيه غير الكسل والناصح لوظيفته اللبيب فى توجهه غير الفشل التابع لسلطانه المتمتع بنعمته المطيع لأمامه المعتقد بامامته واياك وابداء المعاذير فيما بعد عند مايقضى عليك وتنتهب بلادك من بين يديك ولا تكن عند النعماء والراحة والأمن بطرا ولاعند البأساء ونزول الحوادث فشلا فان ذلك ليس من شارة الرجال ولا من شيم الأبطال .

وقوله عليه السلام فى كتاب له الى بعض عمّاله :أمّا بعد فأنى كنت اشركتك فى امانتى وجعلتك شعارى وبطانتى ولم يكن فى أهلى رجل اوثق منك فى نفسى لمواساتى ومؤازرتى واداء الامانة الىّ فلما رأيت الزمان على ابن عمّك قد كلب والعدوّ قد حرب وامانة الناس قد خزيت وهذه الأمة قد فتكت وشغرت قلبت لابن عمّك ظهر المجنّ ففارقته مع المفارقين وخذلته مع الخاذلين وخنته مع الخائنين فلا ابن عمك آسيت ولا الأمانة ادّيت وكأنك لم تكن اللّه تريد بجهادك وكأنك لم تكن على بيّنة من ربّك وكأنك انّما كنت

تكيد هذه الأمّة عن دنياهم وتنوى غرّتهم عن فيئهم فلمّا امكنتك الشدّة فى خيانة الأمة أسرعت الكرّة وعاجلت الوثبة واختطفت ما قدرت عليه من اموالهم المصونة لأراملهم وأيتامهم اختطاف الذئب الأزلّ دامية المعزى الكسيرة فحملته الى الحجاز رحيب الصدر بحمله غير متأثم من أخذه كانك ـ لا ابا لغيرك ـ حدرت الى اهلك تراثك من ابيك وامّك فسبحان اللّه اما تؤمن بالمعاد او ماتخاف من نقاش الحساب ايّها المعدود كان عندنا من ذوى الألباب كيف تسيغ شرابا وطعاما وانت تعلم انك تأكل حراما وتشرب حراما وتبتاع الأماء وتنكح النساء من مال اليتامى والمساكين والمؤمنين والمجاهدين الذين أفاء اللّه عليهم هذه الأموال وأحرز بهم هذه البلاد فاتق اللّه وارد الى هؤلاء القوم اموالهم فانك ان لم تفعل ثم امكننى اللّه منك لأعذرنّ الى اللّه فيك ولأضربنك بسيفى الذى ماضربت به احدا الاّ دخل النار واللّه لو أن الحسن والحسين فعلا مثل الذى فعلت ماكانت لهما عندى هوادة ولا ظفرا منّى بأرادة حتى آخذ الحقّ منهما وازيح الباطل عن مظلمتهما واقسم باللّه رب العالمين ما يسرّنى انّ مااخذت من اموالهم حلال لى اتركه ميراثا لمن بعدى فضحّ رويدا فكأنّك قد بلغت المدى ودفنت تحت الثرى وعرضت عليك أعمالك بالمحلّ الذى ينادى الظالم فيه بالحسرة ويتمنّى المضيّع الرجعة ولات حين مناص ٠

الأمانة فى كلام الأمام هنا يراد بها امامة المسلمين والشعار هو الثوب الذى يلى جسد الأنسان واصل اشتقاقه من الشعر النابت على البدن الملاصق له والبطانة فى الأصل هو الوجه الداخلى للثوب واستعمل بالمناسبة لخاصة الأنسان والمؤازرة هى التقوية وكلب الزمان اذا اشتدّ وهو فى الأصل داء يحدث فى الكلاب احيانا فيكون فيها هياج وانزعاج وحرب العدوّ اذا شهر بعداوته وخزى اذا افتضح والفتك

هو الوثوب على الطرف غيلة وشغرت رجله اذا خلت من مكانها والمجنّ هو الدرقة :والدرقة اذا أعطى باطنها للطرف افاد الاطمئنان والأمان واذا قلب باطنها وابرز ظاهرها كان ذلك امارة لزوم اخذ الحذر والكيد هو الحيلة والدجل والغرّة هى اقتناص الغفلة والذئب الأزلّ هو الخفيف الوركين ومتى كان كذلك أسرع فى عدوه وخفّ عليه ركضه أعذر الى اللّه فيه اذا قام بتمام الواجب عليه فى مقابل طرفه والهوادة هى المصالحة والمسامحة :وضحّ رويدا مثل يساق فى مقام ارادة التأمل والتأنى لاستتمام الشعور وانضاج الفطنة وأصله أن يعلف الانسان ابله فى الضحى ويسرع فى المسير وابله لم تشبع بعد وكلمة رويدا تشعر بالتأمل حتى تشبع الدّابة ثم يسير بها صاحبها ويوم الحسرة هو يوم القيامة والمناص هو المخلص .

مضمون هذا الكتاب يفيد بصراحة ان المخاطب به كان من بنى اعمام الأمام عليه السلام وانه كان شخصا معتدا به ومحلّ ثقة عنده ومعدودا لديه من اولى الألباب ولا ينطبق هذا الوصف الاّ على عبد اللّه بن عباس لان اخوته لم يكونوا على طرازه ولا من مقولة ماتضمنه هذا الفصل وللأمام بنوا عمام آخرون وفيهم المثقفون لكنهم ليسوا كابن عباس كما لم يتهم منهم احد كما اتّهم هو ونحن لا يمنعنا عن اتهام ابن عباس فضله وعلمه فكم من فاضل انغمس فى الباطل وعالم قارف المآثم وانما يمنعنا اخلاصه لأمير المؤمنين ومناضلته دونه قبل خلافته وحين امارته وبعد وفاته وحبّه للحسنين حبّا أحرزته المواقف الحساسة بينه وبين خصومهم من آل ابى سفيان وآل الزبير وفصول هذا الكتاب لاذعة شديدة التقريع على ان التاريخ الصحيح لم يثبت فرقة لابن عباس عن الأمام فى حين من الاحيان ولم يقذفه بمثل هذه الخيانة بل الفعلة الشنعاء واللّه اعلم بحقائق الامور

وما احتوت عليه مضامير الدهور .

ومعنى اشركتك فى أمانتى اننى جعلتك شريكا لى فى امامة الناس وامارة المؤمنين باستعمالى ايّاك على قطر من أقطارهم وبلد من بلدانهم تأمرهم وتنهاهم وتحكم فيهم ثم خصّه بأوصاف لاتكون فى سائر العمّال فذكر انه عليه السلام اتخذه خاصة له ولصيقا به واعتبره ثقة عنده واميناً لديه ومواسيا لا يشك فى مواساته ومؤازرته .

ويشعر قوله فلما رأيت الزمان على ابن عمّك قد كلب ان انحراف هذا العامل كان بعد خسارة الأمام موقفه من صفين وانتقاض الأطراف عليه وكثرة الغارات من هواة معاوية على اماراته وخيانة جملة من عمّاله لأماناته وفتك الناس بعضهم ببعض من تفسخ الحكم الذى كان يقهرهم على الأصاخة للحق والخوف من سوط الحاكم ؛ومعنى قلبت لابن عمك ظهر المجن انك تغيّرت عليه ففارقته بعد أن كنت معه وخذلته بعد ان نصرته وخنته بعد أن وفيت له وتلبست بكل العيوب ولابست جملة الذنوب شرعية وعرفية فلم تعطفك القرابة فتواسى ابن عمك اجابة للصوق الرحم ولم تحفظ الذمام بأداء ما ائتمنك عليه وخصّك دون بقية الناس به كما لم تثر فيك حمية الدين ان كنت من المتدينين الصادقين فترعى اللّه فيما دنت له فيه حتّى كأنّك لم تكن اردت اللّه بجهادك الذى جاهدت بين يدى رسوله فيما سلف من ايّامك ولم تكن على بيّنة من ربّك فيما ظهر عليك من انقيادك له وانما كنت بجهادك وما تظاهرت به للمتدينين من اعتقادك تكيد هذه الأمة عن دنياهم وتحاول عرض هذه الحياة بالدجل فى دينهم وتنوى غرّتهم وغفلتهم وبساطتهم وصفائهم عن فيئهم وجلب اسيافهم فلما سنحت لك الفرصة وامكنتك الشدّة فى خيانة الأمّة وابتزاز حقوقهم اسرعت الكرّة عليهم وعاجلت الوثبة فيهم واختطفت مستعجلا ماقدرت عليه من اموالهم

التى صانها ائمة الحق لأراملهم وايتامهم وعجزتهم ومستحقيهم اختطاف الذئب السريع دامية المعزى الكسيرة التى قعد بها الضعف عن الامتناع وأنامها للافتراس قصر الباع فحملت ما اختطفت الى الحجاز الذى هـو معطنك وموطنك رحيب الصدر مسرور القلب بحمله من غير حلّه الى غيـر أهله لامتحرجا ولا متأثما من اخذه كانك ـ لاابا لغيرك ـ حدرت السى أهلك تراثك من ابيك وامّك او اتحفتهم بكدّ يمينك وعرق جبينك أواصفيتهم بما أهداه لك الناس عن طيب خاطر وصفاء نفس فسبحان اللّه ـ كلمـة تقال بباعث مزيد التعجب ـ أما تؤمن بالمعاد على اللّه والوفود عليـه والوقوف بين يديه او ماتخاف من نقاش الحساب من محاسب لا يغادر قلمه صغيرة ولا كبيرة الاّ أحصاها ايّها المعدود قبل فعلتك هذه عندنا من ذوى العقول والألباب والبصائر والأفهام كيف تسيغ شرابا وطعاما وترتفق بما تعلم انه حرام لا يجوز لك امساكه فضلا عن التصرف فيه وكيف يحلّ لـك ان تبتاع الأماء وتتزوج النساء من اموال اليتامى المعوزين والمساكيـن المحتاجين والمؤمنين المستحقين والمجاهدين المناضلين الذين أفـاء اللّه عليهم هذه الأموال وخصّهم بهذه الحقوق لاحرازهم البلاد بجهادهم وصونهم العباد بنضالهم ونصرتهم للدين وتعزيزهم لمكانة المؤمنين فاتق اللّه اتقاء من عرفه فخشيه واردد الى هؤلاء القوم أموالهم التى استلبتهـا وحقوقهم التى استبحتها فانك ان لم تأتمر بما أمرتك ولم تستجب الـى مادعوتك ثم امكننى اللّه منك وساعدنى القدر عليك لاعذرنّ فيك الى اللّـه بما اقيم به محجته وادفع عن نفسى حجته ولأضربنّك بسيفى الذى ماضربـت به أحدا الاّ دخل النار لاننى لاأسلّه من غمده ولا أغمده فى جفنه الاّ بما يرضاه اللّه ويريده ثم أقسم عليه السلام له ليزيده يقينا بما ينطوى عليه فى مقام احقاق الحق وابطال الباطل بان الحسن والحسين على جليـل

موقعهما عنده وعند جدّهما لو فعلا مثل الذى فعل من الباطل لما كانت لهما عنده مسامحة ولما حصّلا منه على طائل من غضّ النظر والسكوت عن المؤاخذة :ثم ذكر له انّ المؤمن المتقى لا يجوز ان يسرّه المال ولو كان جمعه من حلال اذا تركه ميراثا لمن بعده ولم يقم بواجب انفاقه فى حينه على مستحقيه لأن اللّه سبحانه انذر المحتكرين الذين يكنزون الذهب والفضة بان لهم عذابا أليما عنده فكيف بمن يكنزه من باطل ويجمعه من حرام ويزويه عن اهله ويسلبه من مستحقه واذا كنت رشيدا فتأمل اوغافلا فتنبه واحسب لدينك حسابه كما تحسب لشهوتك حسابها فكأنك قد انهيت ايّامك وبلغت المدى واضطمت عليك جوانب الثرى ثم بعثت من مرقدك وقمت لحسابك وعرضت عليك اعمالك فى يوم ينادى الظالم فيه بالحسرة على مافرّط فى جنب اللّه ويتمنّى مضيع الفرصة فى دنياه رجعته الى الدنيا ولات حين مناص .

وقوله عليه السلام فى كتاب له لعبد اللّه بن العباس عند استخلافه ايّاه على البصرة : سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك وايّاك والغضب فانه طيرة من الشيطان واعلم انّ ماقرّبك من اللّه يباعدك من النار وما باعدك من اللّه يقرّبك من النار .

سعة الوجه انبساطه وعبوسه انقباضه والحكم هو القضاء والطيرة هى الخفّة والتسرّع:امره عليه السلام ان ينبسط للناس بثلاثة أمور (١) أن يشهدوا منه وجها بسّاما طلقا بشّاشا حتى لا يستنكروا الحياة ويسيئوا الظن بالخالق وانه انما خلقهم للشقاء والعناء والمحكومية للناس والوقوع تحت نير الاقوياء نعم يجب على الأنسان ان يعرض عن طرفه ويلاقيه بالعبوس اذا شاهد منه انحرافا عن الحق وانجرافا مع الباطل عن عمد وقصد وهو من صور الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر (٢) أن يشهدوا منه

تواضعا فانه لاضیق مع التواضع کما قیل سمّ الخیاط لدی الاحباب میدان امّا المتکبر فان طرفه یتضایق منه حتی لو کان المکان المحتوی علیهما یسع مئآت الناس (٣) أن یشهدوا منه عدلا وانصافا فان العدل وهو المشی علی الجادة الحقّة واجراء القانون الصحیح یسع کل انسان الاّ الذی یرید امتیازا من دون حق وانحیازا الی التغلب علی غیره لأرضاء شهوة النفس وهذه الأرادة لاوزن لها :ثم نهاه علیه السلام عن الغضب ولیس المنظور بهذا النهی توجیهه الی ذات الغضب بما هو حالة نفسانیة لان ذلك خارج عن قدرة الأنسان بل المنظور عدم متابعة الغضب فی مُستدّ عَیاته من الأطاحة بالطرف والتهیّج الزائد والتأثر الکثیر وهذا هو الذی عبّر عنه الأمام بانّه خفّة من الشیطان ثم أعطاه علیه السلام قاعدة کلّیة واضحة البرهان وهی انّ کل ماقرّب الانسان من ربّه فقد بعد به عن عذابه وکل ماقرّبه من سخطه فقد باعده عنه نعوذ باللّه من سوء المنقلب ٠

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وقوله علیه السلام فی کتاب له الی قثم بن العباس وهو عامله علی مکة : امّا بعد فأقم للناس الحجّ وذکّرهم بایّام اللّه واجلس لهم العصرین فأفت المستفتی وعلّم الجاهل وذاکر العالم ولا یکن لك الی الناس سفیر الاّ لسانك ولا حاجب الاّ وجهك ولا تحجبنّ ذا حاجة عن لقائك بها فانها ان ذیدت عن ابوابك فی اوّل وردها لم تحمد فیما بعد علی قضائها وانظر الی مااجتمع عندك من مال اللّه فاصرفه الی من قبلك من ذوی العیال والمجاعة مصیباً به مواضع الفاقة والخلاّت وما فضل عن ذلك فاحمله الینا لنقسمه فیمن قبلنا ومر اهل مکة ان لا یأخذوا من ساکن أجرا فأنّ اللّه سبحانه یقول سواء العاکف فیه والبادی فالعاکف المقیم به والبادی الذی یحجّ الیه من غیر اهله وفّقنا اللّه وایّاکم لمحابّه والسلام ٠

اقامة الشیء فی المادیّات تقویمه وفی المعنویات رفعه وتشییده وترکیزه والحجّ فی اللغة هو القصد وفی اصطلاح الشریعة قصد مخصوص لأماکن مخصوصة بکیفیة منصوصة وقد تکلمنا عن فلسفة الحج وتوظیفه فی المجلدات السابقة من هذا الشرح والأفتاء هو ابداء حکم المسألة فی الموضوع المسؤل عنه طبق المیزان العلمی والعصران الصبح والعصر لانهما مظنّة نشاط الناس والسفیر هو الواسطة والحاجب هو الدربان فی لغة الفرس والبوّاب فی لغة العامّة من العرب والذود هو الدفع والخلاّت جمع خلّة وهی النواقص المادیة التی تضایق حیاة الانسان والفضل هو الزیادة والأجر هو الکراء .

امره علیه السلام فی خصوص الموسم بأن یقوم بتمام شعائره حتی یعرف الناس نتیجة ماتعبوا له وأجهدوا انفسهم وصرفوا اموالهم فی سبیله وان یذکرهم علی طول الخط بانتقام اللّه وانعامه الأول لمن کفر به وظلم کالقراعنة والقیاصرة والأکاسرة ومن الی ذلك والثانی لمن آمن به واحسن کالنبیّ محمّد وغیره من الصالحین الذین انعم اللّه علیهم بالعزّة والکرامة وحسن السمعة وطیب الشهرة حتّی یکون ذلك زاجرا للفاسق ومشوّقا للمؤمن وان یجلس لقضاء حاجات الناس فی انشط الاوقات عندهم وذلك یکون صبحا لان الانسان حینذاك یکون قد اخذ راحته بنوم اللیل وعصرا لانّه ریّان شبعان غیر تعب ولا ضجر وحاجات الناس عدیدة فمنها الاستفسار عمّا هو وظیفتهم من المسائل المربوطة بهم فی الدین الذی یدینون به وهو دین الاسلام ومنها تعلیم العلوم المفیدة بنشأتیهم المادیّة والمعنویة ومنها ان یذاکر مثله لترکیز حقیقة واحقاق حق وابطال باطل فان العالم لا ینضج علمه الاّ بالمذاکرة ووضع عقله فی مجتمع العقول وان یکون متبسطا فی حیاته غیر متکلف لان التکلف یزعج النفس اولا ویمنع

عن الاتصال بالمقصود ثانيا ولا ريب انّ لسان الانسان احســن معبّــر لمقاصده من غيره لاتصاله المباشر بها بخلاف السفير فانّه ربما يعبّر عــن مطلب يظن انّه قد فهمه وواقع المقصد غيره وقد يقصر به الأداء ويحصــره البيان عن الأصحار بما تحمّل مسؤليته وان يكون باب الناس فى الأتصال به وجهه بحيث يلاقونه ويلاقيهم من دون توسيط واسطة وعليــه يكــون استثناء الوجه من الحاجب استثناء نقيض فان من يلاقى الناس وجهــا لوجه لا يكون معه حاجب بالطبع ثم أوصاه بان المطلب الذى لو عرض عليه لقضاه لأهله لانّه حق لا يجوز له ان يتعلل فيه بالحجاب والأوعاد وتوسيط الشفعاء فانه اذا قضاه مع هذه الحالة لم يكن له رونق ولا فيه محمدة امّــا اذا قبل عرضه بادئا ورآه حريا بالأنجاز فأنجزه انجازا مباشرا كان لــه وقعه وثمنه ثم ألفت نظره الى ما يجتمع عنده من اموال الدولة من طريــق عمّال الخراج فبيّن له ان المصرف الذى يجب ان يسبق غيره فى الصــرف عليه هو تأمين ما يحتوى عليه بلاده الذى تحت قيادته من جنّدى وشرطىّ وعامل وفقير ومستحق ومعوز ذى خلة فاذا فضل من المال عن حقوق هؤلاء شىء بعث به الى الخزانة العامة التى هى تحت نظر الأمــام المعدّة للطوارئ العامّة البلوى وفى الختام ألزمه ان يأمر اهل مكّة القاطنين فيها بنحو التوطن ان لا يأخذوا من ساكن كراية منزل اتباعا لقول اللّه سبحانه سواء العاكف فيه والباد وفسّر له العاكف بالمقيم طال مقامــه ام قصــر والبادى بالطارئ الذى يأتى به الموسم لأداء المناسك ثم دعا عليه السلام له ولنفسه بالموفقية لكل ما يحبّه اللّه ويرضاه .

وقوله عليه السلام من خطبة له :ان الوفاء توأم الصدق ولا أعلم جنّــة أوقى منه ولا يغدر من علم كيف المرجع ولقد اصبحنا فى زمان قد اتخــذ اكثر اهله الغدر كيسا ونسبهم اهل الجهل فيه الى حسن الحيلة مالهم

قاتلهم اللّه قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيلة ودونه مانع من امر اللّـه ونهيه فيدعها رأى عين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لاحريجة له فى الدين .

الوفاء هو انجاز الوعد والعمل طبق العهد والتوأم القرين والجنّة هى مايترس به والغدر هو نقض العهد ونكث الوعد والكيس الفطنة والعقل والحوّل القلّب هو الذى يحوّل الامور ويقلّبها ويتوسمها ويكثر التردد فى وجوهها حتى يعرفها معرفة تامّة والانتهاز هو المبادرة على غفلة او تغفيل للطرف ومن لاحريجة له هو الذى لاتحرز عنده ولا ورع ولا حائطة .

وانت بعد أن عرفت انّ الوفاء هو انجاز الوعد والعمل طبق العهد تلتفت الى انه قرين الصدق ومن هنا قيل فلان صادق الوعد والعهد لمكان وفائه بهما وانما يكون الوفاء جنّة من طريقين (الأوّل) انه يقى عرض الانسان وشرفه من الافتضاح لان الغادر مذموم مشتوم (الثانى) انه يقيه من عذاب اللّه وخزى يوم القيامة لان الغدر منهى عنه فى لسان الكتاب والسنة نعم استراح كثير ممنّ مارس السياسة ومن اقتدى بهم الى الوعود الكاذبة والعهود المزعومة انتهازا لصفاء البسطاء حتى يقضوا مآربهم من طريق هذا الدجل اعاذنا اللّه منه ومن أهله ولاشكّ ان من يعتقد بالمعاد على اللّه وما يستلزمه من ثواب وعقاب لا يغدر لالكون الغدر رذيلة فحسب بل لأن الغادر مؤاخذ معاقب وعقاب اللّه ثقيل على من يعتقد به .

هذا وكل انسان باعتبار ان زمانه بين يديه مشهود له ومكشوف لديه وما سلف قبله محجوب عليه ويرى فيه من الهنات الكثير الوفير نراه يشيد الذم فى استعراضه وبيان جرائمه وسخائمه وهو له الحق فى كل ذلك وعلى هذا الملاك ينطبق قوله عليه السلام ولقد اصبحنا فى زمان قد اتخذ

اكثر اهله الغدر كيسا ونسبهم اهل الجهل فيه الى حسن الحيلة امّا كون الرذائل من الأمور الرائجة بين افراد البشر قديما وحديثا فهو ممّا لا ريب فيه اذ لم تشهد البشرية عصرا غلبت فضائله على رذائله وأفاضله على اراذله ولاغرابة فى ذلك بعد أن كان الجهل هو الحجر الأساسى لنشأة كلّ انسان حتّى يتعلم بالكسب والتمرّن وامّا اتخاذ اكثر الناس ظاهرة الغدر من الكيس والفطنة والعقل فلأن الجاهل لا يعرف وراء تحقيق منوياته هدفا فاذا استطاع ان يحقق اهدافه بالكذب والغدر والخيانة وما الى ذلك عدّ ما يفعله من نفسه لباقة تامة وفطنة محمودة وعقلا ناضجا وتابعه على وصفه بهذه الأوصاف كل الناس الآ من عصمه اللّه بالتقوى وحرّية الضمير ومن هنا اشتهر عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومئآت سواهم فى القديم والحديث بالعقل وحسن الفطنة ونفاذ الرأى لكنّ الأمام عليه السلام فنّد هذا النظر الزائف بقوله مالهم قاتلهم اللّه قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيلة ودونه مانع من امر اللّه ونهيه فيدعها رأى عين بعد القدرة عليها وينتهز فرصتها من لاحريجة له فى الدين مريدا انّ مبادرة الفرصة وعدم مبادرتها ليسا معلولين للفهم والبلادة بل هما فى الأعمّ الاغلب معلولان لوجدان الضمير وعدمه فربّ واجد للضمير مع تمام توجهه للمطالب ووقوفه على اعماق الامور وفائدتها لو استغلها لدنياه يرفضها انقيادا لأمر اللّه بالرفض وانتهاء بنهى اللّه عنها امّا فاقد الضمير فيعدّ سنوحها له من أحسن فرص الزمان وهذا هو الفارق بين واجد الدين وفاقده والعالم العامل والشيطان المنتهز.

وقوله عليه السلام من كلام له وقد أشار عليه اصحابه بالاستعداد للحرب بعد ارساله جرير ابن عبد اللّه البجلى الى معاوية: ان استعدادى لحرب اهل الشام وجرير عندهم اغلاق للشام وصرف لأهله عن

خير ان ارادوه ولكن قد وقّت لجرير وقتا لا يقيم بعده الاّ مخدوعا اوعاصيا والرأى عندى مع الأناة فأرودوا ولا اكره لكم الأعداد ولقد ضربت انف هذا الأمر وعينه وقلّبت ظهره وبطنه فلم ار لى الاّ القتال او الكفر انّه قد كان على الناس وال أحدث احداثا واوجد للناس مقالا فقالوا ثم نقموا فغيّروا.

الأستعداد للشيء اخذ العدّة له واغلقت البلاد على فلان اذا قطعت عنه وحيل بينه وبينها والمخدوع هو الذى يتأثر بالخديعة والأرواد الأمهال والأناة التأنّى :انف الأمر وعينه مواضعه الحسّاسة وتقليب الظهر والبطن زيادة الفحص .

الاستعداد للحرب له معنيان احدهما فى طول الآخر فالأستعداد السابق هو توطين النفس وتركيز العقيدة والتهيؤ البدائى والأستعداد اللاحق هو اخذ العدة التى يكون ورائها العمل ومناجزة العدوّ بالقتال المباشر وعلى هذا فقول الأمام عليه السلام ان استعدادى لحرب اهل الشام وجرير عندهم اغلاق للشام يراد به الأستعداد المتعقب بالقتال وهدفه من كلمته هذه اننى اذا أخذت بأعداد جيوشى وتسيير مقدماتى وتشهير امرى بالحرب لمعاوية وسفيرى عنده ، فقد ناقضت نفسى اوّلا واغلقت الشام علىّ ثانيا وصرفت اهله عن خير المتابعة لى ان ارادوه ثالثا وكلّ هذا غير جائز فى مقام الانذار ولكننى قد وقّت لسفيرى وقتا محدودا وامدادا بعد وصوله الى معاوية مضبوطا لا يقيم بعد هذا الوقت عنده الاّ لأمر من امرين احدهما وقوعه تحت تأثير معاوية وخداعه فينقطع عنّا لغلبة الخدعة عليه وثانيهما تمرده علىّ لاستجلاب معاوية له بالوعود المقبلة والرضائخ المعجلة ان فرض فيه انحراف عند ذاك فاذا وصلت بنا الايام لميعادنا معه ولم يأتنا بواحدة من اثنتين انقياد الشام لنا او تغلتها علينا كان ذلك مبررا لجرّ الجيوش وتشهير الحرب امّا قبل ذلك فالرأى عندى مع

الأناة والتأمل والأمهال حتى نصل للميعاد المؤقت مع انى لا اكره لكم الأعداد بمعنى توطين النفوس وعقد العزيمة وبعث النشاط والتهيوء البدائى فان ذلك خير معين للأنسان على احراز حقه وبعث همّته .

ثمّ بيّن لهم ان موقفه من معاوية لا يخلو من احد امرين امّا مناجزته للقتال ان ابى عليه واستبد بما فى يديه وتحدّى امامة المسلمين بنيله للزعامة عليهم بشتّى الوسائل وامّا كفره بدين محمّد مع الأرخاء لمعاوية ذلك لان معاوية لا يحاول الاّ تركيز نفسه واهل هواه وما هو فى نفسه الاّ منافق من المؤلفة قلوبهم وما هواته الاّ البعيدون عن الدين فى مفهومه ومصداقه جميعا فأخلاء السرب لهم دكّ لشريعة الأسلام واتلاف لخدمات نبيّه وتشتيت لشمل المؤمنين وبعث للجاهلية من مرقدها وقد حصل كل ذلك باستقلال معاوية وذويه من بنى امية فى الملك ولم يبق من الاسلام معهم الاّ اسمه الفارغ وعنوانه الذى لا يشفّ عن واقع راهن بالضرورة من مجالى العيان وامّا تقديس العامة له فتقديس قائم بالتعصب مركومة احجاره بالعواطف ولا يمت الى الدين بقليل ولا كثير .

ثم ألفت نظر الناس الى خدعة معاوية لغوغائهم فى تخلفه عن بيعة على بأن عثمان قتل مظلوما وان عليا مساهم فى قتله ولجأ حصين لقاتليه بقوله ان عثمان لم يقتله من قتله الاّلأنّه أحدث احداثا وابدع بدعا فى الأسلام لم يعهدها المسلمون فى زمن نبيّهم ولا فى خلافة من تخلف بعده فنقموا عليه وما زاده عتابهم وانتقادهم له الاّ امعانا فى اذيّتهم وتعمقا فى الحطّ من كرامتهم فغيّروا حكومته وقلبوه عن عرش استبداد فأن كانوا محقّين فى فعلهم فما لمعاوية من حق فى الطلب بدمه وان كانوا مخطأين كان من وظيفة معاوية خضوعه لأمام الوقت ثم الترافع عنده فى مسألة الناقمين القاتلين وامّا الحيازه الى جانب مقابل وادعاؤه الأمامة

لنفسه فأمران ليس معهما من المنطق شيء ولا من الدين اقلّ مبرّر ·

وقوله عليه السلام فى كلام له وقد استبطأ اصحابه اذنه لهم فى القتال بصفين :امّا قولكم كل ذلك كراهية الموت فواللّه ماأبالى أدخلت الى الموت او خرج الموت الىّ وامّا قولكم شكّا فى اهل الشام فواللّه مادفعت الحرب يوما الاّ وانا أطمع ان تلحق بى طائفة فتهتدى بى وتعشو الى ضوئى وذلك احبّ الىّ من ان اقتلها على ضلالها وان كانت تبوء بآثامها ·

أشير بلفظ ذلك فى قوله كل ذلك الى تمديد الوقت والأرخاء للطرف فى المناجزة فأبان الأمام لهم فى علة هذا التمديد انه لم يفعل ذلك كراهة للموت فانه ماابالى طيلة عمره بالموت سواء قصده الموت وتحدّاه امهو قصد الموت واراده ولا شكّا فى قتال اهل الشام انه على حق او باطل حتى يدعونى الشكّ الى مدافعة الوقت معهم وانما فعل ذلك طمعا فى ان يهتدى الى طريق الصواب من هذه الجموع المغفلة طوائف او افراد وهذا فى نظر الأمام ــ والواقع معه ــ احبّ اليه من ان يقتلها على ضلالها وان كان لو فعل كانت هى الحاملة لاوزارها القائمة بآثامها لأن وظيفة المكلف التفهم والسؤال عن مجارى اموره مع الحياة حتى لا يقع فى اخطار مخالفة الواقع ·

وقوله عليه السلام فى كلمة له :لا تقتلوا الخوارج بعدى فليس من طلب الحقّ فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه :لا شكّ انّ بين واجد الضمير وان خبط فى الغفلات وفاقده وان تدّرع ببعض المجاملات والمصانعات فروقا جمّة لها تأثير قهّار فى مجارى الحياة فجبهة الخوارج وجبهة معاوية واصحابه وان اقترنت حياة الناس معهما بأفسادات جمّة وازعاجات مهمّة الاّ ان افساد الخوارج ناشئ عن خطأهم فى المشى وراء الحق ودرك الحقيقة وافساد معاوية وحزبه حاصل عن تعمّد وتقصد لأقامة الباطل مقام

الحق حبا للباطل وبغضا للحق وانما قاتلهم الأمام عليه السلام كفّا لأفسادهم وتهجمهم العارم ولم ينه الناس عن قتالهم بعده اذا استمرّوا على التخريب وانّما نهاهم ان يعتبروا عقيدتهم ملاكا فى جواز تقتيلهم بخلاف معاوية وحزبه فان الذى يجيز قتالهم أمران اصل عقيدتهم فى الحياة مع الناس وهى حبّ الباطل وبغض الحق وسعيهم فى الفساد والأفساد على طول الخط وكلا الملاكين يبرّران قتل هؤلاء .

وقوله عليه السلام فى خطبة له :ايّها الناس لا يستغنى الرجل وان كان ذا مال عن عشيرته ودفاعهم عنه بأيديهم والسنتهم وهم أعظم الناس حيطة من وراءه وألمّهم لشعثه واعطفهم عليه عند نازلة اذا نزلت به ولسان الصدق يجعله اللّه للمرء فى الناس خير له من المال يورّثه غيبتره الا لا يعدلنّ عن القرابة يرى بها الخصاصة ان يسدّها بالذى لا يزيده ان أمسكه ولا ينقصه ان أهلكه ومن يقبض يده عن عشيرته فانما تقبض منه عنهم يد واحدة وتقبض منهم عنه أيد كثيرة ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودّة .

كلمة العشيرة اصل اشتقاقها من العشرة وهى الخلطة والأمتزاج وهكذا افراد العشيرة الواحدة فانهم مختلطون ممتزجون تمازج افراد البيت الواحد وهذا التمازج له اثره القهّار فى جلب العواطف وتبادلها فيما بين الأفراد المزبورين ومن هنا قال الأمام عليه السلام ايّها الناس انه لا يستغنى الرجل وان كان ذا مال عن عشيرته فان المال وان كان قليل النظير فى دفع الشّر وجلب الخير وتكثير الأعوان واستبعاد الناس بالأحسان الاّ ان ذلك كله لا يغنى غناء العشيرة فأنها بتعاون افرادها تقوم مقام المال الوافر وتزيد عليه بدفاع الأيدى والألسن والحيطة ولمّ الشعث والعطف عند النوازل وحلول الكوارث والحوادث هذا وان الذكر

الجميل الذى يكون للأنسان فى حياته وبعد مماته خير له من المال يجمعه ويورّثه غيره ومهما كان هذا الغير لصيقا به قريبا منه ومن هنا ألفت الأمام نظر كل انسان الى انه لا يجوز له ان يعدل عن قرابته ورحمه يرى فيهما خصاصة وعوزا وحاجة ان يسدّها من ميسرته بالذى لا يزيده مالا ولا يقوّيه حالا ان أمسكه وبخل به ولا ينقص ثرائه وقدرته ان اهلكه وانفقه ثم برهن على ماقال ببرهان قوىّ قويم بأن من يقبض يده عن عشيرته ويمنعهم ذات يده فأنّما تقبض عن العشيرة الوفيرة من ناحيته يد واحدة ولا اثر لتخلف ذلك عنها وتقبض منهم عنه لانقطاعه عنهم وبينونته منهم ايد كثيرة وما اكثر دخول الضرر عليه او عدم النفع له بهذا القبض عنه ومن تلن حاشيته وعريكته وتحسن أخلاقه وطباعه يستدم من قومه المودة ويجلب منهم المحبّة ويطل بقاؤهم له وبقاؤه لهم وفى ذلك من القوّة له مالا يحدّ بحدّ ولا يأتى عليه بيان .

وقوله عليه السلام من كلام له وقد سمع قوما من أصحابه يسبّون اهل الشام ايّام حربهم بصفّين :انّى اكره لكم أن تكونوا سبّابين ولكنكم لووصفتم أعمالهم وذكرتم حالهم كان أصوب فى القول وابلغ فى العذر وقلتم مكان سبكم ايّاهم اللّهم احقن دماءنا ودمائهم وأصلح ذات بيننا وبينهم واهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحقّ من جهله ويرعوى عن الغىّ والعدوان من لهج به .

السبّ هو ذكر عرض الطرف او اهله او من يمتّ اليه بقذر القول تنقيصا وحطّا من كرامته ولا شكّ ان لغة السبّ والشتم ومقالة القذر من القول من اسقط صفات النفس وارذل أخلاقها سواء أكان الطرف مستحقا لتلك المقالة تقال فى حقه ام غير مستحق وهى مع ذلك من ادّل الامور على جهل السابّ والشاتم وعجزه عن مقاومة قبيله بالحجة يقيمها عليه والبرهان

يدلى به اليه امّا الأنسان الذى لقن حجته وعرف وضعه ومصيره من الحياة لا يقاوم طرفه الاّ بالحجج ليسوقها اليه ويقنّد بها عمله ويظهر من طريقها للناس نقصه ومن هنا قال عليه السلام لأصحابه انى اكره لكم ان تكونوا سبّابين فحّاشين بذيئى الألسن قذرى القول ولكنكم لووصفتم أعمالهم بما هى عليه من الانحطاط والرداءة والسوء والسقوط وذكرتم حالهم من الأنهيار الأخلاقى والتيه فى اودية الضلال كان أصوب فى القول من الفحش والسباب وأبلغ فى العذر اليهم فى مناجزتهم القتال وسوقهم الى الحرب واراقة دمائهم فى سبيل الحق وقلتم مكان سبّكم ايّاهم وشتمكم لهم اللّهم احقن دماءنا ودمائهم بتبصيرهم الحق وارائتهم الواقع وأصلح ذات بيننا وبينهم حتّى يرتفع الخلاف ويحلّ محلّه الوفاق واهدهم من ضلالتهم التى هم عليها وانحرافهم عن الحق حتى يتوجه الضّال منهم اليه ويتأخر عن ارتكاب الغواية والعدوان من لهج لسانه به ومرنت اعضاؤه عليه :وفى هذه الثقافة الراقية التى تمتّع بها الأمام من الأدب الاجتماعى والتعليم الحىّ روح قوىّ جدّا لاتوجد ادنى شائبة منه فى اعظم الرجال وأهمّ الزعماء الكبار وقد برهن الشهود المحسوس على ذلك .

وقوله عليه السلام فى كلام له بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثى وهو من اصحابه يعوده فلما رأى سعة داره قال :ماكنت تصنع بسعة هذه الدار فى الدنيا أما انت اليها فى الآخرة كنت احوج وبلى ان شئت بلغت بها الآخرة تقرى فيها الضيف وتصل فيها الرحم وتطلع منها الحقوق مطالعها فاذا انت قد بلغت بها الآخرة فقال له العلاء ياأمير المؤمنين اشكو اليك اخى عاصم بن زياد :قال وماله قال لبس العباءة وتخلّى عن الدنيا قال علىّ به فلما جاء قال ياعدىّ نفسه لقد استهام بك الخبيث اما رحمت أهلك وولدك اترى اللّه احلّ لك الطيبات وهو يكره ان

تأخذها انت اهون على اللّه من ذلك قال ياأمير المؤمنين هذا انت فـي خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك قال ويحك انى لست كأنت انّ اللّه فرض على ائمة العدل ان يقدّروا انفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيّغ بالفقير فقيره .

عقليات الناس بالنسبة الى قطعهم لأشواط الحياة على ثلاثة انحـاء فبعضهم يرى التوسع فى المعيشة الى ابعد حدّ ممكن وبعضهم يـرى الأعتدال فيها فلا يهوى التوسع ولا يصيخ الى التقشف والفريق الثالث هم المتقشفون والنحو الأوّل على قسمين قسم خارج عن أطار الشريعة حيـث يستحلّ الانسان كل مايصل الى يده ومن ايّ طريق استحصله ولا ينخـرط فى هذا السلك الاّ الفاقد للدين رأسا او الضعيف فيه وكلاهما مذمومان وامّا السعة فى المال الحلال فقلّما تحصل لان تحصيل المال من طريـق حلال من اشكل المشكلات وقسم داخل فى حدود الشرع وذلـك فـي المتمكنين عن استحقاق والمتوسعين فى هذه الدائرة وهذا لاذمّ عليه الاّ من بعض الوجهات الأخلاقية حيث تلزمه مواساة الضعفاء ولا يفعـل الاّ القليل منها والنحو الثانى هو الوسط بين الافراط والتفريط وهو الـذى لا يشتكى الحياة ولا يشكو منه الأحياء وامّا النحو الثالث فهو غلط الاّ من ناحيتين الأولى ان يكون اماما للناس فاذا قدّر حياته بحياة أضعفهـم فقد واساهم اعظم المواساة ودفع عنهم وسواس الكفر باللّه وخفّف عنهـم ضواغط الحياة والثانية ان يصرف كلما زاد عن مؤنته على غيره بشرط عـدم الأعنات بأهله ومن يعول به امّا اذا تقشف لا لذلك فقد أمات نفسـه لا لداع معقول والرياضات الصحيحة هى التى تقف امام الانغماس فى المادة لا التى تخلق من الانسان متزمتا بعنوان انّ ذلك يقرّبه من اللّه :وهـذا التزمت الذى كان يوسم به متصوفة الزمن السالف او يتسمّى به اهل الزمن اللاحق جنون من وجهة الاعتبار العقلى وانشمار عن شريعة السماء بصريح

الكتاب والسنة كما سيجيء فى كلمات الأمام عليه السلام ٠

فقوله عليه السلام ماكنت تصنع بسعة هذه الدار فى الدنيا يريد به التوسع عن مقدار الحاجة وقوله اما انت اليها فى الآخرة كنت احوج يريد به انك لو صرفت الزائد فى سبيل البّر والأحسان لكنت احرزت به آخرتك وواسيت به اخوتك :ثم ابان له ان هذه السعة الفعلية الزائدة عن مورد حاجتك لنفسك باستطاعتك ان ترفع عن نفسك لائمتها بأن تكون محلّ ضيافة لك وتصل فيها رحمك باسكانه معك وان تكون منبعث ايصال الحقوق لمستحقها فاذا فعلت ذلك ارتفعت عنك اللائمة وكنت بذلك محمودا مشكورا نوعدّى تصغير عدوّ والتصغير نوعا يؤتى به للتحقير واراد بالخبيث الشيطان واستهام به اذا صيّره هائما اى خابطا عن غير شعور ولا معرفة وقوله اما رحمت اهلك وولدك انكار وتوبيخ عنيف فان الأنسان قد يسامح بظلمه لنفسه واختياره لها الخطط الخشناء لكنه لا يسامح بظلمه لغيره الذى لامناص له فى الانحياز عنه والاستقلال بنفسه ٠

ثم برهن له ببرهان قوىّ فى عالم التشريع فضلا عن الاعتبار الصادق بقوله اترى اللّه احلّ لك الطيّبات ثم يكره لك ان تتناولها ودفع عن نفسه اعتراضه عليه بخشونة ملبسه وجشوبة مأكله بأنه مع امامته ليس كغيره من المأمومين ذلك بأن اللّه فرض على ائمة العدل ان يقدّروا انفسهم بضعفة الناس وعجزتهم كيلا يهيج بالفقير فقره ويعنت به زمانه وتشق عليه حياته مشقة تخرج به عن منطقة الشعور فيعود مأيوسا من كل رحمة آيسا من كل انسان كافرا بكل ناموس ٠

وقوله عليه السلام فى خطبة له خطبها بصفّين :أمّا بعد فقد جعل اللّه لى عليكم حقا بولاية امركم ولكم علىّ من الحق مثل الذى لى عليكم فالحق اوسع الأشياء فى التواصف وأضيقها فى التناصف لا يجرى لأحد الاّ

جرى له ولو كان لأحد ان يجرى له ولا يجرى عليه لكان ذلك خالصا للّه سبحانه دون خلقه لقدرته على عباده ولعدله فى كل ماجرت عليه صروف قضائه ولكنه جعل حقه على العباد ان يطيعوه وجعل جزائهم عليه مضاعفة الثواب تفضلا منه وتوسعا بما هو من المزيد اهله :ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض الناس على بعض فجعلها تتكافأ فى وجوهها ويوجب بعضها بعضا ولا يستوجب بعضها الاّ ببعض واعظم ماافترض سبحانه من تلك الحقوق حق الوالى على الرعية وحق الرعية على الوالى فريضة فرضها سبحانه لكل على كل فجعلها نظاما لألفتهم وعزّا لدينهم فليست تصلح الرعية الاّ بصلاح الولاة ولا يصلح الولاة الاّ باستقامة الرعية فاذا ادّت الرعية الى الوالى حقه وادّى الوالى اليها حقّها عزّ الحق بينهم وقامت مناهج الدين واعتدلت معالم العدل وجرت على اذلالها السنن فصلح بذلك الزمان وطمع فى بقاء الدولة ويئست مطامع الأعداء واذا غلبت الرعية واليها او اجحف الوالى برعيته اختلفت هنالك الكلمة وظهرت معالم الجور وكثر الأدغال فى الدين وتركت محاّج السنن فعمل بالهوى وعطّلت الأحكام وكثرت علل النفوس فلا يستوحش لعظيم حق عطّل ولا لعظيم باطل فعل فهنالك تذلّ الأبرار وتعزّ الأشرار وتعظم تبعات اللّه عند العباد فعليكم بالتناصح فى ذلك وحسن التعاون عليه فليس احد وان اشتدّ على رضا اللّه حرصه وطال فى العمل اجتهاده ببالغ حقيقة ماللّه اهله من الطاعة له ولكن من واجب حقوق اللّه على العباد النصيحة بمبلغ جهدهم والتعاون على اقامة الحق بينهم وليس امرؤ وان عظمت فى الحق منزلته وتقدمت فى الدين فضيلته بفوق ان يعان على ماحمّله اللّه من حقه ولا امرؤ وان صغّرته النفوس واقتحمته العيون بدون ان يعين على ذلك او يعان عليه :فأجابه عليه السلام رجل من اصحابه

بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له فقال عليه السلام :

ان من حق من عظم جلال اللّه فى نفسه وجلّ موضعه من قلبه ان يصغر عنده لعظم ذلك كل ما سواه وانّ احقّ من كان كذلك لمن عظمت نعمة اللّه عليه ولطف احسانه اليه فانه لم تعظم نعمة اللّه على احد الاّ ازداد حق اللّه عليه عظما وان من اسخف حالات الولاة عند صالح الناس ان يظنّ بهم حبّ الفخر ويوضع امرهم على الكبر وقد كرهت ان يكون جال فى ظنكم أنّى احبّ الأطراء واستماع الثناء ولست بحمد اللّه كذلك ولو كنت احب ان يقال ذلك لتركته انحطاطا للّه سبحانه عن تناول ما هو احقّ به من العظمة والكبرياء وربّما استحلى الناس الثناء بعد البلاء فلا تثنوا علىّ بجميل ثناء لأخراجى نفسى الى اللّه واليكم من التقية فى حقوق لم افرغ من ادائها وفرائض لا بدّ من امضائها فلا تكلمونى بما تكلّم به الجبابرة ولا تتحفظوا منّى بما يتحفظ به عند اهل البادرة ولا تخالطونى بالمصانعة ولا تظنّوا بى استثقالا فى حق قيل لى ولا التماس اعظام لنفسى فانه من استثقل الحقّ ان يقال له او العدل ان يعرض عليه كان العمل بهما عليه اثقل فلا تكفّوا عن مقالة بحق او مشورة بعدل فانى لست فى نفسى بفوق ان اخطىء ولا آمن ذلك من فعلى الاّ ان يكفى اللّه من نفسى ما هو املك به منّى فانّما انا وانتم عبيد مملوكون لرب لا ربّ غيره يملك منّا مالا نملك من انفسنا واخرجنا ممّا كنّا فيه الى ما صلحنا عليه فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى وأعطانا البصيرة بعد العمى .

التواصف هو وصف الشىء والتعريف به لفظا او كتابة والتناصف هو اعمال العدل العملى فى الشىء والأذلال هى الطرق والمناهج والمعالم هى الشواخص والأدغال هو الأفساد والمحاجّ جمع محجة وهى الطريق وعلل النفوس عثراتها والتبعة ما تتبع فعل الشىء او تركه اقتحمته العيون

اذا نفذت فيه لعدم الأهتمام به والهيبة له والمصانعة هى المجاملة .

بيّن عليه السلام ان لطرفى الأضافة القائمة بين الأمام والمأموم حقوقا متقابلة فكما ان للوالى حقا على الرعية كذلك للرعية حقّ على الوالى ثم ذكر ان هذا الحق يجيد الكثيرون وصفه ولكنهم لا يحقّقونه فى التطبيق فالحقّ أوسع الاشياء فى تعريفه وتوصيفه بقلم او لسان ولكنه اضيقها فى تحقيقه الخارجى وتطبيقه العملى وأعطى قاعدة كليه بأن كلّ احد كما يكون له الحق يكون عليه ولا يتخلف هذا الملاك الاّ فى اللّه سبحانه لعدله فى كل ماجرت عليه صروف قضاءه على انّه عزّوجلّ كما رتّب على عباده ان يطيعوه جعل على نفسه مضاعفة المثواب لمن أطاعه تفضلا منه وتوسعا بما هو اهله من مزيد اللطف بالطائع المنقاد .

ثم جعل سبحانه من حقوقه على عباده ووظائفه الملقاة على عواتقهم حقوقا متقابلة افترضها لبعض الناس على بعض حتى تتكافأ فيما بينهم ولا يحيف بعض ببعض واعظم ماافترض من تلك الحقوق حق الأمام على المأموم والحاكم على المحكوم وحق المأموم على امامه والمحكوم على حاكمه فجعل هذا الحق المتقابل ناظما لألفة الطرفين لامّا لشعثهم عزّالدينهم فليست تصلح الرعية ورعاتها فسدة متغلتون على النظام كما لاتصلح الولاة ورعاياها غير مستقيمين لها فاذا قام كلّ من الوالى والمولّى عليه بواجبه الملقى على عاتقه عزّ الحق بينهم وسلكت مناهج الدين وظهرت شواخص العدل ومشت السنن الصالحة على طرائقها اللاّحبة واذا كان ذلك صلح الزمان لان صلاحه بصلاح اهله وطمع فى بقاء الدولة واستمرارها ويئست مطامع الأعداء من زوالها وانهيارها امّا اذا غلبت الرعية واليها بالتمرد عليه او اجحف الوالى برعيته فلم يرع لهم حقوقهم ولم يؤد اليهم وظيفتهم اختلفت مابين الحاكم والمحكوم الكلمة وعطّلت الوظيفة واخذ بعض يكيد

لبعض فهنالك تظهر معالم الجور ويكثر الأفساد فى الدين وتترك الطرائق الصحيحة وتظهر الحركات القبيحة فيعمل بالميل والهوى وتعطّل الأحكام للتمرد عليها وتكثر علل النفوس وآثامها وحينذاك لا يستوحش لعظيم حق يعطّل ولا لعظيم باطل يفعل واذا انتهت الحالة بالناس الى هذا المصير ذلّت الأبرار وعزّت الأشرار لانّ من نتيجة تعطيل الحق ذلة البرّ ومن نتيجة فعل الباطل كثرة وقوع الشر وعند ذلك تكثر مسؤلية العباد لربهم .

وبعد ان اوضح عليه السلام القول بهذه الواجبات اوصاهم بحسن نصيحة بعضهم لبعض وتعاونهم على تثبيت الحق وأصحر لهم بأن الأنسان ومهما اجتهد فى طاعة اللّه وتحصيل رضاه فانه ليس ببالغ ما اللّه اهله من كمّ الطاعة وكيفها ثم ذكر لهم امرا ربّما غاب او غفل عنه الكثير من العقول والأفهام وهو انّ اقامة الحق واعلاء كلمة الصدق ليسا منوطين بالاقوياء القادرين فقط بل كل انسان له حق المساهمة فى ذلك حتى اضعف الضعفاء لان القضايا كلها الكلّى منها والجزئى لاتقوم كما يراد منها ولا تثبت الثبات الراسخ الاّ على اصل التعاون الجماعى بلا ميز بين الحمّال وبطل الأبطال فان لكل منهما اثره واندماج مجموعة الآثار هو الذى يعطى الرسوخ والثبوت : وممّا لا شكّ فيه ان افاضة هذه المعانى الوزينة التى لاتسمح بها الحناجر الحاكمة بطور عام الاّ ممنّ عصمه اللّه وقوّى نور بصره وبصيرته ممّا تهزّ عواطف اولى الألباب وعلى هذا الحساب اجابه عليه السلام رجل من اصحابه بكلام طويل يكثر فيه الثناء عليه ويذكر سمعه وطاعته له وعلى اثر توجيه الثناء اليه والأطراء عليه نبّه هذا المثنى المطرى بقوله ان من حقّ من عظم جلال اللّه فى نفسه وتجلّى كماله تعالى له وجلّ موضعه من قلبه ان يصغر عنده ـ لعظم ما تجلّى له ـ كلّ ما سواه على

الاطلاق وان أحقّ من كان على هذا الوصف من عظمت نعمة اللّه عليه لان عظمة النعمة توجب مزيد الشكر وكثرة التوجه الى المنعم والفناء فيه وتقديسه بمقدار ما يستحق من تقديس وتقدير وفى هذا الكلام اشارة الى انّ اللّه انعم عليه بأنعام لا تحصى ولا تعدّ ومن اهمّها طلوعه بما طلع به من محاسن الاخلاق ومعالى الشيم حيث اعجز اقرانه عن اللحوق به والأنضمام الى حوزته ومن هنا يرى ان اطراء الناس له والثناء عليه لامجال لهما فى قبال عظمة اللّه الذى افاض عليه بهذه الأفاضات وحلاّه بهذه الصفات وخصّه بجليل هاتيك السمات ولذلك سخّف الوالى الذى يحب الفخر بما يوليه من صالح الأعمال او يتظاهر بالكبر ادلالا على غيره من الرجال وان كان لأدلاله منشأ صحيح .

وعلى هذه الركيزة كره عليه السلام ان يكون جال فى ظنّ جماعته انه يحب الأطراء واستماع الثناء وانه ليس ـ بحمد اللّه ـ كذلك لان كل من يروض نفسه رياضة قوية لا يعود للاطراء والثناء عنده اقلّ اثر حتى انه ليشمئزّ من توجيه عبارات الثناء اليه ويستثقل من الأطراء يواجه به ثم ألفت انظارهم الى انه حتى لو كان يحبّ ان يقال له من جميل القول ما يهزّ اريحيته لتركه انحطاطا للّه سبحانه وتصاغرا امام عظمته وكبريائه وكثيرا ما يستحلى الناس عبارات الثناء تساق اليهم والأطراء يواجهون به اذا صدرعنهم بلاء يحمد وفعال تمجّد لكنه (ع) نهاهم ان يثنوا عليه بجميل الثناء وجليل الاطراء من أجل انه احقّ حقوقا لابدّ من احقاقها وانجز فرائض لامناص من امضائها وان يكلّموه بما تكلّم به الجبارة من عظيم التبجيل والتكريم الزائد على معقول التجليل وان يتحفظوا منه كما يتحفظ من اهل الشدّة والشراسة وان لا يخالطوه بالمداهنات الفارغة والمجاملات الكاذبة ولا ان يظنّوا به استثقالا عن سماع قول الحق يواجه به او اعظاما

لنفسه عن اداء الواجب حيث يلزمه .

وعلّل ذلك بقوله ان من يستثقل الحق ان يقال له او العدل ان يعرض عليه لاجرم يكون العمل بهما اثقل والتوجه اليهما اقل ـ بل ـ الزمهم ان لا يكفّوا عن مقالة بحق حتى يكون الصدق ورد السنتهم والصراحة منهجهم الذى ينهجون وطريقهم الذى يسلكون او مشورة بعدل حتى يشخصوا مجارى العدالة ويأخذوا النصف لأنفسهم ويعطوه منها ثم ابدى التواضع التام من نفسه فحكمها باحكام الأنسانية العامة فقال انى لست فى نفسى بفوق ان اخطئ ولا آمن الخطأ فى فعلى باعتبار اننى انسان قد حكم عليه بانه مظنة الخطأ والنسيان وان كان هذا الانسان نفسه اذا راض روحه على الآداب الفاضلة والاخلاق العالية فقد حاطها بسور وحصّنها بوازع عظيم واذا جاء لطف اللّه بعبده فهناك العصمة الداعية الى فعل كل واجب وترك كل حرام والتزود من المستحبات والانشمار عن المكروهات والى هذا الاشارة بقوله عليه السلام الآ ان يكفى اللّه من نفسى ماهو املك به منّى فأنما انا وانتم عبيد مملوكون لربّ لا ربّ غيره ولا خالق سواه ولا متصرف بالكون والكائنات الآه ولذلك يملك منّا مالا نملك من انفسنا واخرجنا ممّا كنّا فيه من الجهل والغواية والضلالة الى ماصلحنا عليه بالدين القويم والتربية والتعليم فأبدلنا بعد الضلالة بالهدى واعطانا البصيرة بعد العمى فالحمد للّه على ما اعطى والشكر له على ما أولى ومنه المبدأ واليه المعاد .

وقوله عليه السلام من كلام له :واللّه لأن ابيت على حسك السعدان مسهّدا واجرّ فى الاغلال مصفّدا احبّ الىّ من ان القى اللّه ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد وغاصبا لشئ من الحطام وكيف اظلم احدا لنفس يسرع الى البلا قفو لها ويطول فى الثرى حلولها واللّه لقد رأيت

عقيلا وقد املق حتى استماحنى من برّكم صاعا ورأيت صبيانه شعث الشعور غبر الألوان من فقرهم كأنّما سوّدت وجوههم بالعظلم وعاودنى مؤكدا وكرّر علىّ القول مردّدا فأصغيت اليه سمعى فظن انّى ابيعه دينى واتبع قياده مفارقا طريقتى فأحميت له حديدة ثم ادنيتها من جسمه ليعتبر بها فضجّ ضجيج ذى دنف من ألمها وكاد أن يحترق من ميسمها فقلت له ثكلتك الثواكل ياعقيل اتئنّ من حديدة أحماها انسانها للعبه وتجرّنى الى نار سجرها جبّارها لغضبه اتئنّ من الأذى ولا ائنّ من لظى وأعجب من ذلك طارق طرقنا بملفوفة فى وعائها ومعجونة شنئتها كأنما عجنت بريق حيّة اوقيئها فقلت أصلة ام زكاة ام صدقة فذلك محرّم علينا اهل البيت فقال لاذا ولاذاك ولكنها هدية فقلت هبلتك الهبول اعن دين اللّه اتيتنى لتخدعنى امختبط ام ذو جنّة ام تهجر واللّه لو أعطيت الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها على ان أعصى اللّه فى نملة اسلبها جلب شعيرة مافعلت وان دنياكم عندى لأهون من ورقة فى فم جرادة تقضمها مالعلىّ ولنعيم يفنى ولذة لاتبقى نعوذ باللّه من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين.

السعدان نبت ذو شوك والمسهّد الأرق القلق والأغلال هى السلاسل او الحبال التى يقيّد بها الأنسان تضييقا عليه وسلبا لراحته وتعجيزا له عن الهروب والحطام متاع الدنيا والقفول الرجوع والأملاق الأعواز والاحتياج شعث الشعور هى غير المنتظمة من الأهمال وغبر الألوان هى المتلبدة المتعكرة والعظلم يقال هو النيل وقيل نبت غيره والقياد مايقاد به الحيوان او الانسان والدنف المرض والميسم آلة الوسم وهو التعليم سجرها أشعلها والطارق هو الآتى فى الليل الصلة تقال فى الأغلب لصلة الرحم وان كانت تستعمل فى مطلق الهدية والزكوة هى الحق المعلوم فى الشريعة والصدقة تطلق على الواجب من الحقوق وعلى

المستحب وهبلتك الهبول كلمة بمعنى ثكلتك الثواكل وبكت عليك البواكى المختبط هو المصاب بالخبل ونقصان الشعور والمجنون فاقد العقل والهجر هو الهذيان وسبات العقل اغفاؤه .

قد يستغرب قارئ هذه الفصول ما تضمنته من روح ضربت مقياسها فى المثالية والتجرد عن المادة والنزاهة التى ليس لها نظير فى نوع الأرواح الأنسانية لانه لا يرى لهذا المقياس محقّقا فى طول البشرية وعرضها ــ وله الحق فى ذلك ــ لكن الرياضات العميقة وكبت ميول النفس ممّا يعيّن هذا المصير للأنسان اذا تدرج الى الحقيقة بروح مخلصة وندرة مثل هذا الوجود هى التى اجهدت هؤلاء العظماء فى مضامير الحياة لأنّهم يواجهون افرادا ليسوا منهم فى قليل ولا كثير ولهذه العلة اخفقت مساعى الكثيرين من المثاليين لفقدان القابليات المساعدة فيمن يواجهون من الناس على انها فى عرض ذلك خلقت لهم هواة ومحبّين تدرج بهم الحبّ الى درجة الغلو فاعتقدوا فيهم ما هو حقّ للخالق وحده ولقد صدق ابن ابى طالب فى قوله والله لأن ابيت على حسك السعدان مسهّدا فى فعاله قبل مقاله فأنّه من القلائل الذين يفعلون ثم لموجب المصلحة فى القول يقولون ولا شكّ انه بلغ الغاية فى البعد عن الظلم وعن حريمه فلم يدر فى باله الاّ الأنصاف بل التفضل وراء الأنصاف ولهذه العلة والسبب المستشريين فى عروقه استشراء الدم فيها فقد حاكميته على الوجود حيث تمتّع بها امثال معاوية والحجاج وچنگيز ومن سار على جادّتهم .

ذلك لأن هؤلاء انتهزوا كلّ فرصة ولو كانت تموج بالدم الحرام والفتك بالنواميس والأعراض وانتهاب الحقوق وسحق العالم الى ابعد حدود القدرة التى يستطيع امتلاكها البشر بشتّى الوسائل والأنحاء :وزاجر آخر وراء المثالية منعه حتّى عن تخطر الظلم فى باله وهو اعتقاده الجازم

بالمبدأ والمعاد المحرّمين لأدنى شوائب الظلم المدلول عليهما فى هذه الفصول بقوله والله لأن أبيت على حسك السعدان مسهّدا وأجرّ فى الاغلال مصفّدا احبّ الىّ من ان القى الله ورسوله يوم القيامة ظالما لبعض العباد وغاصبا لشىء من الحطام وكيف اظلم احدا لنفس يسرع الى البلا قفولها ويطول فى الثرى حلولها ·

ثم اردف عليه السلام هذه الكلية التى ساقها عن نفسه بذكر شاهدين هما غاية فى النزاهة ومراعاة الحق: احدهما: ان عقيلا وهو اخوه لأمّه وابيه وأسنّ منه استماحه خارج ماهو حقّه صاعا من بيت المال وقد رأى الأمام صبيانه شعث الشعور من الاهمال الناشىء عن الشقاء فى الحياة غبر الألوان من الفقر الذى هو منشأ كل حاجة واصل كل ازعاج فكرى وجسمى فأبى عليه مع سخائه غير المحدود وعلّل ذلك بان تصرفه فى بيت مال المسلمين خارج نطاق الحق يعدّ خيانة والخيانة حرام فى دين الوجدان والاسلام ·

ـ فان قال قائل وسأل سائل عن المجوز لأحماء الحديدة وادنائها من جسمه حتى يضج ضجيج ذى دنف من ألمها بعد منعه وعدم تهجم حصل منه كان الجواب ان الأمام الشرعى يجوز له ان يؤدب بما يقيم به معالم الحق وبذلك يتدارك الأذى المتوجه الى الطرف باعتبار سهمه من الحق العام المسؤل بأقامته هو وغيره من الافراد وانما توجه الايذاء له دونهم لانه سبقهم بالسبب الموجب: وامّا محمدة السخاء فانما تصحّ اذا كان المال المبذول ملكا طلقا للباذل وبيت المال بالنسبة الى الأمام ليس كذلك ولابدّ ان يكون الامام واسى اخاه ممّا يملك قبل حدوث هذه القضية او بعدها لانه معروف بالأيثار على نفسه فضلا عن المواساة ·

ـ وثانيهما ـ ان طارقا من رعاياه طرقه بملفوفة فى وعائها تجببا اليه

ولمّا كان امر هذه التقدمة مبهما من ناحية داعيه مجملا فى وجوهه خاطب صاحبها بما نعة خلوّ ليستبين الداعى فى ذلك ويقف على الوجه الذى توجه منه فى طروقه بالملفوفة الى الأمام ليلا فقال اصلة ماقدمت ام زكوة فتخيلت اننا من مصارفها ام صدقة تقدّم للعجزة حتى يقيموا أصلابهم بها فان كان ماجئت به واحدا من هذه الوجوه فنحن لسنا من اهلها ولمّا نفى الامام كونه محلا لاستحقاق هذه الشقوق تابعه الطارق على ذلك مخافة انتسابه الى الجهل فقال لا هذا ولا ذاك ولكنّ ماقدمته هدية خالصة ظنا منه ان هذا الجواب يدفع عنه كل شبهة فقال له الأمام عليه السلام هلبتك الهبول اعن دين اللّه اتيتنى لتخدعنى لان طروق هذا الطارق ليلا مشعر بالتخفى ومحاولة الانتهاز فكانت هذه التقدمة بمنزلة الرشوة وهى اخسّ من كل تلك الوجوه التى نفاها بقوله لا هذا ولا ذاك ولسقوط هذا الوجه نسبه الامام عليه السلام الى الخبط والجنون او قول الهجر لأنّه لمّا ترفع عن قبول الصلة التى لاحزازة فيها بحسب الظاهر كان حشره فى صفوف المرتشين من اقبح الوجوه وابعدها عن الصواب واقربها الى التدنيس ثم ابان له عن مكنون سريرته وراهن سيرته ان لم يكن قد وقف عليها آنفا حالفا باللّه بأنه لو اعطى الاقاليم السبعة بما تحت افلاكها على ان يعصى اللّه فى نملة يسلبها قشر شعيرة لما فعل مع ان ماذكره من المثال ليس بمعصية شرعية وانّما سمّاه معصية لتعاليه فى المثالية .

ثم ضرب له مثل الدنيا التى يتنافس عليها المتنافسون بالنسبة الى نفسه بأنها اهون عنده من ورقة فى فم جرادة تقضمها ومهما تكن الورقة فى فم الجرادة شيئا فانها عند التحقيق شىء لا يعتدّ به بالمرّة فاذا كانت الدنيا عنده أهون منها كان معنى ذلك ان الدنيا لا شىء عنده ثم

علّل مبناه هذا بان النعيم الفانى واللذة غير الباقية لاقيمة لهما فكيف يعصى اللّه فيهما ولمّا كان فاعل المعصية اصولا من اللاهين عن عقولهم التائهين فى ميادين الحياة عن غفلة غير مغفورة قال نعوذ باللّه من سبات العقل وقبح الزلل وبه نستعين على طاعاته ونبتعد عن معاصيه ٠

وقوله عليه السلام من كلام له كلّم به عبد اللّه بن زمعة وهو من شيعته وذلك انه قدم عليه فى خلافته يطلب منه مالا فقال عليه السلام :ان هذا المال ليس لى ولا لك وانما هو فىء للمسلمين وجلب أسيافهم فأن شركتهم فى حربهم كان لك مثل حظّهم والاّ فجناة ايديهم لاتكون لغير افواههم ٠

الأشارة بقوله هذا الى بيت مال المسلمين والحق الذى للامام فيه هو النظارة عليه وتوزيعه على نظام الشرع وخطاب الامام بهذه الصراحة لعبد اللّه بن رمعة الذى هو من شيعته ممّا يعدّ اعجازا فى السياسة فقد عهد التاريخ ان السياسيّين لا يألون وسعا فى جلب العواطف من اىّ محلّ حصل جلب العاطفة حتى لو كان بأراقة دم حرام او انتهاب مال محترم او انتهاك ناموس مصون ونرى هذا الأنسان المثالىّ يصارح احد محبّيه بأنّ ماتطلبه من المال لو كان لى لما منعتك اياه ولو كان لك فيه سهم لوصل اليك قبل الفات نظرى اليه ولكنه فىء للمسلمين جلبتها سيافهم فان كنت منضما الى حوزتهم مشاركا لهم فى حربهم متحملا مثلهم وعثاء الميادين كان لك مثل حظّهم والاّ فجناة ايديهم ومحصول مساعيهم لايكونان لغير افواههم ٠

وقوله عليه السلام من كلام له :الا ان اللسان بضعة من الأنسان فلا يسعده القول اذا امتنع ولا يمهله النطق اذا اتسع وانّا لأمراء الكلام وفينا تنشّبت عروقه وعلينا تهدلت غصونه واعلموا ـ رحمكم اللّه ـ انكم فى زمان القائل فيه بالحق قليل واللسان عن الصدق كليل واللازم للحق ذليل

اهله معتكفون على العصيان مصطلحون على الأدهان فتاهم عارهوشائبهم آثم وعالمهم منافق وقارئهم مماذق لا يعظّم صغيرهم كبيرهم ولا يعول غنيهم فقيرهم .

البضعة القطعة والأسعاد المواتاة والمطاوعة والتنشب هو التعلق والتهدل هو التدلى والكلل هو العجز والأدهان المجاملات المرموزة والعارم الشرس السيّء الأخلاق والمماذق هو الذى يقول مالا يفعل: يروى فى سبب انشاء هذا الكلام ان امير المؤمنين عليه السلام امر ابن اخته جعدة بن هبيرة المخزومى يوما ان يخطب الناس فصعد المنبر فأرتج عليه فلم يستطع ان يتكلم فقام عليه السلام وتسنّم ذروة المنبر ثم خطب خطبة طويلة منها هذه الفصول التى ذكرها السيد الشريف ومفادها ان اللسان قطعة من المجموعات العضوية القائمة بتركيب البدن الانسانى فلايستطيع هذا اللسان ان يقول اذا حصر صاحبه عن القول لدواعى منها الجهل بمادة القول ومنها خوف عواقب ما يقول ومنها هيبة المحفل الذى يريد ان يقول فيه وما الى ذلك :كما انه لا يتريث عن المنطق اذا اتسع للكلام بعلمه ومرونته وكثير مزاولته ووجود ما يحبّب له التكلم ويحثّه على الترسل ثم عقّب مقدمته هذه بان بيته امير بيوت اهل اللسن والخطابة والنطق والذرابة وان لعروق الكلام نفوذا فى اعماقه ولغصونه تهدلا عليه.

هذا وقد اسلفنا فى فصول آنفة ان المجموعة البشرية على اجمالها الى الجهل اقرب منها الى العلم والى الرذيلة ادنى منها الى الفضيلة وكافة الازمان بالنسبة الى ذلك متقاربة ففى كل زمان جاهله اوفر عددا من عالمه ورذله اكثر من فاضله لكنّ الازمنة التى تسبق وجود ايّ انسان كالتى تأتى بعده غائبة عنه لا يدرك منها ومهما علم بها مثل الذى يشاهده منها ويلمسه من اوضاعها ولذلك نراه يتحدث عن زمانه الذى

عاش فيه تحدثا مرّا حاسبا انه من اتعس الازمنة واخسّها وعلىّ عليه السلام من وجهته البشرية العامة لا يشذّ عن هذا المقياس ولذلك قال واعلموا رحمكم اللّه بالهداية وتلطف عليكم بالتسهيل انكم فى زمان القائل فيه بالحق قليل لان الحقّ لمّا تمرّد عليه النوع صار من المزاحمات المهمّة للمصالح الشخصيّة التى تمسّ حياة كل انسان ونزع اليد عن المصلحة الشخصية صعب الاّ على من عصمه اللّه وهكذا انتم فى زمان اللسان عن قول الصدق فيه كليل عاجز حاسر لان الصدق لامجاملة فيه ولا ادهان وعيوب الناس لاتحدّ ولاتعدّ فاذا اتخذ الانسان الصدق ملاكا للسانه فقد واجه دنيا من المحذورات وعالما غير محدود من المؤاخذات وهذه المحذورات والمؤخذات يعزّ تحمّلها الاّ على الصلب القوىّ الأرادة .

وهكذا الملازم للحق فى زمانكم ذليل فى سلطان الدنيا واتباعها لان العزة الدنيوية فى الأعم الاغلب انيطت بالمتهجمين الذين يفتخرون بالتعدىّ على حقوق الناس والتجاوز عليهم اما الذى يتحرج عن هذه المراكض ويتأثم من المزاحمات بغير حق فهو نوعا حقير ذليل منبوذ محروم من مزايا الاجتماع الدارجة وبالنتيجة يكون اهل الزمان معتكفين على العصيان لانّ به نيل رغباتهم وتحصيل شهواتهم وتحسين مادياتهم مصطلحين على المجاملات الكاذبة والمصانعات المرموزة واذا كان الخلق الدارج هو من اشرنا اليه جاء فتى هؤلاء الناس متنزيا عارما ومسنّهم عاصيا آثما وعالمهم بحكم ان يعيش بينهم مدلسا منافقا وقارئهم ظاهر الصلاح اجوف الباطن لاضمير له وكبيرهم موهنا عند صغيرهم وفقيرهم محروما من التفات غنيّهم .

وقوله عليه السلام من كتاب له الى بعض امراء جيشه :فان عادوا الى ظل الطاعة فذلك الذى نحبّ وان توافت الأمور بالقوم الى الشقاق

والعصیان فانهد بمن اطاعك الی من عصاك واستعن بمن انقاد معك عمّن تقاعس عنك فان المتکاره مغیبه خیر من مشهده وقعوده اغنی من نهوضه .

اضاف علیه السلام کلمة الظلّ الی لفظ الطاعة اشعارا بأن فی الطاعة عافیة وسلامة وبردا علی الروح وتوافی القوم اذا اجتمعوا بعد التفرق والشقاق هو التباعد عن عداوة ونهد له اذا برز والتقاعس هو الانکماش والمتکاره هو الذی یظهر الکره اوصی علیه السلام امیره هذا بأن الذین تشکوهم بالعصیان ان زمّوا عن جفائهم واقلعوا عن معصیتهم وتراجعوا الی الطاعة فذلك الذی نحبّ لنا ولهم لانّ مع السلم کل الخیر ومع الوفاق حفظ الحیثیات والاحترامات والنوامیس والأعراض والدماء والأموال وامّا اذا اطبقوا علی الشقاق والافتراق والانحراف والعصیان فلا تتبوان ولا تنخذل واخرج الی ساحة الحرب مناجزا بمن اطاعك مبارزا من عصاك واستعن بمن انقاد لك وقام معك واعرض عمّن تقاعس عنك فان المتکاره المتثاقل عن النصرة لك مغیبه عنك خیر من مشهده معك لأنّ حضوره مع الکراهة والتثاقل ممّا یسبّب علیك انخذال المطیع احیانا فتخسر حربك حتی مع وجود المنقاد الناهد ومن هنا کان قعود المتقاعس اغنی للقائد من نهوضه المقرون بالتثاقل معه .

وقوله علیه السلام فی کتاب له الی بعض عمّاله : امّا بعد فان دهاقین اهل بلدك شکوا منك غلظة وقسوة واحتقارا وجفوة ونظرت فلم ارهم اهلا لأن یدنوا لشرکهم ولا أن یقصوا ویجفوا لعهدهم فالبس لهم جلبابا من اللین تشوبه بطرف من الشدة وداول لهم بین القسوة والرأفة وامزج لهم بین التقریب والأدناء والأبعاد والأقصاء ان شاء الله .

الدهاقین هم الفلاّحون بلغة الفرس والذی جاء به النقل ان هؤلاء

الشاکین کانوا مجوسا والغلظة جفاف الاخلاق والقسوة شدّتها والجفاء هو الأعراض والجلباب هو الثوب المشتمل علی الأنسان والشوب هو الخلط والمداولة هی المبادلة والأدناء والأقصاء عطف تفسیر علی التقریب فی الأول والأبعاد فی الثانی .

قد اسلفنا الکلام فی بحوثنا عن الایمان من الاجزاء السابقة عن السرّ فی اعتبار المشرکین انجاسا من نظر الدین وفلسفة الترفع عنهم وعدم الاعتناء بهم وانّ جامع ذلك هو کفرانهم بنعمة المنعم الأعظم وفی هذا الداعی لا یری الدین ادناء المشرك جائزا الاّ للهیمنة علی قلبه بالخلق الفاضل امّا مع الیأس منه لأغراقه فی التعصب فلا یجوز لأنه تأیید للباطل وتشیید للرذائل وعن بیان هذا السرّ المجمل قال علیه السلام مکاتبا بعض عمّاله ان دهاقین اهل بلدك الذین احتوت علیهم ولا یتك شکوا منك جفافا فی اخلاقك وقسوة فی سیرتك واحتقارا لهم دون سائر المواطنین وجفوة بخلاف الباقین والدین الأسلامی وان کان هدفه مناهضة الشرك وقتال المشرکین حتی یفیئوا الی الطریقة الحقّة ویرجعوا الی شرائع اللّه الصادقة الاّ ان المعاهد منهم للمسلمین القائم بشروط المعاهدة محترم فی اهمّ مزایاه من دمه وماله وعرضه غیر انه لا یساوی المسلم ولا یوازیه ولا یعادله فی کفة میزان کما قال الأمام علیه السلام فی ذلك ونظرت فلم ارهم اهلا لأن یدنوا ویقرّبوا لأجل شرکهم المبغوض للّه ولرسوله ولعباده الصالحین ولا ان یقصوا ویجفوا لمکان عهدهم وموادعتهم وعلی هذا الملاك یجب ان تلبس لهم جلبابا من اللین والعاطفة وتشوبه بطرف من الشدّة وتمشی فیهم بین القسوة والرأفة وتمزج لهم بین التقریب والأدناء والأبعاد والأقصاء حتی تکون قد ادّیت حق اللّه وهو جفاء من اشرك به وحق نظام الدین بین الناس وهو التقریب والأدناء نظیر سائر

المواطنين من المسلمين .

وقوله عليه السلام في وصية كان يكتبها لمن يستعمله على الصدقات وانما ذكرنا هنا جملا منها ليعلم انه كان يقيم عماد الحق ويشرع امثلة العدل في صغير الأمور وكبيرها ودقيقها وجليلها :انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له ولا تروّعنّ مسلما ولا تجتازنّ عليه كارها ولا تأخذنّ منه اكثر من حق الله في ماله فاذا قدمت على الحيّ فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم ثم امض اليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم فتسلّم عليهم ولا تخدج بالتحية لهم ثم تقول عباد الله ارسلني اليكم وليّ الله وخليفته لآخذ منكم حقّ الله في اموالكم فهل لله في اموالكم من حق فتؤدوه الى وليّه فان قال قائل لا فلا تراجعه وان انعم لك منعم فانطلق معه من غير ان تخيفه وتوعده اوتعسفه اوترهقه فخذ ما اعطاك من ذهب اوفضّة فان كان له ماشية او ابل فلا تدخلها الاّ بأذنه فانّ اكثرها له فاذا اتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه ولا عنيف به ولا تنفّرن بهيمة ولا تفزعنّها ولا تسوئنّ صاحبها فيها واصدع المال صدعين ثم خيّره فاذا اختار فلا تعرضنّ لما اختاره ثم اصدع الباقي صدعين ثم خيّره فاذا اختار فلا تعرضنّ لما اختاره فلا تزال كذلك حتى يبقى مافيه وفاء لحقّ الله في ماله فاقبض حق الله منه فأن استقالك فأقله ثم اخلطهما ثم اصنع مثل الذي صنعت اولا حتى تأخذ حق الله في ماله ولا تأخذنّ عودا ولا هرمة ولا مكسورة ولا مهلوسة ولا ذات عوار ولا تأمننّ عليها الاّ من تثق بدينه رافقا بمال المسلمين حتى يوصله الى وليّهم فيقسمه بينهم ولا توكّل بها الاّ ناصحا شفيقا وامينا حفيظا غير معنف ولا مجحف ولا ملغب ولا متعب ثم احدر الينا ما اجتمع عندك نصيّره حيث امر الله فاذا اخذها امينك فأوعز اليه ان لا يحول بين ناقة وبين فصيلها ولا يمصّر لبنها فيضّر ذلك بولدها ولا

يجهدنّها ركوبا وليعدل بين صواحباتها في ذلك وليرّفه على اللاغب وليستأن بالنقب والظالع وليوردها ما تمرّ به من الغدر ولا يعدل بها عن نبت الأرض الى جوّاد الطرق وليروّحها في الساعات وليمهلها عند النطاف والأعشاب حتى تأتينا بأذن اللّه بدنا منقيات غير متعبات ولا مجهودات لنقسمها على كتاب اللّه وسنة نبيّه (ص) فان ذلك اعظم لأجرك واقرب لرشدك ان شاء اللّه .

الترويح هو ادخال الخوف على الطرف والاجتياز هو العبور والمرور والأخداج في التحية هو نقضها بضدّها او خلطها بما ينافيها :أنعم منعم قال نعم اى اجاب بالموافقة العسف والأرهاق هو الأعنات والتشدد على المقابل والعنف مثل ذلك والتنفير هو اخال الوحشة وما يوجب النفرة والاستيحاش والصدع هو ايجاد الأثر في المصدوع واستعمل فيما هو اعمّ منه كالتشطير والتقسيم العود بفتح العين وسكون الواو الكبيرة المسنة وهكذا الهرمة والمهلوسة هي المصابة بداء داخلي يوجب تناثر الصوف او الشعر او الوبر عليها والملغب هو الموقع في اللغوب وهو التعب والنصب والأحدار هو الأرسال وتمصير اللبن حلبه بتمامه والنقب هو الأحفاء من كثرة المشي والظلع العرج والغدر جمع غدير والترويح اعطاء الراحة والنطاف المياه القليلة .

بعد الاعتراف بالملكية الفردية التي من لازمها ان لا يحلّ اخذ المال من مالكه الاّ بطيب نفسه اوجب حفظ النظام البشري العام ايجاد استثناء في هذا اللازم مفاده جواز اخذ المال من مالكه ولو بغير طيب نفسه لاقامة الحياة العامة التي لا بقاء لها مع الاهمال والارسال وقد افصحنا عن هذا المطلب في كلامنا عن النقود والردود آنفا ولا نرى مجوزا لأعادته ومن جملة المال المأخوذ ولو عن اكراه لأقامة نظام الحياة الصدقات من

الحیوان ضانه ومعزه بقره وأبله والفصل الذی آنفنا ذکره عن امیر المؤمنین مخصوص بهذه المادة وقد أشبعه علیه السلام بکل رأفة وحنان وعطف ولطف بالانسان والحیوان جمیعا حیث امر عامله علی الصدقة بقوله انطلق علی تقوی اللّه وحده لا شریك له فبعد ان امره بالانطلاق لجبایة الصدقات جعل الوجه الذی ینطلق علیه هو خوف اللّه وخشیته فان الجابی اذا انطلق توّا من دون قید یقیده ولا وازع یزعه ولا ربّ یدین به فقد انطلق نقمة علی البشریة .

امّا اذا لابس انطلاقه خوف اللّه وخشیته لم یروّع فی طریقه ولا فی المقصد الذی یستهدفه مسلما لان ترویع الانسان بغیر حق حرام ولم یجتز علیه وهو کاره لاجتیازه الاّ اذا کان منشأ هذه الکراهة هو التمرّد علی اداء الحق وحینئذ لااثر لکراهته ولم یأخذ ممنّ علیه الحق اکثر من حق اللّه فی ماله لان اخذ الاکثر تعدّ ممقوت وغصب محرّم واوصاه انه اذا قدم علی الحیّ من مقیمی البادیة :وانما خص البوادی بالذکر لانها مظان وجود الحیوان بکثرة لسعة باحاتها وکثرة مراتعها وطلاقة هوائها وقلة مزاحمة بعض لبعض فیها :ان ینزل بمن معه من معاونیه علی میاههم ذلك لان سکان الریف یبعدون ببیوتهم عن آبارهم ومنابع مائهم تنزیها لها عن القذارات وانشمارا عن المزاحمات وعن هذا الداعی امره علیه السلام ان ینزل علی المیاه دون ان یخالط بیوت الناس ابقاء علی راحتهم وتخلصا من مزاحمتهم فاذا نزل بعیدا عنهم مضی الیهم بکل سکینة ووقار لان الانسان اذا احترم نفسه فقد اعتزّ بها وفرض احترامها علی غیره وقام فی اوساطهم وسلّم علیهم فان افشاء السلام امارة السلم ولم یخلط تحیته التی بدأهم بها بالغثّ من القول او الجارح من الکلمات کما یفعل بعض الناس نظیر ذلك فبینا تراه یحسن تحیة صاحبه اذا به فی عرض کلامه

معه يتجاسر عليه بالخشن من القول :ثم يقول فی مجامعهم بملء يملأ مسامعهم عباد اللّه ارسلنی اليكم ولیّ اللّه لأقامة نظامكم وتعديل جنبات حياتكم فهل للّه فی اموالكم من حق بأن تكون اموالكم بالغة نصبها الشرعية وشرائطها المرعية فتؤدوا هذا الحقّ الی وليّه فان قال قائل لاولم يثبت عندك كذبه فلا تراجعه فی القول وان انعم لك منعم بأن قال نعم للّه فی مالی حقّ فامض معه علی توأدة مشوّقا له من غير ان تخيفه او تعنت به فخذ مااعطاك من ذهب وفضّة وغلّة فأن كان له ماشية ضان اومعز او بقر او ابل فلا تدخل معاطنها واماكنها الاّ بأذنه .

فان اللّه سبحانه وان كان شريكا له فی قسم منها الاّ انّ الاكثر منها له فاذا اتيتها الی اماكنها فلاتدخل عليها دخول متسلط عليه معنف به بل دخول مؤدب متزّن حتی لا تجرح عاطفته ولا تزرع فی قلبه نفرة من الحاكم الذی يحكمه فيحسب حكومة الحق حكومة تغلّب وتعنّت لاحكومة حق وعدل ولا تنفرنّ بهيمة ولا تفزعنّها بالأعنات بها او التهجم عليها فأن للحيوان حرمته وحقوقه كما للأنسان نظير ذلك وان كان كلّ فی نصابه وحدوده مضافا الی انك اذا نفّرت بهيمة او افزعتها فقد آذيت صاحبها لانّ للمال عزّة عند صاحبه وقيمة فی نظره ويعتبر اهانة ماله اهانة له .

ثمّ علّمه الطريقة التی يستخلص من طريقها الحق الشرعی من وسط المال وهی ان يقسم المال المتعلق به الحق قسمين ثم يخيّر صاحبه علی اختيار احد النصفين فاذا اختار واحدا منهما كان له ذلك بدون قرعة ولا مزاحمة ثم يأتی الی النصف الباقی فيقسمه كما فعل اوّلا حتی تصل النوبة بالتنصيف الی ان يكون احد النصفين امّا مساويا للحق الشرعی او فيه زيادة عليه قليلة او نقصان عنه قليل فأمّا مع المساواة فالنصف الباقی يكون هو الحق الشرعی الذی ينصرف فيه عامل الصدقة وامّا مع الزيادة

القليلة فتعود الزيادة لصاحبها ومع النقصان يكون الجبران عليه .

هذا كلّه مسامحة للذى عليه الحق وهناك مسامحة فوق ذلك اشار اليها بقوله عليه السلام فان استقالك صاحب المال حتى مع تخييره فأقله ثم اخلط المال جميعا واصنع به مثل الذى صنعت اولا لكنه نهاه ان يأخذ الكبيرة الهرمة او المكسورة اوالمريضة اوذات العوار لان هذا كله بمنزلة المال المشرف على التلف غير القابل للاستفادة :ثم اوصى عامل صدقته ان لا يأتمن على حراسة هذا المال الذى جمعه بعنوانه حقا شرعيا الآمن يثق بدينه ويطمئن الى امانته فان النفوس الحيوانية لها علوق زائد بالامور المادية ولا يزعها عن التعدّى والخيانة فيها الاّ الأيمان القوى فاذا بلغ الانسان مرحلة الاطمئنان به والتوثق منه كان حريا بأن يرفق بمال المسلمين حتى يوصله الى وليّهم وهو الأمام الشرعى والخليفة على مسند رسول اللّه بالحق ونهاه ان يوكل بهذا المال غير الناصح الشفيق والأمين الحفيظ وامره ان يوجّه اليه ما يجتمع عنده من الصدقات حتى يصيّره حيث امر اللّه سبحانه فى صرفه وتوزيعه :ثم امر العامل بما يخصّ راحة الحيوان والعدل فيه حلاّ ومرتحلا بأن الأمين الذى يتولّى جلب الصدقة الينا يجب عليه ان لا يحول بين ناقة وفصيلها لما فى ذلك من اضرار بالحيوان جسما وعاطفة وان لا يستنفد لبنها فى حلبها بما يضرّ بولدها وان لا يجهدها ركوبا ومشيا وان يعدل بين الجميع فى حمل الاثقال والركوب وان يرفّه على الحيوان من التعب ولا يجدّ السير بالنقب والظالع لعجزهما عن الجدّ وان يوردها من الغدران والآبار التى يمرّ بها وان لا يعدل بها عن المراتع الى الجوادّ لان الجواد بطبيعتها فاقدة للعلف وان يوسعها فى الراحة ويمهلها عند المرور بالمياه والأعشاب حتى تصل الينا سالمة مرتاحة غير متعبة ولا مجهدة لنقسمها

بين مستحقيها على كتاب اللّه وسنة نبيّه لاعلى العاطفة والرغبة المجردة .

وقوله عليه السلام فى كلام له :ايّتها النفوس المختلفة والقلوب المتشتتة الشاهدة ابدانهم والغائبة عنهم عقولهم اظأركم على الحق وانتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الاسد هيهات ان أطلع بكم سرار العدل اواقيم اعوجاج الحق اللّهم انك تعلم انه لم يكن الذى كان منّا منافسة فى سلطان ولا التماس شئ من فضول الحطام ولكن لنرد المعالم من دينك ونظهر الأصلاح فى بلادك فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطلة من حدودك اللّهم انى اوّل من أناب وسمع واجاب لم يسبقنى الاّ رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله بالصلاة وقد علمتم انه لا ينبغى ان يكون الوالى على الفروج والدماء والمغانم والاحكام وامامة المسلمين البخيل فتكون فى اموالهم نهمته ولا الجاهل فيضلّهم بجهله ولا الجافى فيقطعهم بجفائه ولا الخائف للذول فيتخذ قوما دون قوم ولا المرتشى فى الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع ولا المعطّل للسنة فيهلك الأمّة .

التشتت هو التفرق وأظأركم اعطفكم ووعوعة الأسد زئيره وسرار العدل ما استبهم منه ولم يتجلّ الاّ بكاشف :انما وصف مخاطبيه باختلاف النفوس لتوجههم عليه وتشتت قلوبهم عنه مع مزيد فضله ووفور عدله وعظيم نبله وائتلافهم لغيره واتفاقهم عليه على مافيه من هناة ونقص مخزى وجهل فاضح وقصور واضح ولهذه العلة المكشوفة المتمكنة من بواطنهم المخزية لهم خاطبهم بأنّ حضور ابدانهم عنده وشخوص اجسادهم بين يديه لاقيمة له مع غياب عقولهم عنهم وعزوب افكارهم عن ادمغتهم ثمّ وبخهم بانه كم عطفهم ودفع بهم الى الحق فنفروا عنه نفور المعزى من زئير الأسد ولا قياس فان نفور المعزى من الحيوانات الكاسرة للخوف على حياتها امّا الحق فلايخافه الاّ الخائن ولا يفرق منه الاّ المجرم ولا يهرب من مؤاخذته

الاّ الجانى :ثم أصحر لهم بانه مع وجود هذه الطوّيات الفاسدة فى بواطنهم يستحيل عليه ان يجرى بينهم العدل الذى يجهلونه ولا يعرفونه او ان يقيم بينهم اعوجاج الحق الذى يتباعدون عنه ويميلون الى غيره ثم اعرب لهم مستشهدا باللّه سبحانه انه لم يقف موقفه من حوادث السقيفة والشورى واحداث عثمان وقضايا الناكثين والقاسطين والمارقين منافسة للقوم فى سلطان او التماسا لشىء من فضول الحطام ولكن ليرد الناس معالم الدين الصحيح ويظهر الصلاح فى القريب والبعيد من عباد اللّه وبلاده ويأمن المظلومون من الافراد بوائق المتنزين عليهم وتقام الحدود المعطلة وتنكشف السنن المحتجبة ثم شفع ذلك بانه احقّ الناس واحرّهم قلبا على انجاز هذه الحقوق الضائعة وانجاح هذه المساعى الخائبة لانه اوّل من اجاب النبىّ (ص) حين دعا الى الأسلام وانه ثانى الرسول فى اقامة الصلاة فمن ليت شعرى يكون احرى منه بذلك فى امّة محمّد (ص).

ثم عطف القول على شرائط الأمامة ولوازم الأمام الشرعى ليبيّن للناس المغفلين ان الامامة على الخلق ليست من شأن كل احد ومهما واتته الصدف وساعدته الحظوظ فانه لا ينبغى ان يكون الوالى على الفروج والدماء والمغانم وبيان الأحكام وامامة المسلمين ورآستهم البخيل فان فى البخيل نهمة وشرها وطمعا تقود الى الخزى والأفتضاح والسقوط والامتهان واتلاف حقوق الناس ولا الجاهل لأن الجهل رأس كل خطيئة وطريق كل ضلالة وسبب كلّ انحراف واذا كان الأنسان كذلك اضلّ الناس بجهله ولا الجافى الفظّ الغليظ الأخلاق فيقطعهم عن الدين وعن نفسه ايضا بجفائه ولا الخائف للأقوياء اما بعشائرهم او بأموالهم او بنفوذهم فيعتز بالقوى ملاحظة منه وينتبذ عن الضعيف استضعافا له ولا المرتشى فأنّه بعيد عن احقاق الحق وابطال الباطل وادارة امور الناس ولا الخفيف

فی دینه الضعیف فی ایمانه المعطّل لسنة النبیّ التابع لهواه لأنه یهلك الأمة بالاضلال والأغواء .

وقوله علیه السلام فی کلام له :واللّه مامعاویة بأدهی منّی ولکنه یغدر ویفجر ولولا کراهیة الغدر لکنت من ادهی الناس ولکن کل غدرة فجرة ولکل فجرة کفرة ولکل غادر لواء یعرف به یوم القیامة واللّه ماستغفل بالمکیدة ولااستغمز بالشدیدة .

اسلفنا القول مرارا بأن السیاسة علی لونین لون معرق فی الباطل ولون هو الحقّ الذی یجب ان یسار علیه ویستضاء بنور هداه امّا المعرق فی الباطل فهو الذی یتوسل فیه الی الوصول للهدف المتوخی وایّا کان الهدف بکل سبب موصل ولو استلزم فی طریقه اتلاف کل شیء وسحق کافة المقدسات وضرب العالم بعضه ببعض وهذا اللون هو الذی اتخذه ساسة الدنیا منذ اول حاکم متغلب منهم الی مایحتمل من بقاء للاجتماع البشری علی محدب الکرة معیارا لحکوماتهم بلا تفاوت بین المنتسب منهم للدین والمنکر له بالمرة وهذا المعیار من لازمه التکالب علی الرذیلة بشتی انواعها والانشمار عن الفضیلة بتمام اقسامها :وامّا اللون الذی هو الحق والذی یجب الاصطباغ به فی العقل والمنطق وحکومة الأدیان السماویة الصحیحة فهو اللون الذی سار علیه الانبیاء والأوصیاء والمثالیون وهو النظام اللازم التطبیق فی الوجود لتحصین کل موجود وایصال کل حق لمستحقه ودحض کل باطل ومبطل وعلی هذا فلا توازن بین علی ومعاویة والحسین ویزید وقبلهما بین موسی وفرعون ومحمد وابی جهل وعلی هذا المنوال فلا جرم اذا قال علی علیه السلام واللّه مامعاویة بأدهی منّی ولکنه یغدر ویفجر ویمکر ویرشی ویرتشی ویتوسل لنیل السلطان بکل وسیلة ومهما کانت فی لونها وجنسها ولولا کراهیتی للغدر والمکر

والفجور والرشوة والأرتشاء والخديعة والكذب واثارة الفتن وما الى هذه الرذائل من اسناخ لكنت من ادهى الناس لتمام مشاعرى وكثرة تجاربى وسعة علمى ومباشرتى للأعمال ونزولى فى ميادين الاجتماع ولكنّ الغادر فاجر فانا لا اغدر لاننى احرّم الفجور واتنزه عنه والفاجر كافر بنظم الدين جاحد لضميره بعيد عن ربّه ولبّه ووجدانه ولكل غادر لواء سوء يعرف به يوم القيامة ويوسم بنقصه ثم اقسم باللّه قسما بارّا بأنّه ليس من الضعاف العقول الذين تذهب عليهم المكائد او يصادون بالحبائل اوفيه مغمز يغمز من طريقه بالأرهاب يوجّه اليه والأرعاب يصوّب نحوه .

ما اسلفناه عن الأمام عليه السلام هو السياسة الصحيحة الشرعية لامادوّنه الأنسان المتجرد عن الدين زاعما انّ منطق عقله هو الحق والصدق كما جاء فى مجموعة الأعلان العالمى لحقوق الأنسان وقد وجدنا من وظيفتنا اداء للواجب الشرعى ايجاد مقارنة بين الدستورين الشرعى ومنشور حقوق البشر ليتجلّى ان الحق مع الأوّل لا الثانى فنقول تحت عنوان .

* (الأنسان وحقوقه) *

****

الانسان موجود بظاهرته الدارجة فى الوجود من اوضح المفاهيم بين افراده وامّا حقوقه فلها جهتان فى الملاحظة جهة تناط به بما انه موجود خاص له متطلبات خاصة وجهة تناط به باعتبار كونه قطعة من مجتمع لا تتساوى ابعاضه فى الروحيات والأفكار والأذواق وبما ان الجهة الأولى فرض مجرد لانه مامن انسان الآ وهو فى مجتمع وجب ان يكون محطّ الكلام هى الجهة الثانية وهى كونه قطعة من مجتمع لا تتساوى ابعاضه فى الروحيات والأفكار والاذواق :وهناك مطلب لابدّ من التوجه

له وهو ان هذه الأبعاض من المجتمع الأنسانى من اصل تكوّنها فيها تفاوتات جوهرية تكوينية كضعف البنية من اصل الخلقة وقوتها كذلك والدمامة فى بعض والوسامة فى آخر ونقصان الخلقة فى جملة وكمالها التام فى آخرين ولكل من هذه الاوصاف الخلقية تأثير واسع لا يمكن الوقوف امام فعّاليته فى النفوس فقوىّ العضلات ينتج اضعاف ما ينتجه ضعيفها بل قد يؤدى الضعف ببعض الأفراد الى ان يعجز عن انتاج اىّ شىء والدميم قد لا يقترن به أحقر الناس والوسيم وان كان من عنصر متنازل قد يتعالى به توفيقه الى ان يتسنّم اعلا عرش بين بنى الانسان وامّا ناقصوا الخلقة والمشوهون فتكليفهم واضح امام الطبقات الواجدة للكمال الخلقى وقس على ذلك نظائر ما ذكرناه وهذه التفاوتات لها اثرها فى تفاوت الأحكام التى يراد تطبيقها على الانسان بما هو فى مفرده وبما هو فى مجتمعه ٠

اذن فكلمة حقوق الانسان كلمة لا مفهوم لها ولا مصداق عند التحليل وفى مقام التفصيل وانّما تساق فى لفافتها من دون التفات ويؤتى لها باحكام من دون تشخيص موضوعاتها وكلا الأمرين غلط ٠

وامّا قول من يقول منذ اللحظة التى اخذ الأنسان يفكّر فيها وصار الناس يجتمعون فى أسر وعشائر وقبائل وقرى ومدن وحكومات اخذ يحسّ بان المجتمع قد سلبه كثيرا من حقوقه الطبيعية فهو من ناحية المنطق قول فاشل لان حسّه هذا حس شخصى مبعوث عن ميوله ورغباته ولو عرض حسّه على المنطق فربّما لم يساعده المنطق عليه وعن هذا الحسّ الشخصى انبعث شعوره بانه يحتاج الى السعى فى استرداد ما سلب منه وعن هذا الداعى غير المركز حارب الناس بعضهم بعضا من اجل الماء والمرعى والرغيف ومن اجل السيادة والحاكمية ومن اجل العقيدة والنظرية ٠

والانحراف فى القضاء والحكومة ينتج الانحراف فى التنجيز فلا بدع اذا استعمل البشر فى معاملة بعضهم بعضا اقسى انواع الوحشية الى حدّ يشعرنا بالمرارة والألم حينما نقلّب صفحات التاريخ اونقف بحواسّنا على ماتلمسه شهودا وكثيرا مانسأل انفسنا فى ذعر وحيرة هل كان الذين تصدر عنهم تلك الاعمال من البشر الذى يوسم بالعقل والشعور لكن لامجال فى الواقع لهذا الذعر والحيرة فأن عنوان البشرية لاقيمة له اذا لم يكن مقياس منطقى منبعث عن شعور يعدم الاتهام لنفسه فيما يوجبه وينفيه يطبّق عليه الأنسان حقوقه التى يزويها لنفسه فيأخذ بالمقبول ويطرد عن ساحتها الميل المرذول .

وعن ذاك المنطق الفاشل استرسل ذاك القائل فقال لقد حاولت الحضارة الاغريقية الرومانية فى أوج ادوار ازدهارها ان تحدد حقوق الانسان لكنها باءت بالفشل لانها على كل ماقدمت للانسانية من عطاء فكرى وفلسفة رائعة لم تلغ الرقّ ولاحرّمت الاسترقاق وهذا معناه ان العنصر الأساسى لحقوق الانسان كان مفقودا فى تلك الحضارة وفشل هذا القول يظهر بالتنبيه على نقاط .

(١) ان الحضارة يراد بها فى الأعم الأغلب البراعة المادية القائمة بتعبيد الطرق واشادة الجسور والقناطر وتسهيل السبل وغضارة العيش وهذه المطالب لاترتبط بالانسان من وجهته البشرية الاّ ارتباط تزيين لظاهره واعداد لتقدمه المعنوى ان كان من المعتقدين بالمعنويات وامّا مايعود لحقوق الانسان من حريته الصحيحة وكرامته الواقعية وحفظ حيثياته فلا يمتّ الى الحضارة المزبورة بقليل ولاكثير ولم تطلع الدنيا على ابنائها فى يوم من ايام اللّه بحضارة حافلة كما طلعت بها فى هذه العصور المتأخرة لكنها لاتعرف فى طريقها سوى الشهوة والميوعة والرغائب

النفسية الجاهلة فقط واين هذا من الانسان بما هو موجود له ميزاته وخواصّه على الحيوان ٠

(٢) وامّا الفكر وعطاؤه فمجال القول فيهما ذو سعة كاتساعه فى تفسير كلمة الانسان فان كافة الظاهرات التى تدرع بها ابناء الانسان من قديمهم السابق الى حديثهم الحاضر من عبادة الشموس والأقمار والكواكب والنيران والأنوار والانسان والحيوان والنبات وكافة الفكر التى طلعوا بها من تفاوت الطبقات بالالوان والعناصر والفقر والغنى وتجويز الرقّ الى مالا يعدّ كل ذلك من طرز فكر الانسان فى حياته والفلسفات كلها غابرها وحاضرها مآلها الى ذلك اذن فليس الفكر على اطلاقه بمحترم وليس عطاء كل فكر بذى قيمة بل الفكر الذى يكون زبدة المخيض له نوع من الاحترام ومثل هذه الافكار وعطائها قليل الوجود فى اطباق الآراء البشرية ٠

(٣) ليست مسألة تجويز الرقّ ببدع فى الفلسفة الأغريقية الرومانية فأن المفهوم البدائى لاسترقاق الانسان اخاه فى النوع وان كان مفهوما نابيا عن السليقة البشرية الاّ انه فى مراحل العمل الخارجى معمول به فى كافة الاجيال حتى فى عصر الذّرة وحتى بعد تدوين منشور حقوق البشر فأىّ قوىّ بماله وبجسمه ونفوذه لم يقم بكافة مراحل الأسترقاق عملا والتحكم فيمن هو دونه تحكما قائما على الرغبة النفسية وحب الذات والاعتزاز بالقوّة التى يملكها وليس الرق منحصرا بعرض الافراد فى الأسواق وبيعهم كبيع الحيوانات وفيما سنبحثه قادما توسع كاف لهذه النكتة الجليّة ٠

قال ذاك القائل انا لانكر انّ حضارة اليونان لمّحت تلميحا ممهدا لحقوق الانسان فقد وهبت اثينا للعالم فى عهد بركليس نموذجا للمدنية التى يعيش المواطنون فيها متساوين احرارا بلا تفريق بين الأغنياء

والفقراء فلا يجوز ان يسترق احد احدا من المواطنين لأيّ سبب من الأسباب فقد كان لكل اثيني الحق في ان يتكلم في الجمعيّة وله الحق في ان يرشح للوظائف العامة وله الحق ان يتولّى منصب القضاء ولم يكن لاحد حقّ الصدارة على غيره من المواطنين في الأعياد العامة ماعدا الحكّام وكان الشعب هو مصدر السيادة وكان يمارس هذه السلطة بنفسه مباشرة من غير ان ينتخب نوّابا عنه ٠

اقول هنا نكات :

(١) اسلفنا ان الحضارات الماديّة التي هي منظور اغلب الباحثين لاترتبط بالأنسان وحقوقه الا ارتباط اعداد للمعنويّات في جملة منها ان كان في البين من يعتدّ بالمعنويات ويريدها من الناس ٠

(٢) وامّا اجراء المساواة بين عموم الطبقات فمن المستحيل في التحقق الخارجي الاّ اذا كان القائم بالامور من اعظم المثاليين روحا وأقدرهم حكومة في الأجراء وهذا الملاك مفقود في اية امّة تفرض سابقا ولاحقا والتفرقة بين الغنيّ والفقير وواجد الشرف المادّي وفاقده قطعية الوقوع في اهمّ الموارد لان الغني بغناه والشريف بشرفه يوطئان لانفسهما من المقدمات مالا يعقم اثره قطعا :نعم عدم استرقاق احد احدا بمعنى عدم البيع والشراء في الأسواق فممكن الحصول والتحقق في كل زمان وامّا تولّي منصب القضاء فلا يجوز ان يكون مباحا لكل احد بل للواجد علما وصدقا ودربة وصلاحية مرموقة في هذه الموارد بحيث تصان به الحقوق ويؤمن معه من الأشتباه حتى لو كان نزيها عن التمايلات ولا يجوز للحاكم في غير موارد حكومته التي يحفظ بها حرمة القانون الصحيح وتنفيذه ان يتعالى او يتصدر ٠

(٣) ليس الشعب بكلّه اهلا لأن يكون مصدر السيادة بل الذي له

الحق فى ذلك منهم العاقل العالم الورع العارف ذاك الذى يقال فيه وفى نظيره كلمة اهل الحلّ والعقد وامّا الهمج الرعاع والطغام من الناس فهم على سبيل الأستمرار والى ابد الآبدين فى حاجة الى قوّام يقومون عليهم لفقدهم للصلاحيات ومحروميّتهم من الكفاآت لا بقسر قاسر قهرهم على هذه الخطة النازلة ولكن بحكم بعدهم عن الثقافات بشتّى العناوين وامّا انّ الشعب فى اثينا كان هو مصدر السيادة والحاكمية وانه بنفسه يمارس هذه السلطة مباشرة فكذب وتزوير اذ لم يعهد فى ادوار البشرية كلّها اقلّ محقق لذلك نعم تختلف الشعوب فى الشرف والأمتهان فربّ شعب يعيش بشرف نسبى وآخر يعيش باضطهاد واستبداد لحدّ اليوم بل والى ابد الدهر ·

قال ذاك القائل وقد عبّر بركليس عن ذلك بقوله ان هذا النظام اسمه الديموقراطية فجميع المواطنين يتمتعون بالمساواة فيما يتعلق بالخصومات الفردية امّا المناصب فان الوصول اليها موكول الى المواهب لاعلاقة له بالطبقات اوالجاه ولا يمكن ان يحول خمول انسان اوفقره دون ابراز مواهبه اذا كان قادرا على خدمة المجتمع ·

اقول من المستبعد حتى فى الخصومات الفردية ان يتمتع جميع المواطنين بالمساواة امام القانون بحيث لا يمتاز نابه عن خامل ومتمول عن فقير وذو اخوان واخدان ومعاشرات عن معدم فى ذلك كله لأن ادوار البشرية لم تحقق لنا ذلك الاّ فى صدف لا يعتدّ بها :نعم من الحق ان يكون المنصب موكولا الى الموهبة والصلاحية والكفائة وان لايكون بالتشخصات الفارغة ورضخ الرشوات وتواتر الشفاعات الاّ ان ذلك كسابقه معدوم الحصول الاّ فى افراد وصدف محدودة :نعم يجوز ان ينبه الخامل فى علمه ويشخص الفقير لفضله ويخدم كل منهما المجتمع بقلمه ولسانه ومهارته ·

قال ذاك القائل ولعلّ اقوال بركليس هذه هى التمهيد الروحى لوثيقة حقوق الانسان التى ابرزتها الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ ووثيقة حقوق الانسان التى اعلنتها الثورة الفرنسية هى المصدر الروحى للاعلان العالمى لحقوق الانسان .

اقول لا شكّ ان تطيير الآراء الحرّة الصحيحة والافكار الاجتماعية اللاهبة وتناصر السنة الأحرار واقلامهم وتواتر الانقلابات بنفع الأجتماع العام ممّا له اثر فى تنبيه المجتمع ودكّ غطرسته المتعنتين من الحاكمين وتبديل القوانين الظالمة الى قوانين عادلة مريحة ولا شكّ ان الثورة الفرنسية كانت مصدرا لجملة من التغيّرات العالمية بنفع البشرية الى حدّ ما .

قال لقد طالب الاثينيّون بأصلاح اجتماعى واقتصادى ليرفعوا من شأن الفقراء فى نظر انفسهم فحققوا مشروع الخبز بثمن زهيد وفرضوا الرواتب لمشوهى الحرب وللأيتام ولذوى العاهات واقرّوا مساعدة ذوى الدخل المحدود الى درجة تمكّنهم من دخول المسارح والحصول على الرفاهية فى المواسم والأعياد .

اقول لا استبعاد ان يلتفت عقلاء ايّ جيل يفرض وان بعد مداه فى التاريخ الى المطالبة بالاصلاحات الاجتماعية والأقتصادية وان يرفعوا من شؤن الفقراء معنى ومادة وان يؤسسوا صناديق تعاون دولية وشعبية لمساعدة مشوهى الحروب والأيتام الذين لاكافل لهم وذوى العاهات والزمنى وذوى المداخل المحدودة الآ ان ذلك لا يحصل بصورة دقيقة بعيدة عن الاجحاف والتلصص والمحروميات للمحرومين المذكورين فأن المشاريع المشار اليها حاصلة كلها فى هذه الادوار ولكن بصورة شكلية فى الأعم الأغلب .

قال مع هذا فقد ظلّ النظام الأثينى الذى فاخر به بركليس فيه من الفجوات ما يباعد بينه وبين مانسميه الأعلان العالمى لحقوق الانسان فمن تلك الفجوات ان المساواة والحرية اللتين نادى بهما بركليس بقيتا محصورتين فى مدينة اثينا ولاحظّ للأجنبى فيها كما لاحقّ للعبد ان يتمتع بها بينما المساواة التى نادى بها الأعلان العالمى لحقوق الأنسان تشمل كل البشر من ايّ جنس او لون او دين ذكورا واناثا .

اقول لاغرابة ان تبقى فجوات بين النظام الأثينى الذى مرّت عليه عشرات القرون والنظام الفعلى لان هذه الفواصل تشحذ من العقول وتصقل من الأفكار ماتعود الفاصلة الفكرية فيه فاصلة ذات امداد قوىّ وان كانت المساواة والحرية محصورتين فى مدينة اثينا ولاحظّ للأجنبىّ فيهما فأن عالم البشرية اليوم لا يزيد عملا فى تسفله عن تيك فان الشرقى الذى هو اليوم اجنبى عن الغربّى يرى من الذلّة والأمتهان والأضطهاد والاستبداد مارذّل شرقيته فى عينه : هذا وقد اسلفنا ان العبودية من اهمّ رذائلها السقوط والتسفل وهذا المعنى حاصل فى كل امّة ضعيفة فى عالم اليوم وامّا المساواة التى نادى بها الاعلان العالمى لحقوق الأنسان بما يشمل كل البشر فهى لفظ فارغ والعيان على نقيضة فى كافة مجاليه العملية .

قال صحيح ان ديمقراطية اثينا لم تكن تبشر ببعض الأجانب لكن هناك فرقا بين ما يفرضه القانون حقا طبيعيا وما يجاد به عليه منّة تخضع للعواطف والأهواء فلو كانت العواطف والأهواء تغنى عن الأنظمة والقوانين لما كان من الضرورى ان يذكر فى القوانين حق الأبن على ابيه وحق الوالد على ولده .

اقول لا شكّ ولا ريب ان كل ما يجاد به من القوى على الضعيف دولة

وفردا انما يكون امّا للعاطفة او للهوى اوفلتة لاتعلل بداعى سوى الميل الوقتى الذى انقدح فى نفس صاحبه فدعاه للاجادة عفوا ولم نر فى العالم قويا اعطى حق الضعيف من نفسه بداعى القانون الاّ ان يكون مثاليا واين هو المثالى فى جوامع البشر ومايجاد به تصنعا وبدواعى مرموزة كما تفعله السياسات والساسة فهو كالحبّ يلقيه صاحبه ليختل من ورائه صيدا يبيعه بثمن او يطبخه اشباعا لشهوته وكل ماذكر فى القوانين ان كان حقا فى مفاده فهو فى مرحلة لفظية مجردة والتطبيق دائما يكون بدافع آخر غير قانونيه القانون ومن بعض الدوافع ماذكرناه من العاطفة والهوى والتصنع.

قال لقد كان من مبادئ الأثينيين اشاعة الحبّ والتسامح مع الذين يخاصمونهم من الاغريق فكانوا يمنعون اقامة التماثيل التى تخلد الأنتصارات لما فى ذلك من اثارة الاحقاد وتوارث الضغائن .

اقول ان صحّ ماذكره هذا القائل عن الاثينيين فهو اعجاز فى وقته بل فى كل وقت فاننا نرى الدول حين تبارز شعوبها لفرض اهوائها عليها ويتاح لها الانتصار لاتبارح التعريض بهم والطعن عليهم وتزيد شعلة الحقد فى كوامنهم فكيف يكون ليت شعرى حال الأجانب مع البعيد يسن عنهم عنصرا ولونا ومنطقة ولسانا وعادة وخلقا .

قال صحيح انهم حاولوا تخفيف ويلات الرق وصحيح ان بعضهم رأى فى العبيد بشرا يتألمون مع هذا فان افلاطون العظيم صاحب الجمهورية الخالدة التى قال عنها (أمرسن) احرقوا كل الكتب ففى جمهورية افلاطون غنى عنها قد سلّم بكل بساطة بنظام الرق .

اقول ليس افلاطون العظيم بدعا فى العظماء فكم من عظيم شذّ فى آرائه الى ابعد حدّ والجملة الوافرة التى تذكر من آراء الفلاسفة فى كتب المعقول ولا يصيخ لها العقل هى من الشذوذ الذى ذكره هذا القائل

عن أفلاطون والذى يسلخ عنه حجاب القبح ويغطيه بسجاف يزويه هو عظمة قائله وشهرته فيما بين الناس .

قال ونشبت معركة فى رومية بين الاشراف ورجال الشعب كان من نتائجها ان الشعب طالب بالمساواة لأنّ حب المساواة امر طبيعى فى دم كل انسان فاذا عجز الناس عن المساواة صعودا طالبوا بها انحدارا ومن اجل هذا شاع على السنة العامّة فى كل عصر الظلم بالسوية عدل فى الرعية .

اقول ان كان المنظور بالمساواة هى المساواة امام القانون العام فالمطالبة بذلك من الشعب حقّ وان كان المنظور بها هى المساواة على كل حال بلا ميز لمساعى النشيط العامل على الراكد العاطل كانت المطالبة بها غير مشروعة وامّا ان حب المساواة امر طبيعى فى دم كل انسان فهو ميل عارم لاقيمة له اذا لم يكن عن استحقاق وعجز الراكد العاطل عن موازاة النشيط العامل واستوائه معه فى افقه العالى لا يجيز له من طريق المنطق ان يجرّه الى افقه النازل ومقالة ان الظلم بالسوية عدل فى الرعية مقالة خاطئة لان الظلم كلّما قلّت موارده او خفّت وطأته كان اقلّ فى الجريمة ممّا اذا كثرت موارده واشتدت وطأته لكن هذه المقالة ونظائرها منشؤها الحسد بلون خاص وعلى غرارها جاء المثل اقتلونى ومالكا .

قال لقد لمس الرومانيّون مقدار مافى الرقّ من بشاعة فأخذوا يضعون اسس المساواة ولو بالكلام فأباحوا حرية الأعتقاد ولكلّ مواطن ان يمارس العبادة التى تروق له على شرط ان لا يهاجم علنا اوفى عنف معتقدات الآخرين وعلى شرط الاّ يرتكب فضيحة فى عباداته او معتقداته .

نقول لا شكّ فى بشاعة الرق بمعنى قهر الانسان بالقوّة والاستيلاء

عليه بالغلبة وبيعه فى الأسواق بيع الحيوانات كما كان يفعل فى الجاهلية من اسر الأقوياء للضعفاء وامتلاكهم بهذا النوع من التغلب وما يصنع بالاحباش والزنوج بتجريد الحملات القوية من اللصوص والمتهجمين عليهم وامّا الاسترقاق الناشىء عن طريق مبارزة المتدينين للملحدين ومن بحكمهم فسيجىء التعرض له :وامّا ان الرومانيين وضعوا اسس المساواة ولو بالكلام المجرد فهم ليسوا ببدع فى ذلك بل حتى واضعوا منشور حقوق البشر فى ارقى ازمان التمدن البشرى لم يتجاوزوا به الوضع الكلامى المجرد :وامّا اباحة حرية الاعتقاد فليست بصحيحة قبل التجزئة والتحليل العلميين لان الخطأ فى الاعتقاد يجرّ الى الخطأ فى العمل بطبيعة انبعاث المعتقد عن داعى اعتقاده فاذا كان اعتقاده غلطا جلب على الاجتماع او ابعاضه شرورا جمّة باعماله الخاطئة وهذا من الوضوح بمكان :وقوله على شرط ان لا يهاجم علنا لامجال له لان العقيدة تدعوه الى المهاجمة فان من يعتقد بأباحة الاسترقاق من اىّ طريق كان يهاجم طرفه مع عدم المانع جزما كما يهاجم معتقدات الآخرين الذين يمنعون من اعمال عقيدته وهكذا لامجال لقوله وعلى شرط ان لا يرتكب فضيحة فى عباداته او معتقداته فان العقيدة بأى شىء تعلقت بعثت صاحبها على اعمالها ولا يمنع عن العمل الا القوة المصادمة ومتى صودم المعتقد لم يبق مجال لحريّته فى معتقده ونراه يبقى مفتشا عن السوانح التى تفرّج له الأزمات الواقفة امام عقيدته وسوف نتبسط فى ذلك بعد حين من هذه الدراسة .

قال لكن مع كل هذه الأرهاصات الأنسانية النظرية التى جاء بها الفقهاء بأعلانهم ان نظام الرقّ مناف للطبيعة البشرية فأن الفقهاء والأمبراطورية الرومانية على كل عظمتها عجزت وعجز الفقهاء عن مواجهة

الرأى العام فظلّ الرق نظاما معمولا به وعلى الرغم من ان اكثر دساتير العالم عيال فى الكثير من نصوصها على الحقوق الرومانية فان رومية عجزت ان تأتى بما اتت به فعلا الثورة الفرنسية من اعلان لحقوق الأنسان وعجزت الأمبراطورية الرومانيّة واثينا عن ان تصلا الى المستوى الأنسانى الرفيع الذى اعلنته وثيقة حقوق الأنسان مع هذا فيجب ان نعلم يقينا ان كلّ كلمة وكلّ خطوة مهما يبد اثرها ضئيلا فانّما هى تمهّد السبيل لما يجيء بعدها .

اقول من الظاهرات الكونية ان كل تشريع يجيء الى الوجود ويدعى الناس للأخذ به وتبذل كافة القوى على تبليغه والدعاية له قد يسلم من الزوائد الواردة عليه ويعمل فى حدوده التى جاء عليها لكن اذا تناولته العوام بعنوان انه دين اومذهب اومرام لهم طرأ عليه النقص والزيادة والتحريف والتشويه طبق تمايلات اذهانهم وهناك يكون موقف الفقيه منهم دائرا بين ان يجيء مؤيدا لخططهم على مافيها من خبط وخلط فعندها يعيش باحترام تام ورفاه واسع او مفندا لأضافاتهم وتحريفاتهم فهناك يطرد عن مقام شارعيته ويعتبر ضالّا مبدعا مع انّه كان هو المؤسس للدعوة وقبله لم يكن بأيدى العوام من دعوته عين ولا اثر وهذه الظاهرة سارية فى كافة الأديان والمذاهب والمرامات والآراء وهى من المصائب العامّة البلوى فى كل دور وزمان فلا بدع اذا عجز الفقيه الصريح عن مواجهة الرأى العام وامّا الحكومات فهى تختلف فى تطبيق قوانينها بمقدار ما تملك من حول وطول فالمتمكن من حكمه ينفّذ وغير المتمكن يصانع ويداهن بمقدار ما يفرضه الوقت عليه لحفظ حاكميّته وسيادته هذا ولانستطيع ان ننكر ان مناقشة الآراء والأفكار على مرور الزمان ممّا يحذف اكثر الغثّ والهزيل منها ويبقى الصالح السالم بالنسبة وهذا المطلب فى نفسه نعمة على من يقارن

زمانه هذا التمحيص والتحقيق .

وعلى اساس التصفية النسبية من السابقين للاّحقين وتمهيد المتقدم للمتأخر ما به صلاح حياته وتعديل جنبات اوضاعه نستطيع ان نصدّق نسبيا قوله فلولا الذى مهّد به فلاسفة اليونان واساطين الفقه الرومانيون وما قامت به الثورات فى كل انحاء الدنيا للمطالبة بالمساواة ولولا ملايين الروّاد الذين بذلوا دمائهم رخيصة وبسخاء فى سبيل تحقيق العدالة الأجتماعية والمساواة لكان على البشر ان يبدؤا اليوم من حيث ما بدأت اثينة وروميه والزنج فى العراق وامريكا فى حروبها التى شبّت بين الجنوب والشمال والشعب الفرنسى فى ثورته .

نعم العالم لم يصل الى مافيه اليوم من الغاء الرقّ وامن الطرق وتحديد نهمات المادّيين نسبة الاّ بفضل المغامرات السابقة التى اشير اليها نعم كان من اللازم ان يكون انتاج تيك المبارزات اكثر ممّا نجده الآن من العافية النسبية لكثرة الجهود التى بذلت فى هذا السبيل على اننا اذا لاحظنا بدقّة ماعليه العصر الحاضر من هناة اخلاقيةوعيوب حيوية ومؤاخذات اجتماعية وجدنا انفسنا قد انتقلت من لون فى الأنحراف الى لون آخر ومن طراز فاسد الى طراز لا ينخفض عنه فى الفساد وسنتكلم على ذلك فى المناسبات التى تعرض من هذه الدراسة .

قال فعلى الرغم من ان (ألبيان) صرّح بما يبعث الذعر بقوله لو ان القانون الطبيعى هو المعمول والمأخوذ به لولد الناس احرارا :وعلى الرغم من ان الديانة المسيحية فى صلاتها الربّية قد ساوت بين البشر اجمعين وجعلتهم ابناء الله :وعلى الرغم من قول صاحب الشريعة الأسلامية الكريم كلكم لآدم وآدم من تراب وليس لعربى على عجمى فضل الاّ بالتقوى :اجل على الرغم من ذلك كله وعلى الرغم من قول عمر بن

الخطاب لعمرو بن العاص لم تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا وقول الانسان البطل على بن ابى طالب لاتسمح بان يستعبدك انسان وقد ولدت حرّا :على الرغم من ذلك كله فان الثورة الفرنسية قد قرّرت بحزم ان جميع الناس يولدون احرارا :صحيح انه كان هناك مبادئ سامية قبل الثورة الفرنسية لكنها كانت موكولة الى ضمير الانسان ورأى الحاكم وصحيح ان على ابن ابى طالب قد غرس فى كل نفس بشرية عنصر الثورة على الاستعباد ولم يكن قوله مجرد نصيحة او مجرد انتهاز لحاكم مستبد ظالم بل هو سيف يقلده كل مستعبد ليشهره فى وجه مستعبده فكان الرجل رائدا من روّاد حقوق الانسان وكرامة الأنسان :لكن ذلك لم يصبح قانونا وكل ماناد ت به الكتب المقدّسة من الأخاء الانسانى موتّته مطامح الأنسان لان الكتب المقدسة تعتمد على ضمير الانسان وضمير الانسان يصدأ من حين الى حين لان مطامع الانسان لاتقف عند حد :وطموح الأنسان لا يرضيه الاّ التعالى والتسامى على غيره فمن هنا جاءت النكسات التى شوّهت جمال مادعت اليه الكتب السماوية من التعاليم الخيّرة والمبادئ السامية .

فالجرأة لابل البطولة والصراحة التى وهبتها الكتب السماوية لاتباعها فكتب لهم بها الانتصار على التعذيب والموت وكل انواع الأضطهاد والقسوة لم تستطع ان تسجّل فى قلوب اتباعها يوم انتصروا ولا قدرت ان تدوّن فى نفوسهم وضمائرهم فكرة التسامح مع المارقين والمخالفين لهم فى العقيدة اقول هذا وان كان هنالك بعض المبررات النظرية التى يلجأ اليها المدافعون عن خنق حرية الفكر ووأد المساواة .

نقول هنا نكات :

---

(١) قول (البيان) لو ان القانون الطبيعى هو المعمول والمأخوذ به

لولد الناس احرارا خاطئ في التعبير ان صحّ النقل عنه بهذه الصورة بل كان من الواجب ان يقول لعاش الناس احرارا فان الناس يولدون احرارا على كل حال وانما يستعبد القوىّ منهم الضعيف من بعد ذلك ويريد بالقانون الطبيعى الفطرة البشرية العامة فانها سواء فى كافة الأفراد .

(٢) التعبير بان البشر اجمعين ابناء اللّه وان كان المراد به المساواة فى عالم الخلقة الاّ انه تعبير فاسد من حيث الميزان العلمى فان اللّه وجود مجرد لامادىّ فنسبة البنوّة او الابوّة اليه نسبة باطلة .

(٣) منطق ان اكرمكم عند اللّه اتقاكم منطق رفيع عالى فى الرتبة فانه لاكرامة للانسان بطور مطلق مالم يكن متقيا ورعا محتاطا مثاليا واذا بعدت عنه هذه الصفات كان عدمه خيرا من وجوده وكان الحق فى كل الأشياء عليه لا له .

(٤) لا شكّ ولا ريب ان الانسان اذا فقد ضميره فقد خرج من انسانيته وهؤلاء الذين يتمردون على الحق فيساقون اليه بقوة القانون وتنفيذه ليسوا الاّ حيوانات فكما ان الحيوان لا يخاف سائسه اذا لم يوجع به ولا يروض له اذا لم يسبق بتأديبه كذلك هذا الموجود الذى يقال له انسان وهو ليس به الاّ فى الشكل المجرد .

(٥) الانسان الذى يطالب بحقوقه ويراد تعديل قضيته وتسوية حياته هو الذى يملك ضميره لا الذى اعطاه من يده وهو الذى يزن مطامعه بحدود صحيحة لا الذى يريد التهام الدنيا بخافقيها بكلّ وسيلة مستطاعة له وهو الذى لا يتعالى ولا يتسامى على غيره الاّ اذا كان فاضلا شريفا فى اخلاقه وغيره سافلا ساقطا متنازل الدرجات بكسبه اذن ففاقد الضمير والطامع غير المحدود الطمع والمتعالى من دون مؤهل ليسوا من

فصيلة الانسان الذى يدوّى باسمه ويذكر بنباهة وشرافة .

(٦) جناة البشرية وخونتها ولصوصها وقطّاع الطرق عليها يجب ان ينالوا من التعذيب مقدار ما يوقعونه بغيرهم فردا ومجتمعا ولا تجوز الرحمة بهم الآ حيث يجوز تضييع حقوق الباقين وكل مثالى اذا اتيح له الأنتصار فحكم المجموعة البشرية كان من وظيفته اللازمة احقاق الحق وابطال الباطل ولا يستطيع ان يحقّ حقّ المقتول الآ بالقصاص له لو اراده وليّه ولا يبطل الباطل الآ اذا اكتسح عفاريت بنى آدم الذين لم يدعهم الى التمرد على حقوق الناس الآ حبّهم للتهجم والتغلب والأستبداد بغيرهم بداعى هذه السبعية .

(٧) لا يجوز تحرير كل فكر ولا اعطاء الحرية لكل احد لان جملة من الافكار سامّة فتّاكة تحمل الاغرار على فعل الباطل والفتك بالأعراض والنواميس وخنق الحقوق وسلب الحريّات فاذا فسح لها المجال اضرّت بالفرد والمجتمع وهكذا بعض الناس اذا افرج عنهم سفكوا الدماء وقطعوا الطرق ونهبوا الاموال وضايقوا الأعراض والنواميس :فهذه النكات يجب ان يلتفت لها الباحث ولا يجوز له ان يرسل كلماته القائمة بالأضداد ارسال المسلّمات على اطلاقها .

قال حقا ان المبادئ التى جاءت بها الكتب السماوية لا يمكن ان تجاريها مبادئ من حيث الرفعة والسموّ لكنّ سموّ المبادئ شئ وتطبيق هذه المبادئ السامية عمليا شئ آخر ومن هنا جاء التاريخ يلوم اصحاب المبادئ السامية اذ هم اغفلوها ومن حق التاريخ ان يلوم لانه لو كان سموّ المبدأ وحده يكفى لاكتفى الناس بجمال مافى الكتب المقدسة من سموّ المبادئ ولم يطالبوا اتباعها بتحقيق ماجاءت به عمليّا .

نقول نحن لانشك ان المبادئ التى جاءت بها الكتب السماوية

والتى تعب من اجلها انبياء عظام ارخصوا اعمارهم فى سبيل تفهيمها وتركيزها فى الأذهان من دون ان يحاولوا بذلك سيطرة او حاكمية او استغلال لا يمكن ان تجاريها مبادئ اخرى من حيث رفعة المضمون وسموّ الهدف والمقصد ونفع المجتمع: نعم سموّ المبدأ شيء وتطبيقه على الخارج شيء آخر واصحاب الكتب السماويّة الذين هيمنوا على الأوضاع ببطولاتهم وقد سيّاتهم طبّقوا ذلك عملا بمقدار ما اوتوا من حول وطول ولم يلمهم التاريخ على اهمال فى التطبيق او اغفال له فى ادوارهم التى تمكنوا منها نعم انّما اللوم على الدول التى اشتركت فى امضاء منشور حقوق الأنسان ولم تقم بتطبيقه بل تركته حبرا على ورق وجاءت الى ميادين الاجتماع قائدها العمى ورائدها الشهوة وهدفها طرد الحيثيات والأستعاضة عنها بالماديّات الجافّة التى هى بنفع طائفة وبضرر اخرى من حيث الحياة المادية: واما سموّ المبادئ الفاضلة فلا ملاك له بين ناس هذه العصور.

قال ومن المحزن ان فكرة المواطن الحرّ التى مجدّتها المدن الديموقراطية فى العالم الأغريقى والعالم الرومانى قد اختفت الى غير رجعة وحلّ محلّها التعصب الدينى الذى اصبح شعارا للبشرية فى بعض الاجيال فكم قد فقئت عيون المخالفين فى الدين وشويت اجسامهم بالنار ومزقت الأسود أجسامهم وكم وكم قد صرّح فقهاء بارزون بأن اعدام السارقين واجب مقدس وكم قد حوربت حرية الفكر وعدّت جريمة لا تقبل التسامح ولا العفو ومع كل الارواح التى ازهقت والدماء التى سفكت فان ذلك كله كان غيثا لانماء شجرة الحرية.

نقول كذلك لا نشك ان فى الجملة الوافرة من المنتمين للدين ـ أىّ دين كان ـ تعصبا بغيضا يعود بهم الى وحشية عارمة ويكاد يكون من المستحيل ان يعيش ذو نزعة فى مجتمع يقلّ مشاركوه فيها لما يواجه من

المحروميات التى لا يقبل الاصاخة عليها اىّ ذى حس لكن هذا المعنى انما يرتبط مباشرة بالأتباع ولم يعرف عن المؤسسين للأديان الشرعية انهم كانوا يدعون اتباعهم الى هذا النوع من الجفاء الشائن والتزمت البغيض ولا شكّ ان كل روح ازهقت على هذا الحساب وكل دم سفك على هذه العتبة المنحوسة كان رصيدا لذلة الأديان انفسها مابين المتنورين واحلال اللاّ دينية مكانها ٠

قال بلغ من هوان الأنسان على اخيه الأنسان ان الاسرى الذين غنمهم المسلمون فى واقعة (الارك) فى الاندلس بيع الواحد منهم بدرهم ولعلّ اشنع ماوصلت اليه البشرية تلك العادة الشنيعة اعنى بها عادة الخصاء :لقد عرف العرب الرقّ فى الجاهلية وكان مصدر الرقّ عندهم الأسر والشراء والقمار احيانا امّا فى الاسلام فأكثر الاسترقاق حصل بالأسر ولا سيّما فى اثناء الفتوح ٠

نقول لا ريب ان الرقّ اذا كان منشؤه تغلّب القوىّ على الضعيف واستغلاله ايّاه كان من اشنع الرذائل وكذلك ايقاع الخصاء بالعبيد من اوجع الضربات التى يوردها الأنسان على اخيه الانسان لمجرد بادرة نفسية ورغبة شخصية وكذلك محاربة الانسان للأنسان لأجل ان يبتزه ماله اوعرضه او حريّته من اقبح الاشياء مفهوما ومصداقا لكن الحرب اذا قامت لصدّ عادية المتهجم وجرّه الى صوب السعادة التى يتمتع بها هو واخوته فى النوع حيث يأباها بالموعظة ولا يركن اليها بأقامة الحجة ولا يعيرها اقلّ طرف بالارشاد كانت من اعظم المحققات لسعادة البشرية فان من يلاحظ قيام نبىّ الاسلام فى اوساط الجاهلية البربرية التى ماكانت تعرف المعروف ولا تزن الفضيلة بمقدار شعرة واحدة ودعوته لذلك البشر المترهل المستسخف المصر على جهله وعناده وشقائه وتمرده طوال ثلاثة عشر عاما

بمثل قولـه ٠

وقضى ربّك الاّ تعبدوا الاّ اياه وبالوالدين احسانا امّا يبلغنّ عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما افّ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما: واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربّ ارحمهما كما ربياني صغيرا : وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا :وامّا تعرضنّ عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا :ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا :ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم وايّاكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا :ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا :ولا تقتلوا النفس التى حرّم اللّه الاّ بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليّه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا :ولا تقربوا مال اليتيم الاّ بالتى هى احسن حتى يبلغ اشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا :واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تقف مالیس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا :ولا تمش فى الأرض مرحا كل ذلك كان سيّئه عند ربك مكروها :ذلك ممّا اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع اللّه الها آخر (الآيات من ٢٢ وما بعدها من سورة الأسراء) ٠

وقوله :يا ايها الذين آمنوا ان جائكم فاسق بنبأ فتبيّنوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم :يا ايّها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهنّ ولا تلمزوا انفسكم ولا تنابزوا بالألقاب: يا أيّها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا :يا ايّها الناس انّا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا

وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم(الآيات من ٥ الى مابعد هـا من سورة الحجرات) الى مالا يحصى من هذا القبيل القائم بأثمن المعارف واشرف المقاصد وارقى الأهداف واسمى الغايات وارفع المثل ثم يواجه من الذين يخاطبهم بهذا الخطاب الوزين والمنطق الثمين كل محنة واذيّة وانواع المطاردات والتوهينات وأشكال البلايا والمزاحمات لا يتريّث ومهما كان عطوفا رؤفا فى الحكم بتجريد السلاح عليهم حتى يخضعهم للسعادة التى يتمتّعون بها من ناحية ويكفّ ويلاتهم عن محيط الانسانية من ناحية ثانية .

ولا شكّ ان كل خسارة جسيمة او ماديّة تحدث عن هذه المبارزات بنفع الأنسانية لاتعدّ خسارة بالمرّة وكلّ من يصرّ على التمرد والعتوّ والطغيان على هذه المبادئ الفاضلة والأنتصار لتربية الرذائل واشاعة الظلم وسحق الحريّات الصحيحة والأطاحة بالحقوق الحقّة يجب القضاء عليه لا أسره واسترقاقه واستذلاله واحتقاره فقط فأن الأسر لتحديد عرامة المأسور ليست الاّ كفّا لشرّه وقطعا لشأفة مرضه .

نعم يبقى الأشكال فى بقاء الرقيّة حتى بعد مطاوعة المسترقّ واسلامه وانقياده للسعادة فان دين الاسلام حسبما يظهر من قواعده الفقهيّة المسلّمة لا يرى اسلام الأسير اذا استعبد معتقا له ومحررا من الرقّ ولكن له من الوصايا البالغة والتأكيدات القوية فى اعتاق العبيد مالا نظير له فى مستحبات الشرع حتى انه خصّص زاوية من بيوت اموال المسلمين لشراء العبيد من مواليهم واعتاقهم فى سبيل الله هذا ماكان على عهد النبيّ (ص) الذى بلغ من احترامه للعهود والمواثيق ما يدل عليه صلح الحديبيّة وما كانت عليه سيرة أمير المؤمنين على عليه السلام الرافع للواء الأنسانية الى ابعد حدّ يتصور وهذا المعنى هو الذى قضى على انتصاراته امام

الانتهازيين الذين وقفوا امامه من معاوية وغيره لانه كان لا يُعدر ولا يمكر ولا يتقدم الى حرب الاّ كفّا لعبث العابثين ويرحم من يسترحمه حتى لوكان عدوّا له وبهذا نجى اهل الشام من الموت عطشا عند ما استولى اصحاب الأمام على المشرعة كما نجى عمرو بن العاص من الموت حينما ابدى سبتّه له الى غير ذلك من الشواهد :واما ماكان يفعله خالد بن الوليد او سعد ابن ابى وقاص ابوعبيدة ابن الجراح او معاوية بن ابى سفيان او موسى ابن نصير او طارق بن زياد او بنو امية والعباس الى ماشئت ان تعدد من قادة المسلمين وملوكهم وخلفائهم فليس فيه اقلّ حجة شرعية حتى تكون افعالهم التى قاموا بها فى حروبهم او سياساتهم نقطة ضعف ومؤاخذة على دين الأسلام نفسه وهكذا لاقيمة لفتاوى الفقهاء اذا لم تستند الى نصوص قرآنية او سنة قطعيّة اوسيرة ثابتة عن النبىّ ذاته فلا يجوز ان تكون ملاكا للخدشة فى دين الاسلام بما فيها من نقاط ضعف فى الأفتاء فليفهم ذلك بدقة .

قال لقد كان الصراع قائما بين نظريتين النظرية الأولى تقول ان الأنسان فاسد بطبعه ولا سبيل الى اصلاحه الاّ بالزجر والأرهاب والنظرية الثانية هى ان الأنسان خيّر بطبعه فوثباته كلّها مشروعة .

تقول كلتا النظريتين على اطلاقهما فاسدتان فليس الانسان بطبعه فاسدا وانما يفسده جريه فى الحياة المدنسة نعم هو خيّر بفطرته الاّ انه فى حاجة الى رصيد يزعه عن فعل الشر ويدفعه الى فعل الخير .

قال واخذ الناس شيئا فشيئا يفهمون ان العنف هو الذى يؤدى الى ازدياد التعصب ويثير الاضطرابات فى اىّ وطن وان حرية الفكر والكتابة هى الترياق الأكيد الذى يقتل سموم التعصب الذى هو وأد لكرامة الأنسان .

اقول العنف بالأنسان يؤدى به الى ان يحمل حقدا يتورم على مرور الأيام فاذا حصلت له فرجة انفجر باشدّ الحالات كما لا شكّ ان الترفيه على الفكر والقلم واللسان بما لا يزاحم حقوق الفرد والمجتمع ولاحريتهما من النعم التى لها قيمتها ونظرة الى ماكانت عليه الشعوب المضطهدة من الأختناق وما عليه الشعوب التى تملك نصيبا من الحرّية اليوم تكفى للمقايسة بين جفاف امس وطراوة الحاضر وتزّمت الماضى ولين الزمن الحالى كما لا شكّ ان الأنسان اذا استغلّه النافذون فى وطنه يعتبر محروما من الوطن نفسه فضلا عن ضياع حقوقه .

قال دعا ديكارت فى مجال الحقائق الأنسانية الى محو المبادئ والآراء المتحجرة والأفكار التى لا سند لها من العقل ولا من الحقيقة ولا تعيش الاّ بقوة قدمها وسطوة جدورها التاريخية :وانطلاقا من هذا المفهوم نشأت فكرة قابلية الكمال اللاّ نهائى وهى اعظم الافكار تأسيسا للمطالبة بحقوق الأنسان وهدما لكل موروث من الأفكار التى تحدّد من تقدم الأنسان وتقسم الناس الى طبقات واصبح شعار المفكرين ــ الى الأمام ــ شعار العقل الذى اخذ ينتصر ويضع قدميه على صخرة ثابتة ليس الى زعزعتها من سبيل :اخذ شعار العقل ينكر الشكوك التى كان الناس يعتقدون من طريقها انه لا يمكن لأنسان مهما بلغ من السموّ ان يتجرد من مصالحه الشخصيّة بل اصبح الناس يؤمنون ان فى طبيعة الأنسان رصيدا من الخير لا بل كنوزا من الخير والفضائل يمكن استغلالها لخير الأنسانية .

نقول هنا نكات :

(١) مادعا اليه ديكارت من محو المبادئ والآراء المتحجرة التى كانت تؤخذ بالتقبل الصرف لنسبتها امّا الى عظماء الفلاسفة او رؤساء الأديان

من دون ان يكون لها رصيد من المنطق فهو لازم الاتباع وما يعيش عليه جملة من الناس حتى الخواص منهم من تقبلهم لاقوال العظماء ـ ان صحّت النسبة اليهم ـ من دون تفهّم وتلقّيهم لجملة من المبادئ باعتبار سبقها فى التاريخ وعراقة وجودها فى الزمان فهو عاطل لاقيمة له والقاء بالفكر الحىّ الى التجمّد المميت .

(٢) فكرة قبول الانسان المستعد للكمال اللآ نهائى فكرة تملك الامكان العقلى فقط وبعبارة اخرى هى فرض مجرد عن التحقق بالسمة المذكورة نعم يقبل الانسان المستعد لطىّ مراحل ومراتب من الكمال لها وزنها المرموق ولا شكّ ان شعار التقدم الى الأمام شعار عقلى صحيح وقد يتاح له الانتصار اذا واكبته الصدف المؤاتية والظروف المساعدة وامّا صرف الأمكان العقلى وحده وشدّة العزيمة وقوة الشكيمة بمفردهما فى الأنسان لا يثمران له التحقق ان لم تساعد الصدف التى هى ليست تحت اختيار احد كائنا من كان .

(٣) لا شكّ انّ فى طبيعة الأنسان رصيدا من الخير وهو عقله الذى يحسّن له الحسن دائما ويقبّح فى نظره القبيح ابدا ويمكن استغلال هذا الرصيد فيه لخير الأنسانيّة الآ ان هذا الرصيد تجب تقويته ودعمه ومساندته ذلك لأننا نجد ان العقول الطالعة بالناس الجدد معبّأة مهملة بغلبة المادة على اهلها ومتى تغلبت الأمور المادية على الانسان العاقل ذهب عقله اضحية لها وراحت تعقلاته الصحيحة فى قبال الرغبات النفسية الماديّة الشهوية ادراج الرياح كما نشاهد ذلك بأعيننا فعلا وسيأتى التفصيل فيما نستقبله من بحوث هذه الدراسة .

قال وبلغ الضغط على حريّة الفكر فى بعض أقسام الدنيا حدّا لا يقرّه العقل ويأباه الضمير مع هذا فان الافكار المنادية بحقوق الأنسان وكرامته

كانت تنتقل فى ارجاء الدنيا كما يطوف الهواء حول الكرة الأرضية وكما تخترق اشعة الشمس طبقات الأرض فكانت الأفكار المتحررة توأد فى مكان وتثمر الأفكار نفسها فى مكان آخر فتقرأ فى وثيقة اعلان استقلال امريكا مانصّه (ان الطبيعة قد جعلت جميع الناس متساوين فى الحرية) وقد يقول قائل ان امريكا لم تطبق هذه الآراء فى بلادها الى يوم الناس هذا وهذا القول حق لكن الاعتراف بالحقيقة يعدّ غنما انسانيا سواء أمارسه الناس ام لم يمارسوه فانه سيأتى يوم يصبح فيه ماتراه مستحيلا من البديهيات ٠

نقول ههنا نكات :

(١) بلغ الضغط على حرية الفكر سابقا ولاحقا وحتى يوم البشر هذا مبلغا يدعو الى البهت والدهشة ومن اقل شواهده ان السلطان مراد العثمانى لما نحّى عن عرشه واعتلا عرش الخلافة مكانه السلطان عبد الحميد ماكان باستطاعة احد ان يأتى فى كلامه بلفظة ــ مراد ــ بل كان من وظيفته ان يقول مقصدى كذا وهدفى فلان شئ واذا غفل او جهل فقال مكان قوله مقصدى ــ مرادى ــ ازعج ايّما ازعاج وامثال هذا المثال ارقام تتجاوز الملايين ٠

فان النافذين حتى فى يومنا هذا طيّروا جاسوسيّتهم تطيير البرق فى الاسلاك فما من بقعة الاّ وفيها رصيد قائم على انفاس الناس فاذا نطق الانسان بكلمة حق لا يمترى فيها اثنان من العقلاء وكانت على خلاف منويات النافذ فعل بالقائل ماتنبو عن سماعه الآذان فضلا عن مشاهدته بالأحداق :فكم زرّق الماء الفائر فى احليل المنتقد وادخلت المكاوى الملتهبة فى دبره ونزعت اظفاره من منابتها وبرّح به تبريحا لاتقوى له الطبيعة التى لا يروعها بريق السيوف المصقولة وثقل الأغلال والكبول:

شوهد هذا كله حتى فى البلاد الاسلامية وحتى من الدعاة الى الأسلام انفسهم ٠

(٢) صحيح ان هذا الكبت وشدة المضايقة اذا وأدا حرية الأفكار فى مكان فقد يتهيأ لها مكان شاغر منهما احيانا فتجول وتصول بمقدار ماتسعها الصدف وترخى لها الاتفاقات الآ ان هذا الأرخاء فى مكان لا يثمر الترفيه للمضغوطين فى أماكنهم فقد تنتهى اعمارهم تحت هذا الضغط الذى لا بسهم واستمرّ معهم بل قد يوجب لهم الحسرة بأن معاصريهم يتمتعون بمزايا الحرية وهم محرومون حتى من القليل الضئيل منها وكم لما عبرّنا عنه من مصداق ٠

(٣) ان وثيقة اعلان امريكا استقلالها لم توح بهذه الكلمة:ان الطبيعة قد جعلت جميع الناس متساوين فى الحرية :الآ لما عانت من استعمار الأقوياء لها وتحكمهم فيها امّا حين قويت فى نفسها فلا تسل عمّا صبّته على رؤس الضعفاء من التحكّمات العارمة والتدخلات المزعجة والضربات المنهكة والتصرفات غير المحدودة وعمّا طلعت به من كبرياء وتجبّر وغطرسة وتكبّر بل فى النهاية اقامت قيامة العالم فلا تراها تهدأ آنا عن تخريب وتدمير ومضايقة للشعوب والقاح للفتن بينها وايقاع بها بشتّى انواعه وضروبه ٠

(٤) لاقيمة للأعتراف بالحقيقة اذا كان العمل الصارم على خلافها فنوع قوانين الدنيا اليوم تظهر عليها العدالة فى المفهوم الآ ان ذلك لاوجود له فى التطبيق العملّى وان يحصل احيانا ففى صدف لا تسمن ولا تغنى وامّا انه سيأتى يوم يصبح مانراه مستحيلا من البديهيّات فتخرص محض لاضمان له من الأقترانات الخارجية فهو رجم بالغيب ٠

قال وجاء بعد ثورة امريكا واعلان استقلالها ثورة فرنسا التى مهدّت

بما جاء بها من اعلان لحقوق الأنسان الطريق لأعتاق المستعبدين الروسيين من الرقّ فقد امر القيصر اسكندر الثاني سنة ١٨٦١ قيصر روسيا ان يعلن قانون العتق الذى اوجب فيه على السادة ان يعطوا المستعبدين الاقنان من الفلاحين جزء معلوما من الاراضى التى كانوا يحرثونها واوجب على الفلاحين عملا معلوما واجرة معلومة وكان عدد هؤلاء الاقنان الذين حرروا ستة واربعين مليونا من البشر .

اقول لا شكّ ان ايّة صرخة تحدث فى العالم بأيّة سمة كانت تحريرا ام استعبادا مثالية ام عنجهية فسادا ام صلاحا وتسعفها الصدف ببعض الموفقيات تعطى من نفسها تموجا فى الأماكن التى يصل اليها هذا التمويج فكما ان ثورة امريكا وثورة فرنسا وثورة الهند وثورة الجزائر وما الى ذلك من ثورات حصلت فى العالم بداعى التحرر اوجبت تواتر ثورات غير محدودة فى اصقاع الدنيا لأحراز الأستقلال كذلك لمّا تكالبت الدول القوية على استعمار الشعوب الضعيفة اخذ هذا الداء يسرى فى العالم من كل دولة تجد فى نفسها قدرة الهيمنة على من هو اضعف منها من الشعوب وهلّم القول فى الحجاب وهتكه والتحلّى بالفضائل والتظاهر بالرذائل ومنشأ كل هذا التناقض والتضاد والارتباك فى عالم البشرية ان الأكثرية الساحقة من الناس فى ايّ صقع كانوا وبأى زمان اقترنوا وبأى وضع تلبسوا تفقد العقول الناضجة والأدمغة المفكرة وتستسلم بأسرع وقت للظاهرة التى قضى لها ان تتوفق وقتا ماكائنة ماتكون هذه الظاهرة وامّا العقلاء الناضجون وذووا الأدمغة المفكرون فليسوا عن آخرهم من اهل الضمائر الطاهرة والأرواح المخلصة فكم فى عقلاء الاجتماع من انتهازيين وكم فى مفكريهم من مرموزين قد جعلوا عقولهم آلة لاصطياد البسطاء وافكارهم وسيلة لتمشية مقاصدهم الفاسدة فى الحياة بلا تفاوت فى البزّات

والعناوين ولا يعلم الآ الله سبحانه كم اكل هذه الدنيا دجّال بفلسفته او بوطنيته او بروحيته ومثاليته المدّعاة .

ضع يدك على دور الخرافيين الذين يمثّلون بزعمهم اخلاق الشرائع السماوية وآدابها حينما كان لشاشات هؤلاء رواج بين الناس تجد ماهو المقيم المقعد من الأعاجب حتّى كان المرموزون من السياسيّين يرضخون لهؤلاء الدجّالين مئآت الوف الدراهم ليضعوا حديثا واحدا يجبر ثغرة واسعة فى سياستهم وتجد اليوم نظير ذلك حينما تسمع ان فلما سينمائيا استفاد واضعه ملايين الدولارات وكما كانت النسوة تتسابق الى التشدد فى التحجب تتباهى بذلك امام المجتمعات التى كانت تهوى الحجاب وتعتّد به تراها اليوم تتسابق الى التعرّى وخلع الحجاب بل اللباس وابداء البدن كله بأحسن ظاهرة مستطاعة لها لأنها تجد نفسها متجاوبة مع الصرخة الزمانية وعلى كل فما يراه هذا الكاتب من ان تيك الثورات كانت ارهاصا وتمهيدا للتحولات البشرية من نقص الى كمال ومن عبودية الى تحرر ومن باطل الى حق ومن ظلم الى عدل رأى زائف والى الأبد سيواكب هذا الارتباك الذى اشعرنا به مجامع البشرية فلا يغترنّ بالرخاء من يمنّى نفسه بدوامه حتى مع اعداد مقدماته فكثيرا ماعرقل طريق المقدمات حادث غير محتسب كما لا يجوز القنوط من الشدة المضايقة فلعلّ السوانح تعكس السير واذا بالمبتلى معافى ولا الدولة القوية بقوتها ولا الضعيفة بضعفها فكم انعكس الدور فساد من كان اسير استعمار الأغيار وبار من اغرق فى الأستعمار .

وهذا القائل قد اعترف بمضمون ماقلناه حيث ذكر عقيب ما اسلفناه عنه بان الثورة الفرنسية احدثت ردّ فعل فى اوربة فأعلن الحلف المقدس سنة ١٨١٥ ذاك الحلف الذى كان غرضه فى الظاهر تثبيت سيادة تعليم

المسيح فى الدنيا ونشر السلام والخير والسعادة وجعل الشعوب تشعر بأبوة الحاكمين بيد أن هذا الحلف الذى بدا مثاليا ماعتم ان تحوّل غلاً حديديا فى اعناق الشعوب وقيدا قحلا يخنق الأمم ويئد الحرية وكل حق او شبه حق للأنسان .

قال نحن لانريد ان نتكلم على الأمور التى سبقت الثورة الفرنسية فى اوربة ففى سنة ١٦٣٥ وسنة ١٦٣٦ قامت حركات تمرد فى فرنسا اخمدت بوحشية لا يعرف تاريخ الهمجية ماهو شرّ منها اذ شنق الفلاّحون ومزّقوا وهم احياء لكنهم كانوا يموتون من غير ان يظهروا تخاذلا او ندما لأنهم كانوا مؤمنين انهم ليسوا عبيدا وانه اشرف لهم ان يموتوا موت الأحرار من ان يعيشوا عيش العبيد :صحيح ان السادة عرفوا ان الأضطهاد وقتل الحريّات هو الذى يورث نار الحقد فى قلوب الناس ويوحى اليهم بأنهم بشر لهم كرامة لكنهم ادركوا ذلك متأخرين ومتأخرين جدّا فما خطر لهم على بال ان الأضطهاد ووأد الحريات هو الذى يربى الكفاح تربية كغيره من اساليب التربية :فجاءت وثيقة حقوق الانسان التى اعلنتها الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩ فاتحة أجل فاتحة كما كانت خاتمة فاتحة لأنها كانت فجرا يوحى بطلوع شمس الكرامة الأنسانية وخاتمة لأنّها توجّت جهاد الأنسان وتضافر الافكار والشعوب اكثر من ألفى سنة لنيل حق انسانى طبيعى انكره الانسان القوىّ على اخيه المستضعف من اجل هذا كان اىّ اعتداء على حقوق الانسان يعدّ سحقا لمجهودات الأنسانية واحتقارا لما حققت البشرية فى تاريخها الطويل من انسانيات ومثاليات فوثيقة حقوق الأنسان من المثالية بمكان رفيع بحيث انه لا يستطيع انسان ان يقول انها طبقت الاّ فى بعض اقطار الدنيا التى بلغت المثل الأعلا ولعلّها لمّا تصل الى تطبيقها بعد .

اقول هنا نكات:

(١) الوحشية فى البشر ذاتية فيه لانه اذا نشأ هو واتجاهات نفسياته الحيوانية التى هى كل ذاته المادية وكيانه الطبيعى كان حيوانا خالصا والحيوان الخالص وحش نعم اذا فتحت نوافذ عقله من طريق معلم مثالى واستاذ وجدانى اخلاقى فلربما يصبح عقله مدبرجهاز بدنه فتنحجب وحشيته كما تقلّ وحشية الحيوان اذا ساسه مدبّر مدرب على السياسة وعلى هذا الملاك فالبشر وحشى منذ كان ووحشى حتى ينقرض ولا استثناء فى البين الاّ مع تربية العقل فيه وتوجيه الفكر والوجدان اللذين معه ولو بالقوّة فالبشر كما كان وحشا فى كل حركة وسكون يكونان منه فى عهوده الحجرية كان وحشا فى كل آن من ازمان عمره حتى الساعة ولا اقرب شاهدا على المطلب من زماننا هذا فكم اوقع بيض امريكا بسودانه ايقاعات مزعجة وكم عبث الأستعمار والتدخل الفضولى من الدول القوية بكرامات ونواميس بل ودماء الشعوب الضعيفة وكم اخذ التعذيب المزعج مأخذه من طريق التجسس على المواطنين انفسهم بنفع شخص خاص وحاكمية غير مشروعة بما ينبو القلم عن ذكره واللسان عن التفوّه به وعلى هذا فلا غرابة اذا شنق الفلاحون فى فرنسا فى التاريخ الذى ذكره القائل الآنف الذكر .

(٢) نعم لا شكّ ان الاضطهاد وقتل الحريّات يورثان نار الحقد حتى فى الحيوان الصامت لكنّ هذه النار لا تندلع الى الخارج اذا ابت الفرص ان تسنح للموتور فكم مرّت اعمار طوال على موتورين بواسل عاشوا خلالها فى قلق وازعاج لكنهم لم يجدوا فى حلقات طوال تلك الاعمار اقلّ فرجة يندلعون منها اندلاع الدخان من اقل منفذ يحصل فليس كل موتور يدرك ثاره ومن هنا اخذ الأستبداديون كافة المنافذ التى يعلمون او يحتملون

اندلاع اية نار من طريقها بالضغط العنيف والتجسس المزعج .

(٣) وثيقة حقوق الأنسان التى اعلنتها الثورة الفرنسية كسائر الوثائق التى اعلنها غيرها على طول خط الزمان ممّا يتضمن حفظ كرامة الأنسان وحيثياته وحقوقه المشروعة ليست ارهاصا لتقدم البشرية ونموّ كراماتها بل شأنها شأن السوانح التى تحدث فتؤثر بمقدار ما يتاح لها من بقاء وحياة فهذه الشرائع السماوية التى اقترنت بأول حياة الانسان واخذت تماشى مجتمعاته جيلا بعد جيل لاترى الواحدة منها قبل الأخرى الآذات تمويج مؤقت مقرون بفعاليّات دعاتها وموفقياتهم فى ميادين النضال فاذا انهار الدعاة بالموت وتفلّت الافراد على الدعوة اخذت الشريعة تضعف وتذلّ ويدخلها من الجزاف والخرافات ما يحيل صبغتها الى لون آخر لا ربط له بأصل مبادئها التى انبعثت عنها .

(٤) وثيقة حقوق الأنسان مثالية فى مفاهيمها راقية فى مضامينها لكنها لم تطبّق حتى فى شبر واحد من الأرض وحتى فى حقّ انسان واحد الآن يكون مخفورا بقواه ونفوذه وشخصيته وهذا خلاف مفروض المسألة والى الأبد يستحيل تطبيقها وحسن الظن بالمستقبل وراء العمل الجارى ووراء الفعل المحقق والفروض المجردة احلام لاتنجع ولا تنفع ولا تحلّ مشكلا ولا تحقّق مصيرا كما هو مكشوف .

قال اجل لقد جاءت موجات من الطغيان صوّرت للناس اوكادت تصوّر لهم ان حقوق الانسان وئدت لكن الحق الذى يجب ان يقال ان ظلام الدنيا بأسره لا يستطيع ان يخفى شمعة ابرزت صحيح انّ ابطال حقوق الانسان لاقوا فى كل عصر مقاومة ضارّة عنيدة الى حدّ ان الكثيرين منهم بذلوا حياتهم رخيصة فى سبيل كرامة الأنسان التى بها يؤمنون ونحن نعترف بانّه قد تمّ انتصار الانسانية الأدبى بالأعلان العالمى لحقوق

الانسان واصبح المهمّ عندنا ان نجنى ثمار ذلك الانتصار: هنالك معطّلات لحقوق الأنسان وللاعلان العالمى لتلك الحقوق فى دساتير بعض الأمم فلقد كانت بعض الدول الى وقت قريب وقريب جدّا لا تبيح حرية الأعتقاد لأنّ دستورها ينصّ على دين رسمى للدولة فهذا النص ان لم يرافقه نصّ صريح بحرية الأعتقاد يعدّ تهديدا لحريّة الضمير وحرية الاعتقاد وعلى الرغم من اعتراف الدول الأعضاء بالأعلان العالمى لحقوق الأنسان فان الوثيقة لمّا تطبق بعد والسبب فى ذلك ان السلطات التشريعية المنتخبة من الشعب وعلى يد الشعب اخذت تنحنى رويدا رويدا امام السلطة التنفيذية .

اقول هنا نكات:

(١) اسلفنا ان موج الطغيان على الحق كموج الماء المستبحر لا امد لانتهائه بل هو تابع لأعمال النفوذ من النافذين فى كل فرصة سانحة والنافذ لا يعرف حقا ولا يزن منطقا وانّما يهمّه اعمال اهدافه سواء طابقت الحق صدفة ام خالفته فحقوق الانسان اشبه مايكون بمرض المريض الذى يستطيل معه فتارة يقف عن التأثير السّيء بالوقايات اللازمة التى تتهيأ واخرى يعمل لضعف المقاومة وظلام الدنيا وان كان لا يستطيع ان يخفى ضوء الشمعة المسرجة الاّ ان ضوئها لاقيمة له امام هذا الظلام المخيّم العالىء لأصقاع المحيط ولقد جاء الى الوجود مثاليون اعجزوا الدهر بنبوغهم المثالى فشعشعوا انفسهم وفرضوها على الكون فرضا لا يقبل التدمير الاّ انهم لم يستطيعوا ان يسلخوا فساد العالم ويلبسوه الحلل التى اعدّوها له وماتت ابدانهم وبقيت فلسفاتهم وآراؤهم ولكن كعلم لا يعمل به وقانون لا ينفّذ وقاعدة صحيحة وزينة لا تطبّق ودين وليس له ديّان نقول هذا ونحن نطالعه وجها لوجه كما قال اسلافنا نظيرا لما

قلناه ولم يشاهدوا شيئا منه .

(٢) نعم ان انصار الأنسانية لاقوا فى كل عصر اعظم الأعناتات واشدّها وارخصوا اعمارا عزيزة على الحق والحقيقة فى سبيل كرامة الأنسان وحفظ حقوقه واخراجه من الظلمات الى النور لكنّهم لم يستثمروا من ذلك الاّ خدمة الوجدان وحده وانتصار الانسانية الأدبى الذى تمّ بالأعلان العالمى لحقوق الانسان لاقيمة له مادام سوادا على بياض ومفهوما من دون محقّق ولا شك ان المهمّ هو ان نجنى ثمار ذلك الانتصار ولكن الأمر كما قال شاعر المعرّة .

فيادارها بالخيف ان مزارها قريب ولكن دون ذلك اهوال

(٣) ليس للعقيدة احترام اذا كانت صرف ميول ورغبات بل بعض العقائد واضح البطلان منطقا مجحف بالحقيقة عملا فلابدّ للعقيدة من عرض على الموازين العلمية وتحليلها على ضوء المنطق فاذا تعاكست الآراء مع كل التحرى المبذول كان للرأى حينئذ احترامه باعتباره رأيا ولا يجوز اعماله بالقهر اذا استلزم تشويشا وسحقا للكرامات ويجوز لكل دولة ان ينصّ دستورها على دين خاص اذا كان الاكثر الأوفر من افراد شعبها معتقدا بذلك الدين لكن بشرط الاحتفاظ بحرية الأديان الأخرى فيما يخصّ شؤن اهلها الخاصة .

(٤) نعم على الرغم من اعتراف الدول الأعضاء بالاعلان العالمى لحقوق الانسان فان الوثيقة لمّا تطبّق بعد والى الآخر لاتطبّق الاّ اذا اتيحت لها فرصة سانحة وذلك بمقدار سنوح الفرصة لااكثر والسبب فى ذلك ان السلطات التشريعية حتى لواستطاع الشعب أن ينتخبها من نفسه انتخابا حرّا على مرور الأيام تأخذ السلطات التنفيذية فى استدراجها الى جانب الرئيس المسيطر فان روح الرئاسة روح متغطرسة تأبى ان

تحدّد بمحدّد فهى دائما تسعى السعى كله فى ضم القوى بأسرها الى نفسها حتى يصير جميع من سواها تحت الشعاع وحتى يأتى الرئيس على حدّ ماقال الله فى حق نفسه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

قال :اجمل ان وثيقة حقوق الأنسان هى اعظم نصر ادبى للانسانية واعظم يقظة فجر لكن الوأد المنظم لهذه الوثيقة مازال يجد عمالقة يحمل كل منهم رفشه وفأسه ليحفر برزخا يوارى فيه هذه الوثيقة اوبعض موادّها فمن ذلك ان وثيقة حقوق الأنسان والدساتير تنصّ على ان المواهب وحدها هى الأساس لتولى المناصب لكن الواقع مع الأسف يخالف ذلك فى كثير من الأحيان :ان وثيقة حق الانسان تنصّ على ان حرية الفكر والتعبير من اثمن حقوق الأنسان وان كلّ مواطن له الحق فى ان يكتب ماشاء ويتكلم ماشاء ويطبع ويذيع ماشاء ومع هذا فأن الواقع يخالف ذلك .

اقول هنا نكات :

(١) ان هذا القائل اخذ يعترف فى مرحلة التحقق العملى والتطبيق الخارجى بأن وثيقة حقوق الأنسان فى كل موادّها او فى الأهم من محتوياتها عقيمة الانتاج من ناحية الانسان نفسه ذلك لانه مامن قانون يدوّن فى ظرف اليوم ولا دستور ينظّم الآ وهو ينصّ على ان الافراد فى قباله متكافئون وتولّى المناصب الحكومية بأية صبغة كانت له شروط فى متون القوانين فاذا حصلت الشروط فى انسان مواطن كان ذلك ملاك استحقاق لتولّى المنصب المفروض والحال ان خارج الأمر لا يرى من ذلك عينا ولا اثرا وان حصل صدفة فى بعض الناس فحكمه حكم المعدوم فكم انخرمت كافة الشروط فى انسان له جاه او مال او شفعاء ومع ذلك تربّع على اهمّ كرسى ادارى وكم اجتمعت الشروط وتمّت المؤهلات فى انسان فلم ينل من طريقها ان نال الآ صبابة الأناء ولذلك لم يصبح التحصيل

وحده ملاك عمل للمحصّل بل هو من بدء وروده فى التحصيل يدور بأفكاره دائما حول المحور الذى يقدّمه غدا من الاستخذاء للنافذين وتقديم الهدايا للوسطاء والرشوات لأولياء الامور وتحصيل الشفعاء للمسيطرين وما الى ذلك لعلمه من الخارج ان الموهبة وحدها معدّ ضعيف لا يجوز الركون اليه والاستسلام بين يديه بل لابدّ من السعى وراء العوامل الخارجية التى لا ترتبط بالمواهب وملاكات تولّى المناصب ومع هذا فأين ينجع منشور حقوق البشر وماهى قيمته كما انه ماهى قيمة القانون ومقنّنه ·

(٢) اسلفنا ان حرية العقيدة والفكر والقلم واللسان يجب ان تحدّد بمقياس العلم والمنطق والاّ فالعقائد السطحية والافكار القشرية والأقلام المسمومة والألسنة المأجورة او العامية لاقيمة لها اساسا بل يجب ان تبارز حتى لا يغالب الجهل موازين العلم مكابرة ولا يسوّى بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون :نعم اذا استكمل الفكر عدته والعقل تفكيره والقلم شرائطه واللسان ملاكاته المؤهلة كان التحجير على ذلك خنقا للبشرية واطاحة بالحرية واهانة للعلم وتحقيرا للفكر لكن مع الأسف لم تبق بشرية لم تخنق ولا حرية لم يطح بها ولاعلم ناضج لم يوهن به ولا فكر مدرب لم يحقّر فكم اندلعت السنة حرّة على اعواد المشانق لأنها جهرت بمالم يوافق ذوق النافذ وكم تحطمت اقلام فى صدور كتّابها جزاء معاكسا لخدماتها الأجتماعية لأنها انبثعت بما لا يرضى المسيطر وكم اطيح بعالم لانه لم يرضخ لجهل الجهلة من الحاكمين وكم شرّد بمفكّر لانه أصحر بفكره ولم يدّلس وليس بنا ان نشرح كمّ ذلك وكيفه لخروجه عن حوصلة هذه الرسالة فأين القانون واين المقنن واين الأعلان العالمى لحقوق الأنسان ·

قال الأعلان العالمى لحقوق الأنسان هى الوثيقة التى اقرّتها الجمعية العامة للأمم المتحدة فى(١٠ ديسمبر ١٩٤٨) وبأعلانها صار

ذلك اليوم يوما عالميا يحتفل به فى مثل هذا التاريخ من كل عام والصيغة التى تقرؤها فيما يلى هى الترجمة العربية الرسمية التى وضعتها الامانة العامة لهيئة الأمم المتحدة .

(المادة الأولى) يولد البشر كلهم احرارا متساوين فى الكرامة وفى الحقوق وقد وهبوا عقلا وضميرا وعليهم ان يعامل بعضهم بعضا بروح الأخاء .

اقول كون البشر يولدون احرارا شئ بسيط فى نفسه اذ كلّ موجود فى اصل وجوده حر وانما يسلب حريته التغلب عليه والاستبداد به وهكذا كون البشر فى اصل الخلقة متساوين فى الكرامة وفى الحقوق فان التفاضل فى الكرامات وفى الحقوق انّما يكون بعد الجرى فى ميادين الحياة حيث يجئ بعض الافراد فاضلا شريفا والبعض الآخر رذلا سخيفا باختيار من نفسه وحينذاك لا تتساوى الحقوق قطعا فليس للرذل السخيف ان يستحق ما يستحقه الفاضل الشريف: واما الزام البشر بأن يعامل بعضهم بعضا بروح الأخاء فهى فتوى شرعية لم يعمل بها الاّ المثاليون من الناس قبل ان تخلق هيئة الأمم المتحدة وبعد ما خلقت ولا يحقّق هذه الفتوى الاّ تدريب الاجتماع على الخلق الفاضل المنبعث عن الايمان بالمبادئ ومن المستحيل تحقّقها فى هذا العصر الذى نبذا المثل ورائه بفراسخ وجاء الى الحياة ماديا فى كل اشيائه ولا ايمان مع المادّى واذا فقد الأيمان تباعد عن الخلق الفاضل واذا تباعد عنه كان حيوانا تخشى بوادره الساعة بعد الساعة وهذا هو كل ما نراه فى عصر التمدن من الفريقين فيه سواء فى دوائره الحكومية ام مستشفياته واطبائه ام دور معارفه وثقافته ام مع باعته وشراته ام مع السواد الأعظم الذى يلتقى به الأنسان فى المعابر العامة من شارع اوقطار اوسفينة اومقهى وما الى ذلك فلا يرى الانسان فى كافة هذه

الموارد الآ جفاء ووحشية وابتعاد بعض عن بعض حتى فى السلام وردّه فضلا عمّا فوق ذلك من ملابسات فليس البشر فى هذا التمدن ممّا يعرف الأخاء الانسانى اويدين به اصلا والعيان يكفينا عن اطالة البيان : بل نفس هذه الروح الساقطة نجدها بجهار فى بعض الدعاة الى الجنّة والنار .

قال : المادة الثانية : لكل انسان جميع الحقوق والحريّات المثبتة فى هذا الأعلان دون ما ادنّى تمييز لا سيّما فى العرق واللون والجنس واللغة والدين وفى الآراء السياسية اوغيرها من الآراء وفى الاصل القومى او الاجتماعى وفى الثروة والنسب اوما اليهما السياسى او القانونى اوالدولى للبلد او الأقليم الذى ينتمى اليه المرء سواء أكان ذلك الأقليم مستقلا ام تحت الوصاية ام غير متمتع بالحكم الذاتى ام مقيدا فى سيادته بأىّ قيد آخر .

اقول الغاء العرق واللون والجنس واللّغة فيما بين افراد البشر بمعنى ان هذه الأمور لا يجوز ان تكون مميزات لبعض على بعض حق لامرية فيه وقد قررت الاديان السماوية غير الخليطة بخاصة دين الأسلام هذه الاصول تقريرا فوق حدود التصريح وفى آيات الكتاب ومضامين السنة عن النبى وآله الشىء الكثير من هذه النصوص وان لم يعمل بذلك اتباعه بل للعنصرية فيما بينهم اثر فعّال يؤدّى فى كثير من تصرفاتها الى الوحشية الشرسة حتى من اهل السمات فى الدين والأعلان العالمى لحقوق الانسان فى هذه المادة يعيد صوت غيره وليس له فيه ادنّى ابتكار اصلا : نعم اخطأت هذه المادة فى تحرير كل دين وكل رأى فى السياسة كان ام فى غيرها فقد اسلفنا انّ العقائد والآراء لا قيمة لها اذا لم تتركز على علم ومنطق وموازين فنّ اذ ليس للجاهل رأى ولا للعامىّ عقيدة

صحيحة ولا للطرقيّين البعيدين عن مستوى المعرفة فكر ومعنى اعتبار اديان وآراء هؤلاء هو تفشية الجهل فى المجامع وجعل الجاهل مغالبا للفاضل والسفيه مناضلا للرشيد والعامى مكابرا للعالم وهو غلط يوجب ارتباك الأجتماع ويحطّه عن كيانه نعم حريّة الدين والرأى والقلم واللسان المعبرين عنهما حقّة فى اطار العلم والثقافة وتوزين المطالب بموازينها العلمية ليس غير وهذا المعنى ممّا قرّرته الأديان الحقّة والعلوم الناضجة قبل تحقق هيئة الأمم المتحدة فى الوجود مثلا يحترم الدين الأسلامى كل دين كتابى اذا لم يشذّ به الى ايجاد خلل فى النظام العام بعد توقيع المعاهدات اللازمة فى صيانة المجامع من الهرج والمرج والتموج العاطفى وفى القرآن الكريم ما ينصّ على ذلك صريحا فضلا عن السنّة .

قال :المادة الثالثة :لكل انسان الحق فى الحياة وفى الحرية وفى الأمنة على نفسه اقول معنى ذلك ان كل انسان يستحق حصة من المعيشة حتى يتمّ مراحل حياته وهذه الحصة من المعيشة مضمونة له بمقدار بذل جهوده الفكرية والجسمية وسعة هذه الحصة وضيقها منوطان بكفاآته التى يبديها من نفسه فتتسع باتساع كفاآته وتضيق بضيقها فالماهر الفنّان يكون فى رخاء من العيش والعاطل الاّ من اتعاب جسمه يكون اقلّ من ذلك بكثير وامّا العاطل بالمرّة فلا سهم له من الحياة ولا يستطيع عاقل ان يحكم له بأىّ حق الاّ اذا كان محروما من القدرة الطبيعية لعماه او اقعاده او مرضه ونحو ذلك ممّا يعطّل عليه جسمه وفكره ومثل هذا يجب ان تضمن الدولة الخازنة لبيوت الأموال معيشته بالكفاف حدّ الأقل وامّا تولّع امثال هذا بالأقوياء فغير جائز الاّ من بابة الحق الشرعى الذى رتّبه الشارع على عواتق المقتدرين اومن بابة الأحسان بالمواساة وامّا الذى يعطّل نفسه فلايجوز اعطاؤه القليل فضلا عن الكثير حتى لا يرتكس فى البطالة

وحتى لا يتعلم منه غيره .

وحق الأنسان فى الحرية انّما يصح بمعنى عدم الضغط عليه بدون عنوان صحيح سواء فى ذلك اموره الداخلية والخارجية وامّا الوقوف امام عرامته اوالضغط عليه لأجل استيفاء الحقوق اللازمة منه فليس من سلب الحرية الباطل بل هو من الحق حفظا لحقوق الاغيار وحرياتهم فلا يجوز للأنسان ان يعربد فيؤذى غيره ولا أن يتجاهر باللعب والطرب بما يزاحم الباقين وقس على ذلك .

وامّا حقّه فى الأمنة على نفسه فذلك منوط بعدم خيانته وتعديه على حقوق الناس وحيثياتهم والاّ فالخائن يجب ان يكون خائفا والمتعدى يلزم ان يصبح ويمسى قلقا مضطربا من مؤاخذة الحق له .

قال :المادة الرابعة :لا يسترّق ولا يستعبد احد فالرقّ والأتجار بالرقيق ممنوعان على مختلف اشكالهما .

اقول اسلفنا ان تغلّب الاقوياء على الضعفاء وتحكمهم فيهم بكل اساليبهما باطلان وجلب الزنوج والأحباش بوسيلة القوى القاهرة الى الاسواق وبيعهم وشراؤهم كله من نتيجة استبداد القوى بالضعيف وامّا الأسترقاق الناشىء عن المعارك المبدئية بين الحق والباطل فقد تكلمنا عنه آنفا بكلمة موجزة لكنها مغنية عن التطويل فليرجع اليها .

قال :المادة الخامسة :لا ينزل التعذيب ولا يعامل احد او يعاقب بشكل شرس او وحشىّ او حاطّ بالكرامة .

نقول لا شكّ ان الأنسان اذا ادّى الوظائف المحولة عليه من وجدانه وايمانه بالمبادىء الصحيحة وتسلّم حقوقه من الفرد والمجتمع بتأدية الفرد والمجتمع له ذلك لا يجوز الصاق اقل اذى به فانه من الاجرام الكبيرة امّا اذا تمرّد على معرفة الوظيفة فبقى جاهلا اوعرف الوظيفة ولم يطبقها عملا

وجب انزال العذاب به بمقدار تعدّيه كمّا وكيفا وامّا الارخاء له حتى مع التعدى وصرف النظر عن تعذيبه حتى مع التجاوز عن حريم الحقيقة فهو سلب لحقوق الطرف المعتدى عليه وهضم لواجباته وموجب لأغراء المعتدى بجهله وتكثير الجهلة فى المجتمع حتى يستحيل الاجتماع الى مجموعة أشرار وهذه المطالب ليست بفرضية صرفة فقد حقّقها الخارج بجميع شقوقها حسب الوان الحكم التى اصطبغ بها المجتمع سابقا ولاحقا فهذه المادة غلط الاّ فى فرض انزال العذاب بالأبرياء او فى التجاوز عن حدود الجريمة .

وقد يما اعترض الكثيرون على الدين الأسلامى بتحريضه على الجهاد وتجويزه لقصاص النفس والجوارح وايقاعه الحدود الثقيلة على المجرمين ولكنهم غالطون اشدّ الغلط فان اراقة دم المفسد لقطع فساده وقطع اليد الخائنة ابقاء على الأمان وضرب ظهر المتجرم لتركيز الأيمان من اعظم الخدمات الانسانية واحياء التراث الانسانى فكل العقوبات مع مراعاة تطبيقها على موارد الجرائم عبادة مقرونة بالثواب الأخروى والصلاح الدنيوى نعم يشترط فى كل هذا قيمومة من له القيمومة على الحكم من انسان عالم عامل موزون ومثل هذا يقلّ وجوده فى البشرية وهذا الملاك الذى ذكرناه مذكور فى الفقه الاسلامى نعم نحن لا ننكر انه تصدى للحكومة الاسلامية من لا يزن جناح بعوضة فى دينه وتقواه بل فى علمه وفتواه .

قال :المادة السادسة :لكل انسان الحقّ فى ان يعترف له فى كل مكان بشخصيته القانونية .

اقول البشر بالنظرة العامة الحيوية تتكافؤ افراده فى الحقوق العامة فكل احد مع صرف النظر عن الطوارئ والاحتفافات التى تقترن بحياته فترفعه تارة او تخفضه تارة له حقوق عامة يشترك فيها مع اخيه فى النوع

فله حقّ المأكل والمشرب والمأوى وتحصين الشهوة والأستقلال فى الشؤن الخاصة وهذا هو الذى دعا هيأة مجامع العقلاء ان تدوّن قانونا تنظّم فيه ما يحتاجه الفرد فى حياته لأجل ادامة الحياة وان تشكل له وزارات تتوزع بينها مواد هذا القانون فى تطبيقها واجرائها فوزارة الاقتصاد لما يؤمّن قوته ووزارة الفلاحة لتعديل جنباتها القائمة بالانتاج الذى يسدّ حاجة الأفراد من الطعام والفاكهة ووزارة البلديات لتعديل نظام بلده الذى يعيش فيه من حيث النظافة والراحة ووزارة العدل للأشراف على قضاياه الصادرة منه او عليه ووزارة الدفاع لتحصين وجوده ووظنه من مزاحمة الأغيار لهما وقس على ذلك بقية التشكيلات القائم كل منها بزاوية من زوايا القانون .

اذن فكلّ فرد ومهما تنزّل فى مقامه الأعتبارى له سهمه من القانون العام وكما يجب على مدوّن القانون ومجريه ان لا ينساه يجب على الفرد نفسه ان يحترم القانون لابتناء شخصيته على قيام هذا القانون ولكن مع الأسف انّنا فى مرحلة التطبيق لانجد من ذلك عينا ولا اثرا فقد حال بين القانون وبين تطبيقه على الضعيف ومن لا شخصية له نفوذ النافذين من اهل المقامات والثروات بتنوع اقسامهما فقد حازوا القانون واجرائه وتطبيقه الى مصالحهم ومتى كان القانون فى خدمة هؤلاء فقط كان من لازمه محرومية الضعيف منه ونتيجة ذلك ان العدوان الذى يكون عليه لا يتدارك وان الذنب اليسير الذى يصدر منه يحسب عليه كبيرا وان حقه من الحياة ينضاف الى حقوق القوى فيكون آلة مسخرة له ومعيشته تكون من طراز نازل مقرون بالذل والمسكنة والسرّ فى ذلك كله ان الارواح المقننة والمجربة ارواح مادية لا تؤمن بمبدأ مثالى ولا تركن الى وثيقة عقائدية تستمدّ قوتها ممّا وراء الطبيعة امّا القوانين السماوية ومجروها المثاليون فهى فى أمن

من هذه الغوائل ولقد برهنت حكومة المثاليين فى شتات ادوار التاريخ على تحقيق هذه البادرة المقدسة فلم تكن عندهم للقوىّ قوّة الاّ بالحقّ ومن هنا طوردت هذه الحكومات على ممرّ الأيّام لأنها لاتروق فى أعين الطامعين الأعزّاء وقلّ اهلها كما اصبحت الشخصية القانونية سهما للأشراف الأعتباريين وامّا الضعفاء فكأنهم ليسوا من القانون فى قليل ولا كثير وهذا هو الذى كثّر الانتهازيّين المرموزين فى الحياة كماكثّر الضعفاء المساكين اذن فالأفراد ليسوا بواحد بين يدىالقانون كما انهم ليسوا بواحد امام ايّ احد يفرض الاّ من محصّه اللّه وهذا لاوجود له الاّ فى افراد قلائل لاتوجد اليوم وان وجدت امس فلم تتجاوز الانبياء والأوصياء .

قال المادة الثامنة :لكل انسان الحقّ فى ان يلقى لدى المحاكم الوطنية المختصة انصافا عند ايّ فعل ينقض عليه الحقوق الأساسية التى يقرّ بها له الدستور او القانون .

اقول نعم من الحق ان يلقى كل انسان حقّه من الانصاف القضائى عليه ام له لكن اين ذلك فلا يعلم الاّ اللّه كم تحت قبة السماء حتى فى القرن العشرين من حق مضاع ومحق مطرود عن حقّه وظالم اخذ يزداد تهجمه على الأبرياء من طريق الأرخاء له فى جناياته وجرائمه فقد يخشى اللصوص عاقبة التلصص عند ارتكابهم له وقبل ورودهم فى محوطة العدليات لكنهم عندما يدخلون هذا الباب ويجدون فيه الرفاهية امّا من طريق الرشوة او الشفاعة او ايّة وسيلة اخرى يتذرعون بها تراهم بعد ذلك يهزؤن بمن يهددهم بالقانون والقضاء والقضاة :نعم لقد اشترطت الشرائع المقدسة كافة الشروط اللازمة فى القاضى من كونه عالما مجتهدا ورعا محتاطا قدّيسا ونرى اليوم ان تحصيل شهادة الليسانس لأىّ كائن كان كافيا فى تسنّم صاحبها عرش القضاء ودست الحاكمية الشرعية وكم فى

هؤلاء من نازلى الكفة ساقطى الحيثية معرقين فى التسفل مغرقين فى الرذالة ومثل هذا الانسان لا يليق به ان يكون بلد يا لاقاضيا شرعيا ونظير هذا ايضا تجده فى القضاة المنتسبين للد ين لكن على غير أهليّة ولا ملاك .

قال المادة التاسعة :لاتوضع اليد على احد ولا يعتقل ولا ينفى تعسفا .

اقول ان كان المنظور بالأخذ تعسفا هو انه لا يجوز اقلاق المنجحر فى بيته الذى لا يحرّك ساكنا ولا ينتقد احدا قد رضى من د نياه بالخمول فمثل هذا حتى المجانين من الحاكمين لا شغل لهم فيه معمولا وان كان المراد بالتعسف هو الأعنات بالطرف على غير حق مشروع فكم اعنت بمسرّب مثالىّ وازعج عالم روحانى واقلق بحكيم ناضج واوقع بناطق مهذّب وشرّد بكاتب مدّرب مؤدب وبُعّد منتقد بحق وقائل بصد ق كل ذلك لانه خلاف رغبة المتحكم وحصل كل ذلك ايضا فى القرن العشرين قرن الذرة والتمدن والثقافة من كل متحكم مسلما كان ام غير مسلم .

قال :المادة العاشرة :لكل انسان الحقّ على قدم المساواة التامّة فى ان تنظر فى قضيته بانصاف وبعلانية محكمة طليقة الرأى نزيهة عن الغرض فتقطع فى الحقوق التى له والموجبات التى عليه وفى صحة تهمة جنائية يرمى بها ــ المادة الحادية عشرة ــ لكل متّهم بجرم الحقّ فى ان تفرض برائته حتى يثبت جرمه قانونا فى محاكمة علنية تؤمّن له فيها جميع الضمانات الضرورية للمدافعة عن نفسه .

اقول اسلفنا فى المادة الثامنة نبذة عن القضاء والمحاكم القضائية وهاتان المادتان من هذه المقولة ونقول الآن لا توجد اىّة محكمة طليقة الرأى نزيهة عن الغرض بحيث تحكم لذات الحق ولا تراعى جوانب المتخاصمين او لا تقع تحت تأثير نفوذ النافذين من حكّام اداريّين او افراد شعبيين مقتدرين وان يحصل حكم فى قضية يملك النزاهة التامّة فهو من

الندرة بمكان ولذلك ينظر الناس الى دور العدل نظر اشمئزاز واستنكار ولكن ليس بأيديهم شيء يحقّقون به استنكارهم لغلبة نفوذ الحاكمين عليهم وعلى هذا يعيش الناس عيشة مهملة ان ساعدتها الصدف المؤاتية كانت مرضية لأهلها والاّ عاشوا زمانهم بين الحسرات والزفرات .

وامّا المتهم بجرم لم يثبت عليه بل هو طرف احتمال للجريمة لا اكثر فمن الحق ان تفرض برائته تحت كفالة محترمة حتى يثبت جرمه قانونا مع الأعلان فى محاكمته وفسح المجال له فى الدفاع عن نفسه وهذا المعنى ايضا لاوجود له بنحو قضية عامّة فى المحاكم القضائية بل هو تابع لضعف المتهم وقوته فى المجال الذى يعيش فيه فكم من ضعيف الشخصية زجّ فى السجون وطال توقيفه فيها ولم يعتدّ بحلّ قضيته سنين عديدة وكم من قوىّ الجانب ارخى له مع شدّة اتهامه وطال به الأرخاء حتى شمل قضيته الأهمال والنسيان ويئس خصمه من خصومته وما ذكرناه من الامثلة كثير الوقوع وفير المصاديق ظاهر لكل احد ولكن لا سامع ولا مانع ولا دافع .

قال المادة الثانية عشرة :لاتجوز المداخلة تعسفا فى حياة احد الخاصّة ولا فى امر عائلته او بيته او مراسلاته ولا يجوز التهجم على شرفه وسمعته ولكل انسان الحقّ فى ان يحميه القانون من مثل تلك المداخلة او هذا التهجم .

اقول طبعا الشؤن الخاصة بالانسان خارجة عن مدار القانون فأن القوانين انّما تسنّ لنظام المجتمع والحياة الداخلية للفرد فى معزل عن الأجتماع فللأنسان ان يتخذ لنفسه فى داخله ايّ شيء اراد وان يعيش فى منزله كيفما احبّ والعائلة مادامت ملتئمة الاخلاق فيما بينها ليس لأحد ان يحكم عليها بنفى او اثبات وهكذا مراسلاته الدائرة بينه وبين معاريفه واخدانه من حقوقه الشخصية التى لا يجوز ان يزاحم عليها كما

لا يجوز التهجم على سمعته وشرفه ومن وظيفة القانون ان يحمى حقوقه هذه وقد اخطأت السياسات التى تدخّلت فى شؤن الناس فأجبرتهم على ازياء خاصّة او وضع خاص وحركت عوائلهم عليهم بتحريكات اوجبت ارتباك الحياة العائلية فيما بينهم وجعلت رصيدا حتى على المراسلات الدائرة بين الناس بعضهم مع بعض وللیوم یوجد من هذا الخطأ شیء وفیر وهو دليل تطّرف الساسة وانحراف سياستهم وانهم لا يعرفون من الحاكمية الاّ التهجم واظهار التعنّت على الناس بشتّى ازيائهم وادعاآتهم للّه انتسبوا ام للشيطان ٠

قال المادّة الثالثة عشرة :لكل انسان الحق فى ان ينتقل من مكان الى آخر بحرية داخل حدود ايّة دولة وان يختار فيها محلاّ لأقامته ولكل انسان الحق فى ان يغادر بلده واىّ بلد آخر وفى أن يعود الى بلده ٠

اقول لا شك ان احتكار المكان على الأنسان من اعظم الأغلاط كما ان تحديد خطاه فى رواحه وايابه فى ارض اللّه تحكّم غير مشروع وهذان الغلطان ساريان فى كل بلد من بلاد دنيا اليوم فالتنقل فى العصور الحاضرة خارج اطار المملكة على فرض تجويزه لا يتيسر الاّ بمشاق ومخارج مهمّة فى نطاقها كما انه لا يستطيع ان يغادر الانسان الارض التى كان فيها من جملة المواطنين الى ارض اخرى الاّ بمجوّز من حكومات المكانين المنتقل منه واليه والحال ان هذين الخطأين لم يكن منهما عين ولا أثر فى الحكومات البائدة المحكومة بالتوحش فيما تنبز به ٠

قال المادة الرابعة عشرة لكل انسان الحق عند الاضطهاد فى ان يطلب ملجأ وفى ان يستفيد من الملجأ فى بلاد اخرى على انهذا الحق لا يصحّ التذرع به فى الملاحقات القضائية التى ترد بالحقيقة الى جريمة عادية او الى ما يعاكس اغراض الأمم المتحدة ومبادئها ٠

اقول هذا الحق الذى ذكرته هذه المادة حق طبيعى ضرورى للأنسان الذى تلاحقه القوى الاضطهادية لأجل التغلّب عليه والتحكم فيه الاّ ان الاجتماع لم ير لهذا الحق محقّقا بالمرّة نعم لا يجوز التذرع بالفرار الى سحق الحقوق المتعلقة به الواجبة الاداء عليه فان امثال هذه التذرعات جرائم .

قال المادة الخامسة عشرة لكل انسان الحقّ فى ان تكون له جنسية وان لا يحرم احد من جنسيته تعسفا ولا من حقّه فى تغييرها .

اقول المراد بالجنسية هو انتماؤه الى مملكة خاصة ليكون احد افراد شعبها ويكون له من الحق ماللشعب من حق على حكومته وحتما لا يجوز ان يكون محروما من ايّة جنسية تفرض وباعتبار حريته الذاتية يجوز له الأنسلاخ من جنسية مملكة الى جنسية مملكة اخرى .

قال المادة السادسة عشرة : للرجل والمرءة وقد اوفيا على البلوغ الحق فى ان يقترنا فى الزواج وان ينشئا لهما عيلة دون ان يقيّد من هذا الحق ايّ قيد يمت الى العرق او الجنسية او الدين ولهما فى اقامة الزواج وفى مدة قيامه وعند انقطاعه حقوق هما بها على حدّ سواء .

اقول الزواج فى البشر وهو اقتران ذكره بأنثاه عند استكمال رشد هما الطبيعى من الحقوق الطبيعية الضرورية للأنسان فى الأعم الاغلب ولا يشذّ عن ذلك الاّ ناقص فى الخلقة او مميت لشهوته الماديّة بالمرّة فمتى استكمل كل من الذكر والأنثى رشده الطبيعى جاز لكل منهما ان يختار لنفسه ما يقرّ لعينه وللشرع المقدس الأسلامى فى ذلك احكام نذكرها مبرهنة اولا ثم نعطف على ماذكرته هذه المادة فى حق الازدواجات البشرية .

فنقول يجيز الشرع لولىّ الذكر والأنثى وهو ابوهما او جدهما لأبيهما ان يوقع علقة الزواج للمولّى عليه اذا كانت هناك مصلحة ملجئة او مجيزة

بالنسبة الى هذا المولّى عليه والمصالح فى ذلك لاتحدّ بحدّ لأنّ الملابسات التى تقترن بحياة الأشخاص ليست على لون واحد حتّى تذكر تلك الألوان لكن نذكر منها على سبيل المثال نكات (١) ان يحصل لطرف الاقتران بالصغير كبير موافق من جميع جهاته بحيث لو اغفلت هذه المناسبة فى وقتها لم تتسن فيما بعد فيبرم الولىّ عقدة النكاح بالولاية عن صغيره وذاك الكبير بالأصالة عن نفسه (٢) نظير المورد و الطرفان كلاهما صغيران (٣) ان يخاف على طفلته او طفله بعد موته الضياع فيختار لصغيره ما يؤمّن حاجته عند بلوغه (٤) ان يخاف حدوث فتنة فى تأخير العقد فيقلع جذورها من ساعته تأمينا لشخصية المولّى عليه (٥) ان يحصّن ناموس الصغير بتهيأة طرف شهوة له فى حدود مقتضيات طبيعته فيعقد بينهما وينال كل من صاحبه ماتفهمه رغبته حينذاك الى مابعد حتى تصل نوبة اللقاح الطبيعىّ باستكمال العدة الطبيعية لتمام المباشرات الجنسيّة الى غير ذلك ممّا لاحصر له كما اشعرنا به آنفا :نعم يحرّم الشرع اختلاط الذكر البالغ بمعقودته البالغة اذا كانت تتضرر باختلاطه معها لصغر حجمها الجنسى عن حجمه .

وقد جعل الشرع المقدس الاسلامى تمام الاختيار للذكور والأناث البواكر اذا كانوا بالغين رشيدين والمنظور بالرشد هو النضج العقلى الذى يستطيع صاحبه ان يحفظ نفسه من العبث به بالحيلة والمكر والخديعة فاذا تميّز الحياة ومسير اهلها فيها واتخذ من عقله مرشدا هاديا له من الضلال عدّ هذا الانسان رشيدا يجوز له ان يتصرف بنفسه وبماله من دون حاجة الى قيّم يشرف على افعاله وان لم يكن كذلك كان فى حاجة الى قيّم ينظر فى افعاله وتروكه فما اجازه منها مضى وما لم يجزه بطل وقد جعل الشارع القيمومة لأحرّ الناس قلبا على الانسان وارعاهم

لمصلحته بحنكة وعقل وهو الأب والجد للأب ومن يختارانه قيّما على الصغار او السفهاء من اولادهم .

نعم حذف الشارع المقدس الاسلامى مميّزات العرق والجنسية بين المؤمنين فلم يعتبر للّون ولا للأصل ولا للّغة ولا للمحيط ولا للثروة ايّة ميزة نعم اعتبر فى طرف الاقتران ان لا يكون فاسد العقيدة من اىّ طراز كان انحرافه .

واننا قد اسلفنا مكررا ان لاحرية لكل دين ولا لكل رأى ولا لكل قلم او لسان فان العقائد والآراء غير المركزة على المنطق المبعوثة عن جهل او تجهيل تجب مبارزتها بالمنطق حتى يردّ الجاهل الى حوزة الفضل والضالّ الى شارع الهداية .

نعم جعل للبالغين الرشيدين من الذكور والأناث الحق بعد تحقق بلوغهما ورشدهما ان يقيما الزواج لأنفسهما متى شاءا دائما ومنقطعا سواء قرناه بشرط صحيح او اغفلاه من كافة الشروط وان يفترقا اذا اختارا الأفتراق وقد اوصى كلاّ بصاحبه وعيّن له وعليه واجبات هى اقصى ما يمكن فى حفظ الحق وتأمين الحقيقة وبعد أن احطت بما ذكرناه تعرف ان ما اجملته هذه المادة من الأعلان العالمى لحقوق الانسان او ماانحرفت فيه عن الموازين التى ذكرناها عن الشريعة الاسلامية كان عن قصور فى تدبر اللازم من الاحكام فى هذا الباب :ونحن لم نخص الذكر بالشريعة الاسلامية الاّ لان مقرراتها على الأخص فى ابواب المعاملات بشريعة محضة .

قال :المادة السابعة عشرة :لكل انسان وحده او معغيره حق التملك ولا يحرم احد من ملكه تعسفا .

الملكية قسمان فرّدية واجتماعية امّا الملكية الأجتماعية فهى المباحات

العامّة كمياه الشطوط والبحور والآجام والأراضى الموات وغيرها من المنافع العامّة واطلاق الملكية عليها فيه تسامح وامّا الملكية الفردية فهى ماكانت نتيجة اتعاب فكر الفرد وجسمه فكلّما يستحصله الانسان بمواهبه الفكرية فهو ملك له لا يجوز اجباره على بذله مجانا لغيره وكذلك ما يتتجه من طريق اتعابه الجسمية فهو ملك خاص به كالأول فلا يجوز غصبه منه لمنفعة فرد آخر او لمنفعة الاجتماع كلّه نعم للقوى المسيطرة العادلة تحديد الفرد حسبما تراه من مصلحة الأجتماع حتى لا يشتطّ الفرد من طريق شرهه بغيره فيحتكر مواهبه التى هى مورد حاجة الباقين او يسومها بسعر غال وهذا ايضا تحت شرائط خاصة ٠

والمالك تارة يكون واحدا كمن ينفرد بأبراز مواهبه او اتعاب جسمه لاستحصال نتيجة ذلك لنفسه مجردا وتارة يكون اثنين فصاعدا يشتركان فى اعمال مواهبهما او اتعابهما فى استحصال نتيجة موحدة اوفى تلقّيهما الملك من مورّثهما فيشتركان فيه على الأشاعة حتى يحصل الأفراز او فى مزجهما اموالهما القابلة للامتزاج حيث لا يتميزان بعده كخلط المائعات بعضا ببعض او الأجناس المتشابهة من جميع الوجوه فان ذلك يوجب الشركة فى الملك بعد أن لم تكن ٠

وامّا ايجاد الأشتراك بالتواطؤ القولّى فقط بأن يقول انسان لآخر انا اسعى يومى كلّه وانت تسعى يومك كلّه ثم نجتمع فى انصرام النهار فنقتسم جميع ما استحصلناه بالسوية فهو غير صحيح لان كسب كل انسان لمّا كان منحازا يكون مختصا به وليس هو من مقولة الشركة نعم يجوز لأحد هذين المتواطئين ان يهب من نفسه لصاحبه ما يشاء من قليل وكثير ٠

واذا تمّت الملكية الفردية حرم اخذ المال من مالكه تعسفا الآ فى صور (١) المال الذى تأخذه الدولة الشرعية من الافراد والشركات لأجل

اقامة النظام الجماعى الذى تستحيل بدونه حياة الفرد والمجتمع او انّها لا تسلم من الارتباكات المزعجة وذلك تحت شرائط خاصة (٢) ومنها الحق الذى يترتب على مالك المال لتخلفه عن الانفاق على زوجته او واجبى النفقة عليه من حيوان وانسان فأنه يؤخذ منه قسرا (٣) ومنها الجرائم التى يعيّنها القانون الشرعى على انواع الجنايات والأنحرافات بالنسبة الى مرتكبيها كالكفارات (٤) ومنها القضاء بتجريد بعض المجرمين من جميع او بعض صلاحياتهم وذلك تحت شرائط خاصة ايضا .

فهذه الموارد وامثالها ممّا توجب محرومية المالك من ملكه كلاّ او بعضا ولا يعدّ ذلك تعدّيا ولا تعسفا .

قال المادة الثامنة عشرة : لكل انسان الحق فى حريّة الفكر والضمير والدين وهذا الحقّ يوليه الحريّة فى تغيير دينه او معتقده ويوليه كذلك الحريّة فى الأعراب عنهما بالتعليم والممارسة والعبادة واقامة الشعائر الدينية سواء اجرى ذلك على انفراد ام اجراه وجماعة وسواء افعله على رؤوس الأشهاد ام فعله فى غير علانية .

اقول اسلفنا مرارا انه لاحرية لكل فكر ولا فسحة لكل عقيدة ولا لكلّ رأى او قلم او لسان بل حرمة كل ذلك منوطة بالمنطق والميزان العلمى الناضج وامّاالأرخاء لكل رأى حتى لو اوجب تخريبا فى المجتمع ولكل عقيدة حتى لو افسدت الناس ولكل فكر حتى لو كان مسموما ولكل قلم حتى لو كان مطيحا بكرامة الحق والحقيقة ولكل لسان حتى لو كان مضلاّ مغويا هاتكا للفرد او المجتمع فحرام لا ريب فيه بل تجب مبارزة امثال هذه الأدوات اذا كانت على ملاك ما اشرنا اليه واعطاء مثل هذه الحريّات فى الواقع يكون سلبا للحرية وهتكا لشرف الانسانيّة وهدما للعلم وتحطيما للعالم وسحقا لمقدسات الواقع فأرسال امثال هاته الكلمات غلط مفتضح

وهو بالجهل الصق منه بالفضل والى تخريب الحياة اقرب منه الى تعميرها وترميمها وما اشعرنا به من اوضح الواضحات وعلى غرار هذه المادة المادة التاسعة عشرة الناطقة بان لكل انسان الحقّ فى حرية الرأى والتعبير وهذا الحق يولى الحرية فى الأخذ بالآراء دونما ازعاج من الغير ويولى الحرية فى طلب الانباء والأفكار وتلقيها واذاعتها وذلك بأية وسيلة كانت ودونما التفات الى حدود جغرافية :والمادة العشرون :الناطقة بأن لكل انسان الحق فى حرية الاجتماعات والجمعيات المسالمة وانه لا يرغم احد على الدخول فى جمعية ما :فان هذه الكلّيّة التى تنطق بها المادة :لكلّ انسان الحق فى كذا تشمل وراء المثقفين المهذبين المؤدبين ادبا راقيا الهمج الرعاع الذين لا يتميزون البسائط من الامور فضلا عن المغلقات والمطالب العميقة التى تحتاج الى حلّ وتدريس وبسط وتعليم من استاذ يعرف كيف يعلّم وكيف يجلب توجّه الطرف ويملأ ذهنه بالمعارف الصحيحة وهذا الرديف من الناس هو الرقم الواسع الذى يشغل الفراغ الأوسع من المجتمع البشرى فكيف يعطى لهؤلاء العوام حرية الفكر وحرية الرأى وحرية التعبير وحرية الأخذ بآراء من يريد ان يهيمن على افكارهم فيحرفهم لمقصده الذى يحاول تنجيزه وهو قد يكون من شياطين البشر ودجّاليهم الذين يستخدمون هؤلاء البسطاء فى تمشية مصالحهم المرموزة نعم امثال هؤلاء يجب ان يكونوا دائما تحت حماية المثاليين من الأفاضل حتى يؤمن عليهم من الضلال والانحراف وقصد السوء بهم نعم حرية الفكر لمن به ان يفكر وحريّة القلم لمن به ان يتنزه عن القذع والسبّ والاستنقاص وحريّة الرأى لمن يملك التجوّل برأيه وحرية البحث لأهل الفن والعلم وحريّة القول المعبّر عن فكر يريد تربية المجتمع واسناخ هذه الحريّات من الحقوق الضرورية للانسان الذى فيه ملاك ذلك لا لكل من يسمّى بشرا وانسانا وايّا

كان رأيه وقلمه وقوله واهدافه ودواعيه .

قال المادة الحادية والعشرون : لكل انسان الحقّ فى ان يشارك فى تدبير الشؤن العامة فى بلده سواء اكان ذلك على يده ام على ايدى ممثلين يختارون اختيارا حرّا : ولكل انسان الحقّ فى ان يتوصل على قدم المساواة الى المناصب العامّة فى بلده : قوام الحكم مشيئة الشعب ويجب لهذه المشيئة ان تتبين بانتخاب نزيه يأتى فى مواعيد دورية ويكون على الاقتراع العام السرّى المساوى فيه بين المقترعين او على اسلوب معادل له يكفل حريّة الاقتراع .

اقول هذه الكليّة كما اسلفنا باظلة الاّ ان يفرض افراد الأجتماع بالأسر اناسا كاملين مهذبين او فى هذا الأفق وهو من المستحيلات العاديّة مادام للبشر وجود على سطح الكرة ذلك لان المتخلين للتفهم والتفهيم والتعلم والتعليم فيهم من القصور مالا يحاط به فكيف والاكثرية الساحقة من الناس اهل مهن واعمال وصاحب المهنة والعمل مشغول عن تثقيف نفسه بالثقافة الاخلاقية الصحيحة بما يعانيه من اعمال حتى لوكانت فنيّة فأنّ الفنّ الصناعى غير الفنّ الثقافى وبين الفنّين فواصل بعيدة جدّا فلا تستغرب اذا قلنا ربّما يكون المهندس فى الكهرباء مثلا نظيراً للبقّال فى قصور مستواه عن الأخلاق الثقافية الحيوية الأدبية النفسية الصحيحة ولا استنكار فى ذلك فان المهارة الكهربائية غير التدريب على المثاليات الصحيحة التى بها قوام المجتمع من حيث سيره الأجتماعى المقرون بالأيمان والأمان والصدق والرفق والأحسان والمواساة والوفاء والحياء والوقار والأتّزان وحبّ النوع الى ماهو من هذا الرديف من الأخلاق الفاضلة القائمة على تفهّم مغازيها قبل التحلى بها او معه .

كيف وهانحن نرى فى عصر التمدّن الزخّار بالصناعة والشكليات مجموعات

مهمّة فى نفاسة ظواهرها من ابنية جبارة وكماليات قهّارة اخاذة للبصر ومع ذلك نرى اخلاق اهلها فيها من الجفاء والجفاف ما تشمئزّ له روح المهذّب فلا الطبيب بلّين العريكة مرن النفس سخى الطبع محسن للمعوزين مواس للضعفاء والمساكين ولا مديروا المستشفيات بأصحاب حنان وعاطفة وتسهيل وارخاء ولا الموظف الأدارى بنزيه وهلّم دواليك فى كافة الأصناف فلا ترى انسانا من هؤلاء يسلّم على انسان مثله اويحيّيه اذا لاقاه اوجلس معه ولا تلمس الآ تزمّتا قابضا وعبوسا سالبا للراحة وتوحشا مورثا للوحشة ومادية ساقطة لأبعد حدود ما يتصور ولا شكّ ان هذه الأخلاق الجافّة فى هؤلاء مبعوثة عن ارواح قذرة وآراء غير ناضجة وافكار مريضة فكيف يجوز لنا ان نحرّر امثال هذه الروحيات بمعنى انّنا نحترم آرائها وافكارها ومسيرها فى الحياة وهل مع هؤلاء الأموات فى ارواحهم مجال للحياة ·

نعم لعمر اللّه ان الاجتماع البشرى فى سابقه ولاحقه يتلاعب به نقيضان من الروحيات ولاحياة سالمة مع كلّ من هذين النقيضين ــ احدهما ــ جهلة المتدينين الذين من طويل ما املى عليهم القشريون من خرافات واوهام وتعاليم مريضة ساقطة مبتورة بعيدة عن الدين القويم جاؤا من الانقباض والتوحش بصورة لا يطاق القرار معها ·

وثانيهما ــ وحوش المتمدنين الذين مهما اصاخ الأنسان لآلام الحياة واوجاعها لا يعود يستطيع ان يستمرّ بسيره معهم لما ديّتهم السوداء وروحياتهم المتحجرة وضمائرهم القذرة وارواحهم المدنسة ولا ابالّيتهم غير المحدودة بحد ولا يعلم الآ اللّه كم يعانى المتديّن الصحيح فى دينه الحرّ فى ضميره المثالى فى خلقه المرن فى عاطفته الانسان فى كماله الروحى من هذين الفريقين من الم وملل وسأم ومرارة عيش فألى اللّه

وحده المشتكى من اعباء هذه الحياة واثقالها .

ونتيجة لما سلف فالذى له الحقّ فى ان يشارك فى تدبير الشؤن العامة فى بلده الذى يعيش فيه من يملك اهلية هذه المشاركة حتى يستطيع ان يرفع مستوى محيطه وينعش نفسه ومواطنيه جميعا وكذلك قوام الحكم مشيئة المثقفين من الشعب الذين يدركون اسباب انهياره وتعاليه ويميّزون موجبات السعادة وهو ادم الحياة فيه والمثقف المواطن اذا كان حرّا اغنى رأيه عن رأى العوام فى رفع مستوى الحاكميات الصحيحة بل لامجال للعوام فى هذه المجالات لاننا بالعيان رأينا كيف يستحوذ الشياطين على هؤلاء المساكين فيأخذون منهم آرائهم بالوعود المعسولة الكاذبة او بشرائها منهم بثمن بخس ومن طريقها يفوزون بالأقتراع ويفسدون ما يشاؤن وكافة الانتخابات التى شاهدناها حتى التى تملك طرفا من الحرية كانت بالشكل الذى اومأنا اليه ولا شك ان امثال هذه الانتخابات فيها من المضارّ مالا يعدّ ولا يحدّ ومافسدت الحكومات ولاقنّنت القوانين الجائرة ولا نفّذت الميول الشخصية الاّ من هذا الطريق المظلم القذر غير الموصل الى ادنى طرف من السعادة .

قال :لكل انسان من كونه عضوا فى الهيأة الأجتماعية الحق فى الأمنة الاجتماعية وله الحق فى ان ينال بفضل المجهود القومى والتعاون الدولى ووفقا لحال الدولة بنظمها ومرافقها الحقوق الأقتصادية والأجتماعية والثقافية التى لاتستغنى عنها كرامته ولا شخصيته فى نموّها المطلق .

اقول لا شكّ ان كل انسان عضو فى الهيئة الاجتماعية فيجب ان ينال تمام حقّه من هذه العضوية ولكن مع الأسف كلّه ان التبعيضات فى الهيئة الأجتماعية البشرية بلغت حدّا غير قابل للتصور ويكفينا ان نضرب مثالا

واحدا لذلك تستبين منه امثلة لا تعد ولا تحصى فهذا الطبيب نراه فى جسّ نبض المريض ومعاينته بما لا يستغرق عشر دقائق يتناول عشرة اضعاف ما يكدّه الحمّال فى طول يومه فهل لهذه الفاصلة من حدود تتصور وان كانت شخصية الطبيب واقعا غير شخصية الحمّال ٠

قال المادّة الثالثة والعشرون :لكل انسان الحق فى العمل وفى الحرية على اختيار نوع العمل وفى ان تكون شروط العمل عادلة مؤاتية وفى الحماية من البطالة :لكل الناس دونما تمييز بينهم الحق فى اجور متساوية على اعمال متساوية :لكل من يعمل الحق فى اجر عادل مُرضٍ يكفل له ولعيلته عيشة تليق بالكرامة الأنسانية على ان يكمل هذا الأجر اذا اقتضى الأمر بمختلف وسائل الحماية الأجتماعية :لكل انسان الحق فى ان ينشأ والآخرين نقابات وان ينضمّ الى نقابات حماية لمصالحه ٠

اقول نعم لكل انسان حق تام فى ان يعمل ليؤمن حياته من طريق عمله وليعين على بقاء الهيئة الاجتماعية وتعاليها نعم هو ليس حرّا فى اختيار نوع العمل فان جملة من الأعمال هادمة لشرف الأنسان موجبة للفساد داعية الى التهتك والأستهتار فالعمل فى المسكرات حرام وفى الملاهى حرام وفى بيع النواميس حرام وفى ان يكون دلآل مظلمة حرام وما الى ذلك فكل عيش يتأمن من طريق العمل فى المسكرات والأمور الجنسية غير المشروعة وفى اللواط والقمار والرقص وجميع انواع المغريات من الملاهى فهو عيش فاسد موبوء ويجب على الحكومات ان تقف امام كل ذلك حفظا لمجتمعاتها من الأنهيار والفساد والأنحلال والأرتباك ولكننا نجد خلاف كل ذلك فنجد الحكومات تجدّ الجدّ كله فى تركيز هذه المفاسد وتصرف عليها من خزانة اموال الناس المال الطائل وتنشأ لها مؤسسات ودوائر حكومية تشرف على تمشيتها فى المجتمع وهذه السخيمة

من ارذل سقطات الدول وابعدها عن الشرف واقربها الى السخف وقود الاجتماع وسوقه الى التلف فى الحقيقة فان الاجتماع الذى يقوم على تيك المفاسد اجتماع مفلس من الخيرات قريب من الشرور فاقد للشرف رذل فى شخصيته منهار فى حيثيته .

فالعمل الذى يجوز ان يختاره الأنسان يجب ان يكون عملا بعيدا عن الفساد قريبا من المصالح المشروعة نعم يجب ان تكون الشروط التى تؤخذ على العامل شروطا عادلة مؤاتية متيسرة ويجب على الحكومات ان تحمى افرادها من البطالة فان البطالة رأس كل ضلالة فضلا عن انّها توجب تسيّيب الافراد والعوائل وكذلك يجب فرض الاجور العادلة التى يستطيع العامل ان يؤمن نفسه من طريقها وكذلك لكل انسان حق الانضمام الى نقابة تحميه وتتصدى للدفاع عن حقوقه وتأمين واجباته .

قال المادة الرابعة والعشرون :لكل انسان الحق فى الراحة والتفرغ وهذا الحق ينطوى على تحديد معقول لساعات العمل وعلى عطل دورية بأجر .

اقول لاشكّ ان العمل يحتاج الى تعقب استراحة حفظا على البنية من التلاشى وعلى المزاج من الأنهيار وهذا معناه ان العامل لا يجوز استعماله بما يشقّ عليه من العمل المجهد اولا وطول الزمان ثانيا ويلزم ذلك انه اذا كان يعمل لأنسان او لشركة باستمرار ان يلتزم هذا الأنسان اوالشركة بأعطائها المقرّر على رأس كل موعد بدون ان تكسر من حقوقه ازمان عطله المقررة .

قال المادّة الخامسة والعشرون :لكل انسان الحقّ فى مستوى من العيش كاف لضمان الصحة والهناء له ولعيلته بما فى ذلك من الغذاء والكسوة والسكن والعناية الطبيّة والخدمات الأجتماعية اللازمة وله الحق

فى ان يؤمّن امره عند البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وفى كل حالة اخرى يفقد معها اسباب معاشه بعلّة لا يَدَ له فيها :للأمومة والطفولة الحق فى عناية ومساعدة خصوصيتين ولكل الاطفال ان يتمتّعوا بحماية اجتماعية واحدة سواء اكانوا شرعيين ام غير شرعيين ٠

اقول من وظيفة الحكومات الشرعية ــ وانّما ذكرنا الشرعيين من الحكّام لان المتغلبين من الحكّام لا يهمهم من امر الناس قدر انملة واحدة ــ ان تجهز نفسها لضمان شعوبها على الاخص الضعيف منها فتهيأ له المستشفيات المجهزة وتستخدم له الأطباء المفيدين وتستحضر له الدواء الناجع وتحدّد له قيم الاجناس فان الانتهازيين من الناس لصوص لا يهمّهم امر المعوز ولا تلين عواطفهم للضعفاء ولا يعيرون الفقراء اقلّ اهتمام وتسّهل عليه الطرق والوسائط الناقلة وما الى ذلك وتفرض فى اموالها لناقصى الخلقة والأرامل والأيتام والشيوخ والأطفال المسيّبين ما يردّ عنهم عادية الحاجات ويؤمّن لهم ضرورات الحياة وفى العصور الحاضرة شكليات من هذه المطالب لكنها فاقدة للجوهر والحياة صرفا فى عصرنا الحاضر للأقوياء الأثرياء والباقون من الناس يعيشون على الهامش من الحياة ليس لهم منها الاّ صبابة الأناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ٠

نعم لا يجوز التفاوت فى قانون العدل بين الاولاد الشرعيين وغير الشرعيين لان جناية الآباء والأمّهات لا يجوز تحميلها على من لا يد له فيها فان فجر رجل بامرئة عن اختيار منهما وتكوّن بينهما ولد كانت له تمام المصونية اذ لا شركة له فى هذه الجريمة ٠

قال المادّة السادسة والعشرون :لكل انسان الحق فى التربية وهذه يجب ان تكون مجانا فى المرحلتين الابتدائية والأساسية على الأقل والزامية فى المرحلة الابتدائية :امّا التعليم الفنّى والمهنى فيجب فيه

التعميم وامّا التعليم العالى فيجب ان يكون متاحا للكل بالتساوى التام على اساس الكفاءة : يجب فى التربية ان تعمل على نموّ الشخصية الأنسانية نموّا تاما وعلى تقوية الاحترام لحقوق الانسان والحريّات الأساسية وعلى تعزيز التفاهم والتسامح والصداقة فيما بين الأمم جمعاء وفيهما بين كل الجماعات العرقية او الدينية وعلى دعم مجهود الأمم المتحدة لتوطيد السلم :للوالدين حق الاولوية فى اختيار نوع التربية لأولادهم .

اقول لا شكّ ان التربية هى اساس الحياة الصادقة وقوام المعيشة الصحيحة لكن بشرط ان تكون قائمة على اسس الأدب الفاضل والخلق الراقى والمثاليات العالية التى تضمن للبشر تعديل الروحيات المعوّجة وتحذف منه قذر الحيوانية ووحشيتها ومثل هذا الشكل من التربية مفقود بالمرة فى معارف اليوم فلا تنتج مدارسها الآ الوقح الفاسد القذر الوحشى المنبوذ فى اخلاقه وروحياته وسرّ ذلك ان المفاهيم التى تدرس فيها كلّها تدور على غير محور الروح ففى غضون عشر اوعشرين مادة درسية لاترى مادة للاخلاق الفاضلة وكلّما تقرؤه فى برامجها هو الحساب والهندسة والأنشاء والأملاء واللسان الخارجى والنشيد والرياضة وما الى ذلك هذا فضلا عمّا فى اخلاق المعلّمين من ميوعة يستمدّ منها التلميذ فيأتى العاهر الفاجر وهو فى عالم طفولته او ارهاص بلوغه فالحق ان المعارف الدارجة اليوم من اقوى وسائل التجهيل والتضليل :نعم يجب ان تكون التربية بالمجان ليستفيد منها فاقد البضاعة وبالأجبار فى المراحل البدائية حتى لا يتلوّى الطفل على التربية اذا خوطب بالأختيار .

وكذلك يجب بسط منطقة التعليم حتى يستفيد منها كل احد :هذا وانّما يكون للوالدين حق الأولوية فى اختيار نوع التربية لأولادهم اذا كانوا من اهل الرشد والتمييز والآ فهما لا يملكان هذا الحق بالمرة وينتقل الحق

الى القوّام على الشعب الصحيحى المنويات فى حق افراد شعبهم :
ولا يخفى ان المادة السابعة والعشرين الناطقة بأنّ لكل انسان الحق فى ان يشترك بحرية فى حياة المجتمع الثقافية وان يتمتع بالفنون وان يكون له نصيب فى الرقى العلمىّ وفى الخيرات الناجمة عنه :لكل انسان الحق فى ان تحمى المصالح الأدبية والماديّة الناجمة عن كل نتاج له فى العلوم والآداب والفنون تابعة بالنتيجة للمادّة السادسة والعشرين التى اسلفنا الكلام عليها ٠

قال المادّة الثامنة والعشرون لكل انسان الحق فى ان يسود نظام اجتماعى دولى يتأتّى معه تحقيق تام للحقوق والحريّات المثبتة فى هذا الأعلان ٠

اقول لا شكّ انّ من واجب كل انسان ان يسعى لتركيز الحق حتى يتمتع هو واخوه فى النوع بمزاياه فليست الحياة العارية من الحقيقة بحياة لكن مع الأسف كله ان هذا الأنسان الذى يلتذ من مفهوم العدل والحق والحقيقة يأتى فى مراحل العمل اجفى المخلوقات لها ذلك لأنّه يقدّم جهله على فضله وجنون رغباته على عقله ولا ريب ان نتيجة تقديم الجهل هى الحرمان النهائى وامّا نيل الرغبات المستعجلة فهو ممّا لاقيمة له لانه لادوام له اذلادوام الاّ مع الحق وهذا الأستعجال فى نيل الرغبات هو الذى طوّح بالمجامع فحكّم اشرارها على اخيارها وسوّد جهّالها على اهل كمالها ولا شىء وراء سيادة الجاهل الشرور الاّ الدمار كما هو حاصل فعلا فى كافة أشياء الناس بصورة اخسّ واتعس فى المتظاهر بالدين منها٠

قال المادة التاسعة والعشرون :على الفرد واجبات نحو المجتمع الذى هو فيه فلا يخضع احد فى ممارسة حقوقه وحرّياته الاّ لما يفرضه القانون من قيود غرضها الأوحد انّما هو تأمين الاعتراف بحقوق الآخرين

وحرّياتهم واحترامها وتحقيق ماتقتضيه عدلا الاخلاق والنظام العام والخير العام فى هيئة اجتماعية د يمقراطية ولا يجوز فى حال من الأحوال ممارسة هذه الحقوق والحريات على ما ينافى اغراض الأمم المتحدة ومبادئها .

اقول نعم على الفرد واجبات مهمّة نحو المجتمع الذى هو بعض من ابعاضه منها ان لا يخضع فى ممارسة حقوقه وحرّياته الاّ لما يفرضه القانون الصحيح الذى دوّن لمصالح المجتمع من قيود تهدف الى تأمين الأعتراف بحقوق الآخرين وحرّياتهم لا ان تؤمّن حقا لشخص او لفريق خاص وتهدر فى سبيل ذلك حقوق الباقين فان جملة من قوانين د نيا اليوم تؤمّن حقا لغير مستحق وتشرّد بحقوق ملايين من الافراد واصولا لاتجوز الحرية الاّ اذا كانت متكافئة بين الافراد ينال كل منها سهمه كما تهدف الى تحقيق ماتقتضيه الاخلاق الصحيحة والنظام العادل العام والخير العام فى هيئة اجتماعية د يمقراطية .

وامّا قول انه لا يجوز فى حال من الاحوال ممارسة هذه الحقوق والحريّات على ما ينافى اغراض الأمم المتحدة ومبادئها فهو جزاف بل لابدّ من احالة ممارسة هذه الحقوق والحريّات الى المنطق الوزين وموازين العلم الصحيحة ولاقيمة للأمم المتحدة واغراضها ومبادئها فى قبال المنطق .

وليت شعرى ايّة نتيجة اثمرتها هيئة الأمم المتحدة لأممها فأين هى عن استعمارات الاقوياء للضعفاء واين هى عن تحكّم الأعزاء بالبؤساء واين هى عن اخماد نيران الفتن المشتعلة فى كل آن واين هى عن احقاق الحق عملا وابطال الباطل عيانا :وامّا هذه المفاهيم التى استعرضناها فى المواد الآنفة فهى على علاّتها العلمية فروض مجردة لاتماسّ لها بعرصة العيان الخارجى بالمرّة لاوجود لمحتوى الكتاب المجيد والسنة

المحمدية وداوين الفقه والاخلاق فى الخارج ايضا والأحالة على الملموسات من اقوى البراهين والحمد لله ربّ العالمين .

* (الفصل السابع نهج البلاغة والجهاد ومناجزة الأعداء لأحقاق الحق وابطال الباطل) *

الجهاد فى اللغة بذل الجهد وهو استفراغ المجاهد تمام قواه لأنجاز مقصوده المشروع وهو فى ركيزته الأولى على قسمين (جهاد النفس) و(جهاد الخصم) والمراد بالقسم الأول وقوف الأنسان امام عرامة نفسه وكبح جماحها الأندفاعى فى الماديّات تحصينا لها من السخف وابقاء عليها من التلف وتنزها بها عن الأنحشار مع الحيوانات المهملة وسقط المتاع من الناس ويراد بالقسم الثانى مواجهة الخصم بالقوى الحادّة تحديدا لنزواته ووقوفا امام تعدياته وجرّا له الى صوب السعادة انتصاراً لتحكيم الحق والنظام العامّين وكل من هاتين المرحلتين مهمّ فى نفسه وشاقّ على الأنسان ولذلك كثر قسم السفلة من الناس كما عاش الكثيرون اذلاء محتقرين يتخطفهم الاشرار من كل جانب ومكان .

امّا اهمية المرحلة الأولى وهى رياضة النفس فلأنها تخرج بهذا المخلوق الذى يقال له انسان من فصائل الحيوانات الخسيسة الى شرف الأنسانية الصحيحة ذلك لأن ارسال البشر على توّه ممّا يجئ به اضلّ وارذل حتى من وحوش الحيوانات ونظرة يستبطن بها العاقل هذا البشر المنتشر على محدّب الكرة الأرضية وما هو عليه من عادات سخيفة وضلالات ماحقة وجهل يثير الأمتعاض الزائد تكفى لصدق هذه الدعوى فما هذه التموجات العارمة فى اجيال البشرية على طولها مع الحياة وبكافة ماعليها

من صبغة الآ نتيجة اهمال النفس من الثقافات الروحيّة وامّا الثقافات الصناعية فلا اهميّة لها فى حياة المجتمع ومهما بلغ اوجها فى الارتقاء الصناعى فان الماديّات بما فيها لاتمت الى تعالى الأرواح الأنسانية بقليل ولا كثير ولا هى من مقوّمات السعادة البشرية على الاطلاق .

نعم هى انما تثمر الرونق الأخّاذ والطلاوة الجالبة ليس غير نظير ان يسرج الانسان فرسه الشموس بأحسن السروج ويزيّنه بأطرى انواع الزينة لكنّ ذلك كلّه لا يجديه فى راحته المطلوبة له من مركبه ولا شك ان الفرس المرتاض حتى مع عرائه خير لراكبه من الفرس الصعب المتوحش حتى لو جمعت عليه انواع الزينة وجلّل بالحلىّ والحلل .

ومن هنا لمّا فقدت دنيا الصنعة رياضة النفس القائمة بالأخلاق الصحيحة والآداب الثمينة من الحياء والوفاء والمواساة والأحسان وتفقّد الاقوياء للضعفاء والاثرياء للفقراء والايمان العلمى والعملى بالمبادء الشريفة والسهر على المصالح العامّة والتجنب عن الرذائل عادت الحياة فيها من اثقل الأحمال على عاتق الضعيف ولا تعود الكماليات الدارجة اليوم ومهما بلغت فى تنوعها وتيسّرها للناس تنجع مع الظلم والتعدّى والأحتقار والأزدراء والأستبداد والأرهاق فان صفة الحياة الكمالية مع هذا التنزّل فى القيمة كصفة الثراء الطائل عند المريض المحروم من لذائذ الدنيا ومتعها بحكم مرضه الذى لا يخوّله الآ الدواء المرّ الكريه الطعم الثقيل على الذائقة .

وقد واكبت العاهات الأخلاقية مجموعة البشر منذ ظهر للبشر وجود فى هذا الكون بلا ميز للمثقف ثقافة صناعيّة على العامّى من جميع جهاته ولذلك كلح وجه الحياة واعتبرها الحسّاسون وبالا على هذا الموجود لا تفضلا عليه ورحمة به بل زادت الجسارة ببعضهم فاعتبروا ان ترهل الحياة

من دعائم الحاد هم بالمبدأ وان علة ايجاد هذا الأنسان مرموزة الى ابد الآبدين اذ لم يفهموا لها معنى ترضاه عقولهم وكل ما يدخل الى ضمائرهم استقذار لهذه الخلقة واستيحاش من الحياة المقترنة بهـا ٠

فانهم منذ فتحوا اعينهم وحاسبوا نظراتهم بأنظارهم الدقيقة وجـدوا الأجرام من السياسيين والنافذين والأقوياء والاثريـاء والمتقشفيـن والمتحذلقين واهل الحرف والمهن والمقامات الصناعية والثقافات المادية من حاكم وزعيم وتاجر وصانع ماهر ومتحذلق مدلس ومتقشف اجوف تتـرى تباعا بلا انقطاع كل بسهمه من نفوذه وامتداد يده امّا بقوّة ساعد اوبهيمنة بيان اوتواضع سمة وخضوع ظاهرة ومصبّ كل هذه الأجرام هم ضعفة البشر الذين يضربون فى الاجتماع البشرى العام بمقياس واسع جدّا ٠

مسكين هذا الضعيف لكن ما اقوى تحمّله للضربات المنهكة التى تـرد على رأسه فمخالب الحاكم قد استولت عليه وانياب القوىّ لم تبق رمقا لديه واحتكار الثرىّ قد استوعبه من جميع جوانبه وهيمنة الصناعة المادية قـد تلاعبت به وتحذلق المدلسين انامه الى الأرض ٠

هكذا عاش الضعيف وهكذا يعيش ومنشأ هذه المعيشة الضنكـة فقدان الأخلاق الصحيحة فى جميع حلقات هؤلاء المتنفذين فى النـاس الذين اوعزنا الى سماتهم واشرنا الى صفاتهم :أما اذا كان الحاكم رائضا لنفسه بالتقوى وكان القوىّ على غراره والثرىّ على منواله والمثقف الصناعـى على وتيرته والمتقشف على روحيته جاء الجميع اعوانا لهذا الضعيف لاكـلاّ عليه فلم يشهر عليه الحاكم مخالبه ولم يكشّر له القوىّ عن انيابه ولم يشمّر له الثرىّ حتى يبتزّه درهمه ولا الصانع بضاعته وواساه المتقشف بفتات قوته مع اظهاره الرحمة به والعطف عليـه ٠

هذا هو نتيجة جهاد النفس لكن ليس منه شىء الاّ فـى افـراد

نسبتهم الى المجتمع نسبة الواحد البسيط للمليارد المستطيل فى اعداده ومن طريق هذا التلوّى فى الأخلاق والتوحش فى الضمائر والتدهور فى الروحيات اعتبر الحسّاسون الصريحون انّ كثيرا ممّا فى وجود الأنسان وجامعته وما يحتفّ به وما نسب اليه وماكتبه وقاله وانحاز اليه وحكم به كذب وتزوير لا يشفّان عن واقع اصلا ولا يحكيان عن عرصة العيان بتاتا فلا حاكم متشرع الا بندرة ولا قوىّ بحق الاّ بقلّة ولا ثرىّ عن صحة عمل الاّ بمحدودية ولا محدّث ولا حديث يوثق بهما الاّ والأغلبية فيما سواهما ولا متقشف له واقع الاّ بطرف منزور وان يكن فى البين شىء فهو ضائع فى غمار ذلك .

ومن المهازل انصافا ان الأنسان يستعرض بين يديه ملايين من الأفراد وملايين من الترجمات عن الأشخاص وملايين من الأقوال منسوبة لقائلين عديدين وملايين من المدعيات والنظريات وكل ذلك له رونق اخّاذ وقد صرف على تنسيقه زمان عريض وحول فوق حدود التصور ومال خارج عن الحساب فيحسب ان كل ذلك له واقع راهن ولكنّ الكثير منه فى الحقيقة من مقولة هيّان ابن بيّان لاضمان لصحته .

ولا أنسى اننى عاتبت بعض اهل الفضل فى انسياقه الى ترويج بعض الخرافات عملا فقال اننى اعترف بان مايفعله هذا السواد لاصحة له من الدين لكننى أساندهم حتى فى فعل الخرافات ترويجا للدين فى قبال المعطّلين .

كما اننى عاتبت بعض المتوسعين فى التراجم فقلت له ان فلانا الذى ذكرته فى كتابك ووصفته بأنّه عالم فاضل انا اعرفه بأنه راجل عاطل وحتما لو كنت رأيته او فحصت عنه لما ذكرته فى موسوعة يترجم فيها الشيخ الأنصارى وصاحب الجواهر ومن كان على غرارهما .

ولا شك ان هذا التموّج العظيم فى كل شأن من شؤن الاجتماع بما

ادّى بطعن بعض على بعض وعداء انسان لآخر وتفلّت فرد على فرد وخصومة هذا لذاك ومغالبة فريق لفريق بحجة ان المنطق معه وان قبيله محكوم له من نتائج ضمائر السوء التى يحملها الأفراد بين محانى اضلاعهم فمدعى الزعامة لنفسه على الناس وانه يجب ان يكون حاكما وكل من سواه محكوما له لا شك فى فساد باطنه كالذى يؤيد افعاله وتروكه ويظهر للناس انّها مبرّرة من الوجهة الشرعية وكالذى يروى فى حقه عشرات الاحاديث عن مصدر مقدّس لاصلة له ولا لزمانه بهذا الحاكم المتنزّى وكالشاعر الذى ينحت منه مجسمة فضائل والكاتب الذى يشيد بجميع ماكان عنه مباشرة وتسبيبا وليت ان هؤلاء قالوا وكتبوا وايّدوا انسانا معتدلا حتى تكون ظاهرته المعتدلة عذرا لهم عند الواقع والناس جميعا .

لكنّ الصدف التى ابرزت وجوده ابرزت منه وجودا متعفنا ولا ريب ان جهاد النفس الذى يقف امام ميولها ويكبح من جماحها ويحدّد من خطواتها لواخذ مكانه من ساحات البشرية فى القلوب كما اخذ الجهاد بالقوى الحادّة منها فى الأبدان لكان للحياة لون آخر يباين لونها الشاخص مباينة تامة :لكنّ ذلك لم يحصل الاّ فى افراد قلائل لا يعود مقياس ارقامها يفيد فى الاجتماع قليلا ولا كثيرا سوى التندر بذكرهم كما يتندر بأبطال الروايات .

ثم ان جهاد النفس هو القاعدة الثابتة لجهاد الخصم وعن هذه القاعدة ينبعث الجهاد الصحيح فان الأنسان اذا لم يثبت ايمانه بما يجاهد عنه لم تنشط عضلاته للحملات العضوية والمبارزات الجسمية الاّ بدواعى مرموزة كحب الغنيمة وتحصيل مقام وجاه اوتشفٍّ كانت بواعثه الحسد والحقد وسوء النيّة .

وامّا المرحلة الثانية وهى جهاد الخصم :فيقال فى الأفصاح عنها

مقدمة ان الشعور البشرى انما يتعقّل لزوم تحقق السلم والسلامة وطيب الأوقات والانشراح لحياة الانسان قائلا يكفى فى شقاء الانسان تكالب الحوادث الطبيعية عليه من برد قارص وحرّ مهلك وزلازل تتمخض وصواعق تتفجر وجدب يمحق وظلم من الحاكمين يرهق وجوع يتلف وعطش يميت الى مئآت سوى ذلك من الحوادث التى تبعث بها الطبيعة الهائجة فى اغلب أحايينها من غير ان يسبّبها انسان لنفسه اوعلى غيره فاذا شفعت هذه الحوادث المتواترة بتفلّت البشر بعضه على بعض بصورة فردية او جماعية جاءت الحياة على ابشع صورها وصار العدم اشرف منها واذا كان المطلب بهذه المكانة من الوضوح فكيف نرى الشرائع السماوية تعتبر الجهاد وهو المجالدة بالقوى الحادّة لأزهاق الأرواح من افضل الأعمال التى يتعبّد بها المكلف امام ربّه تعالى .

وهل ذلك منها الاّ دعوة لتخريب الديار واتلاف النفوس وخلع الضغائن والأحقاد فى قلوب الناس وهذه الروح هى اخبث الأرواح حسبما تعقلته العقول :هذا مضافا الى ان الجهاد فى الشريعة انما يكون لتحميل العقائد على ادمغة لاتقول بها والعقائد لاتكون بالتحميل لأن الفكر غير قابل للقسر واذا طاوع الأنسان خصمه بلسانه لمكان القوّة الضاغطة ففكره غير مطاوع وان كان مكبوتا :والخالق المشرّع الموصوف بأعلا معانى الحكمة يجب تنزيهه عن ادنى هذه التشريعات واقلّ تلك التوظيفات :هذا خلاصة ماتشكل به العقول فى مستوى قضية الجهاد والجواب يكون من عدّة نواحى .

(١) امّا ان السلم والسلامة وطيب الأوقات والانشراح لحياة الأنسان من اللوازم الضرورية لها بحكم الوجدان الأنسانى فذلك حقّ لامرية فيه وقد اكّدت الشرائع السماوية هذا المعنى واصّرت عليه واخصر كلمة لها فيه

قول الشارع الأسلامى المسلم من سلم الناس من يده ولسانه وانّما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم وسباب المسلم فسوق وقتاله كفر الى غير ذلك من مئآت الآيات والروايات الحاثّة على السلم والسلامة والمؤاخاة والألتئآم والمصافاة والصداقة وقد شفع المثاليون من اهل الديانات اقوالهم هذه بالعمل الصارم على طبقها ومطالعة سيرتهم فى ذلك ممّا تحصّل القطع للأنسان انّهم كانوا بمثابة من الصفاء وحبّ الخير للانسان على اطلاقه .

نعم نحن لانستطيع ان ننكر انّ جملة وفيرين ممّن يمتّون الى هؤلاء القادة المصلحين قد ارتكبوا فى طريق مأموريا تهم ارتكابات شنيعة وجنوا جنايات فظيعة على خلاف منويات من استعملهم نظير تهجمات البعض على بنى جذيمة فى حياة النبىّ الأكرم وقد تبرّأ (ص) من عمله شاهرا ذلك بين مجامع الناس الغفيرة المتكدسة بين يديه وتهجماته ايضا على قوم مالك ابن نويرة وارتكابه من هذا الأنسان ومن زوجته مالا يطاق سماعه فضلا عن امعان النظر فيه وقد انكر ذلك ثانى الخلفاء اشدّ الأنكار لكن الخليفة لم يؤاخذه بشىء واعتبر بعض المتفقهين ذلك اجتهادا منه تأوّل فيه ارضاء لميول العواطف واذا صححنا هذا الاجتهاد بهذه الصورة لزمنا ان نحكم باجتهاد ابليس وتأوّله وكل عاص على وجه البسيطة فما من احد من هؤلاء الاوله شبيه مدرك على ارتكابه فأبليس كان يرى ان النار خير من الطين والسارق يرى انه محلق والمسروق منه واجد فأيّة حزازة فى تقليل املاقه من اضافات ماعند الطرف والزانى يرى انه مضايق من شهوته فهو يريد الترفيه على نفسه وقس على ذلك كل جرم يرتكب وجناية تجنى : واذا صحّ ذلك لم يكن للتشريعات سماوية وارضية ايّ مجال بالضرورة .

(٢) وامّا ان الجهاد فى الشرائع من افضل الأعمال واهمّ العبادات فذلك ممّا لا شكّ فيه لكن بعد تشريح موضوعه الذى يقوم به فان الجهاد

فى الشريعة معناه ابلاغ الضّال وتعليم الجهّال بما فيه سعادتهم فى الحياة وسعادة الآخرين معهم فيها فأن الحياة اذا سيّرت على مقتضى ادراكات الجاهلين الزائفة عادت وبالا وثقلا غير قابل للتحمّل فقطع الطرق وازهاق الأرواح وسلب الأموال والتهجم على الأعراض والتغلّب على الناس من ادراكات الجاهلين لفرض الحياة فى هذا الكون وليس كل قطع للطريق منشأه الأعواز ولا ازهاق روح المقابل من الأقتصاص او قطع شأفة تعدّيه ولا ابتزاز حقوق الأغيار من مؤمّنات حقوق المبتزّ ولا التهجم على ناموس الغير من الاضطرار اليه ولا التغلب على الناس لحبّ الحاكمية بمشروع فى العقول وكلّ شئ حصل فى محانى الوجود من ذلك فأنّما هو لقصور فى ادراك المدركين .

فقد كان كل قوىّ العضلات بقومه او بنفسه :وهو اليوم فيما نتحدث عنه فى حدود امسه :يرى من اللازم ان لا يقنع من حياته بالهدوء والسكون بل لابدّ ان يثير غبرة يقال فى حقه من ذا أثارها فليس السلاّبون فى حاضرهم وغابرهم كانوا فى مضايقة من المعيشة بل لأن يحسب لهم حساب من قيامهم فى وجوه الناس وليس تحصيل العنوان والمقام والجاه بمشروع من هذه الطرق عقلا والمشروع منه ماكان بكسب صحيح بأن يعطى الأنسان من زحماته ثمرات للمجتمع تعلى من قدره وتشيد بذكره يكون جاهلا فيجئ عالما خرّيتا او مخترعا مفيدا او مصلحا عظيما اومحسنا كبيرا وماالى ذلك من الأعمال الأيجابية النافعة للناس غير المضرّة بهم الآخذة بضبع الحياة غير الهادمة لها وكل كيان يبنى على غير هذا الاساس فهو كيان باطل تجب الاطاحة به والوقوف امام عرامة اهله واستئصالهم اذا اصرّوا على العناد ومن هنا يعلم ان حكم الشريعة بصلب قاطع الطريق بأىّ نحو كان حكم له وزنه من العقل ومقياسه من المنطق وهكذا جلد الزانى ورجمه فأن .

ضرورة الشهوة لها مؤمّن صحيح والأفساح لها بالجزاف فيه مزاحمة لحقوق الباقين واعنات بهم وكل معنت مرهق متجرم جان يجب تأديبه ولم يحكم الشرع بأكثر من ذلك عليه واذا اتى به عناده على اتلاف نفسه فلاقيمة لدمه اذ لاقيمة لمضرّ كائنا ماكان وهكذا محاولة التغلّب على الناس بالقهر لحبّ السلطة والجاه وقس على ذلك كل تعدّ صغيرا كان فى جرمه ام كبيرا ٠

اذن فالحياة لمصلحة الأحياء يجب ان تسيّر على نظام خاص يكفل الرفاه للجميع ويؤمّن حقوق العموم ويحصّل السعادة التى تعترف بها العقول ٠

وهذا النظام مفقود فى ماسوى تشريعات السماء الثابتة لأنّ الأنظمة التى قام بها الأسبقون وهكذا الحاضرون من البشر انظمة مرموزة قائمة على مصالح مؤقتة للمنظمين ولم يراع فيها حق العامة من الناس بالمرّة هذا اذا كان نظام ومجالس تنظيمية وامّا اذا كان الحكم بالاندفاع العسكرى كما هو شيمة العصور كلها والدول بأسرها الاّ ماشذّ منها فى شذر الزمان والمكان فحكم الاندفاع بالقوة معلوم شهدته البشرية فى سالفها وحاضرها وتشهد فيما يأتى عليها وعرفت انها كيف كانت محكومة لميول حبّابة جارية يزيد بن عبد الملك وقس عليها الوفا ومئآت سوى ذلك من مخنثين ومخنثات ينبو اللسان عن ذكرهم والقلم عن ثبت اسمائهم فضلا عن شرح احوالهم ٠

فلا بدع اذا قامت الشرائع السماويّة الثابتة كل فى حينها فى وجه الشرور والأشرار لتحكيم الحق بين الناس احقاقا للحق بما هو حق ومساعدة للمحق ولو كان لاطئا فى شخصه ذليلا فى نفسه عند الغير فشريعة السماء ليس من هدفها الأصيل الجهاد وانّما هدفها احقاق الواقع بالبيان السالم والبرهان الساطع بكل مجهود تبليغى تستطيعه

ولا شك ان كلّ حجر عثرة يقف امام الحق يجب قلعه لتسوية الطريق امام سير المحقّين والجهاد في الشريعة هذا لونه وليس غير .

نعم لاعبرة بما يزعمه المتزعم ويعتبره جهادا ناسبا ذلك الى مصادر التشريع السماوىّ كما حصل ذلك لنوع الانتهازيين الذين برّروا مواقع اجرامهم بفتاوى بعض القضاة او احاديث بعض المحدثين فان هؤلاء مرتزقة من حرام لا يهمّهم من امر الدين والناس قليل ولاكثير في قبال الأموال التى يتقاضونها والمقامات التى يحصّلونها وكل ماوجد ويوجد من ذلك يضرب عرض الجدار وكافة اهل الفطن والروحيات السالمة يعترفون بصحة ماأوردناه .

نعم نحن لانشكّ ان هؤلاء المساكين من عوام المتدينين لصفائهم ذهبوا أضحية على اعتاب الدين لأولئك المدلسين فراحت دماؤهم ومتاعبهم على حساب الدين هدرا واعطت نتائج معكوسة ضعف الدين من طريقها ضعفا ادّى به الى ان يجيء مهزلة من مهازل الكون ومادام للعوام وجود في محاني البسيط لا يكاد يعزّ وجود المتزعمين وعلى ذاك عاش ويعيش طوائف يجرون في عروقهم المتعفنة دماء الأنبياء والأوصياء والصالحين .

(٣) وامّا ان الأفكار غير القابلة للتحقق بالتحميل فهذه الدعوى في بادئها حق لامحيص عنه لان الفكر وكل شعور داخلى اذا لم يهضم الصورة الواردة عليه بأىّ نحو كان الهضم لا يعود يقبلها فلا استغراب اذا رأينا انسانا يؤمن بالخرافات الواضحة ويتجافى عن الحقيقة الراهنة القائمة بالبراهين الساطعة لأنه هضم تلك ولم يتعرف على هذه ومن هنا تعب الأنبياء والمعلمون المخلصون في تثقيف جماعات الناس واخراجهم من الظلمة الى النور لان مشاعرهم بحكم التقليد او استيلاء العادات اوالبعد

عن المعارف أنست بالظلمة فرأتها نورا واستغربت النور فحسبته ضلالة لكن اجبار الانسان طفلا كان او فوقه فى السنّ على مراودة الشيء والأصرار عليه ممّا ينّبه مشاعره شيئا فشيئا فقد ثبت بالتجربة انّ أكره ما يكون للطفل ادخاله فى المكاتب او المدارس لكنّ اصرار حماته على مراودة المعلّم ممّا يحيل كراهته الى انس ومن انس الى حبّ وعلوق فترى هذا الطفل بعد مرور سنوات عليه يبكّر باختيار منه واندفاع الى المدرسة حتى مع الموانع التى تقف امام الكبار من الناس كالبرد الشديد والمطر الزائد وما الى ذلك ولا ريب ان اهمال الطفل ومراعاة كراهته للدراسة اسائة فى حقّه واماتة لمستقبله واتلاف لحياته وهكذا يقال فى جماعات الضلّال والمنحرفين فأن سوقهم الى الهداية بادئا وان كان تحميلا على افكارهم لكنهم على مرور الزمان تراهم يرفعون ايديهم بالدعاء لمن سخّرهم بالقوّة لمقاربة الحقيقة وملابسة الفضيلة واعتناق المذاهب الصحيحة والتعرف على الآراء النزيهة .

فالأنبياء والأوصياء والعلماء المخلصون ان الجأوا الضلّال علما وعملا الى خلاف ما هم عليه فكرة وشعورا وعملا جوارحيا فقد استهدفوا به سعادتهم الأبدية قاطعين بأن هذا الألجاء الفعلى مؤقت وسينقلب الى رضاء مديد مشفوع بشكر متواصل متعقب بحياة فضلى وعيش عال .

وكما انّ الأب العطوف على ولده اذا رأى فى فرخه تشرّدا مستمرا وعنادا متواصلا وحبا للأنحراف بأصرار يستعمل معه ادب الخشونة والأيجاع واذا لم يثمر ذلك فيه طرده وجفاه وأرسله الى حيث اختار لنفسه من الأنحطاط والتدهور كذلك الأب الروحى يبشّر ويقيم الحجج السواطع ويماشى بالمجاملة والمعروف جهد المستطاع فاذا اعيا القوس منزعا فى المنحرف عن عناد استعمل معه ادب الخشونة حتّى لا يفسد غيره معه ولا

يشوّه منظرة الحياة على اهلها بالتجرّم والتجنّى والتعدّى والأنهيار .

وادب الخشونة هو الجهاد فى اصطلاح الشرع ودليلنا على ما اسلفناه انه مامن نبىّ جاء الى قومه لينقذهم من الغواية الى شارع الهداية الاّ وارخص لهم نفسه فى اكثر سنّى رسالته فاذا تمّت الحجج وانتهت مدة الأرخاء ولم يبق معنى للمجاملة فى المعاملة مع المعاندين استعمل فيهم القوّة التى تهيمن عليهم بالقهر صدّا لهجماتهم وتعدّياتهم على المؤمنين فنبىّ الاسلام بقى طيلة ثلاث عشرة سنة مبلغا فقط متحملا كل جهد واذيّة واحتقار فلما اعذر وانذر جاءت نوبة الخشونة فى التأديب فجاهد طوال عشر سنين مشفوعة بالتبليغ والتعليم ايضا .

فهذا هو الجهاد الشرعى لاماسواه وقد أشعرنا آنفا ان كلّ مافعله اويفعله المسلم بأية سمة اتّسم سلطنة ام تحديثا ام فقاهة ام تظاهرا بمثالية ام اىّ شىء آخر فليس فيه حجة ولا يجوز به استشهاد او نقض على الدين فان هؤلاء فاقدون للصلاحيات التى تخوّلهم ماخوّلت الأنبياء والأوصياء وهى العصمة وطهارة الضمير والخلوّ من الرموز والأنتهازات والمطامع والأغراض الشخصية فليس الواجب الاّ ما اوجبه الشرع وليس الحرام الاّ ماحرّمه هو .

وأمّا ايجابات بعض القضاة وتحريمات بعض المحدثين فهى بدع وضلالات .

وما رمى على بالصفاء والبساطة امام معاوية الاّ من طريق هذه الرموز المتعفنة :لا يتريث على اذا سئل عن الزانى اذا زنا ماحكمه بقوله اجلدوه او ارجموه ولكن غيره يحوك لهذا الحرام مقدمات يصيّره بها واجبا وكم حرّم حلال وأحلّ حرام وأسقط واجب وارتكبت جرائم من طريق التدليس .

هذا هو كل البحث عن اصل فرضية الجهاد للخصم وصحة الفرضية

نعم تبقى فى البين اشكالات يوجهها المنطق على نكات لا شكّ فى تقررها من دين الاسلام وغيره من الديانات الصحيحة فى وقتها ٠

(منها) ان المنطق اذا اجاز استعمال الخشونة مع المنحرف المعاند بعد تمام الأعذار اليه وانذاره فكيف يجوز مع ذلك استحلال اموالهواغتنامها فان جريمة الأنسان من طريق يده او لسانه او سائر جوارحه او تمرّد مشاعره عنادا لاتبيح لمن يريد تأديبه واقامة الحدّ عليه نهب امواله اذ لا ربط لأحدهما بالآخر ٠

(ومنها) ان المنطق اذا اجاز التأديب للخروج من الغواية الى شارع الهداية لانراه يجيز استرقاق هذا الأنسان بما يعامل معه معاملة الحيوان واذا اجازه توسعا مادام متمردا فلا يجيزه بعد انقياده لما دعى اليه كما لا يجيزه أن يسرى فى اعقابه غير المتمردين ٠

نعم نحن لا نشكّ فى توجّه هذين الأشكالين وسداد منطقهما ولايجوز لنا ان نعتذر فى الجواب بما فعله ويفعله النافذون والحاكمون المسيطرون فى الغابر والحاضر ونتخذ هذه السيرة مدركا لنا بعد ان اعتبرها ويعتبرها المنطق اغلاطا صريحة واخطاء واضحة لكننا نستسلم لجهلنا بالعلة كما استسلمنا لجهلنا بكثير من حوادث الكون التى لم يباشرها المخلوق بنفسه ولم يسبّبها بيده ٠

والداعى الى هذا الاستسلام فى الطرفين والتعبد بما ثبت عن الدين تقريره مع الجهل بحكمته ودواعيه الصحيحة هو انّ الذى يقف على ماتجلّى له من هذا الكون من شتات موجوداته علوية وسفلية منيرة وخافتة حيّة وهامدة سائلة وجامدة يصدر بعد مطالعته لها واستشفافه ايّاها حيران ذاوله من عظيم القدرة وعجيب الصنعة ودقة الحكمة وبليغ الأعجاز فى التكوين فيضطّر لامحالة الى الاعتراف بالصانع القادر المختار العليم

الحكيم بأعلا مقاييس هذه الصفات ويلزمه من هذا الأعتراف اعتراف آخر مفاده ان خلقة ما يراه مضرّا كالحيوانات المفترسة والحشرات القاتلة والتموجات العارمة من بركان واعصار وطوفان وصاعقة وزلزلة وما الى ذلك هو فى الواقع كان ويكون لمصالح خفية لا تدركها عقول البشر ولحكمة غامضة لا تستجليها مشاعر الأنسان فان من المستحيل ان يصدر عن الحكيم العالى المقياس فى الحكمة غلط وعبث وتخريب .

وهكذا يقال فيمن يستجلى قوانين الشريعة لنظام الحياة البشرية على الأخص شريعة الأسلام فانه يقف منها على تشريعات هى غاية فى الدقّة ونهاية فى مراعاة مصالح الأحياء فى كل شئ خصوصا وهو يرى نزاهة القائمين بتبليغ هذه القوانين نزاهة ترمى الى ابعد حدود النجابة والعفّة ومع هذا الاستجلاء لا يستطيع الحكم عليها بأنها خواطر عابرة كسائر الخواطر التى تنبعث عن السياسيين الذين يحاولون استثمار الأجتماع من طريق مقرراتهم وانظمتهم وقوانينهم بل يلزمه فيما يجهل العلة فيه منها ان يحيله الى مصالحه التى لا يفهمها هو وقد يكون لا يفهمها الى ابد الآبدين نعم قصارى ما يدرك العقل من الاشكالين الآنفى الذكر هو ان يجيز تجريد المشرك المعاند فى شركه بعد تجلّى الحقيقة له والزامه بها من امواله اذا كانت عونا له على تمرده وقوة له فى انحيازه وفى الرقّ اذا بقى على شركه بعد الأسر .

وبعد هذا كلّه فالحروب كلّها محرّمة وشهر السلاح على اطلاقه باطل الآ فيما تضمّن دفاعا عن النفس والناموس والمال وسائر الحقوق الأختصاصية للفرد الثابتة له بحق وكل حرب قامت بها الشعوب والدول لأجل التغلّب والحاكمية او بسط النفوذ او تركيز مرام عاطفى فهى جريمة وكل مشترك فيها شريك جرم سواء أكان اشتراكه بسلاحه ام بماله ام بدعايته

ام بتأييده ام برضاه ام بأية صيغة اخرى ·

وكم لعنت العصور الحاضرة المصطبغة بالتنوّر فيما يدعّى لها العصور السالفة بزعم انّها عصور اختناق وانتهاز واعنات وارهاق وسلب لحرية الأنسان امّا هى فببركة تنورها الذى انّى بها ان تشكّل حامية عالمية لحقوق الأنسان وحفظه وحراسته من التعديات عليه جاءت سالمة من تلك العاهات بريئة من تلك الاجرام بعيدة عن تلك الموهنات لكن الواقع اصخر لها بكذب منوياتها وتزوير مدعياتها واراها ان الأنسان فى معمعان دنيا الأختراعات كيف اصبح مداسة للأرجل تصبّ عليه الصواريخ والقذائف ماهو احرّ واد هى من نار جهنّم وتتلاعب به السياسات العارمة تلاعب الأطفال بالأكر فهو دائما تراه العوبة للأحزاب وغنيمة للمطاردات الحزبية لا يهدأ له ليل ولا يستقرّ به نهار تتقاذفه الأستعمارات فى الساعات فضلا عن السنين والأحقاب والمشاهدات الفعلية غنيّة عن البيان :وبعد أن قرأت ماأسلفناه من كليات هذا الباب يجدر بنا ان نلّم بفقه الجهاد فى الشريعة حتى ننتهى الى ماجاء فى نهج البلاغة من الحثّ عليه والترغيب فيه ·

فنقول جاء فى المتون الفقهية مانذكره فى الفقرات التالية :

(١) يجب الجهاد على الكفاية بمعنى وجوبه على الجميع الى ان يقوم به منهم من فيه الكفاية فيسقط عن الباقين سقوطا مراعى باستمرار القائم به الى ان يحصل الغرض المطلوب به شرعا وانما يجب الجهاد بشرط الامام العادل او نائبه الخاص اوهجوم عدوّ يخشى منه على بيضة الأسلام·

(٢) يشترط فيمن يجب عليه الجهاد البلوغ والعقل والحرّية والبصر والسلامة من المرض المانع والعرج والفقر الموجب للعجز والذكورية هذا فى الجهاد وامّا فى الدفاع فيجب على القادر سواء الذكر والأنثى والسليم والأعمى والمريض والعبد وغيرهم ·

(٣) يحرم المقام فى بلد الشرك لمن لا يتمكن من اظهار شعائر الأسلام .

(٤) الرباط وهو الأرصاد فى اطراف بلاد الأسلام مستحب دائما ولو اعان بفرسه او غلامه أثيب .

(٥) يجب قتال الحربى وهو غير الكتابى من اصناف الكفّار بعد الدعاء الى الأسلام امتناعه من قبوله حتّى يسلم او يقتل والكتابى مثله الآن يلتزم بشرائط الذمة وهى بذل الجزية والتزام احكامها وترك التعرض للمسلمات بالنكاح وللمسلمين بالفتنة عن دينهم وقطع الطريق عليهم وايواء عيون المشركين والدلالة على عورات المسلمين واظهار المنكرات فى شريعة الأسلام ونكاح المحارم فى بلاد المسلمين وتقدير الجزية الى الأمام .

(٦) لا يجوز الفرا عن الحرب اذا كان العدوّ ضعفا للمسلم او اقلّ الاّ متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة وتجوز المحاربة بطرق تحرز الفتح كهدم الحصون وقطع الشجر ونظير ذلك ولا يجوز قتل الصبيان والمجانين والنساء وان عاونوا الاّ مع الضرورة كما لا يجوز قتل الشيخ الفانى .

(٧) يترك القتال وجوبا لأمور (احدها) الأمان ولومن آحاد المسلمين لآحاد الكفّار اومن الأمام اونائبه للبلد وما هو اعمّ منه وشرطه ان يكون قبل الأسر وان لا تكون هناك مفسدة كتأمين الجواسيس فانه لا ينفذ (وثانيها) النزول على حكم الأمام اومن يختاره فينفذ حكمه مالم يخالف الشرع (الثالث والرابع) الاسلام وبذل الجزية (الخامس) المهادنة على ترك الحرب مدة معينة وهى جائزة مع المصلحة للمسلمين .

(٨) تملك النساء والأطفال ــ بالأغتنام ــ وان كانت الحرب قائمة والذكور البالغون يقتلون حتما ان أخذوا والحرب قائمة الاّ ان يسلموا وان اخذوا بعد أن وضعت الحرب اوزارها لم يقتلوا ويتخير الأمام بين

المنّ عليهم والفداء لأنفسهم والأسترقاق ولو عجز الأسير عن المشى لم يجز قتله وما لا ينقل من اموال المشركين لجميع المسلمين والمنقول منها بعد الجعائل والرضخ والخمس والنفل وما يصطفيه الأمام لنفسه يقسّم بين المقاتلة ومن حضر القتال للفارس سهمان وللراجل سهم .

(٩) من خرج على المعصوم من الأئمة فهو باغ واحدا كان او اكثر يجب قتاله حتى يفيء الى الطاعة اويقتل : هذه المواد التسع خلاصة ما ذكره الفقهاء فى بحث الجهاد ونحن تلواً نأتى على ذكرها مادة مادة حتى تتجلّى تماما للقارئ وذلك على ضوء المنطق وحريّة البحث ان شاء اللّه .

(١) اسلفنا ان الجهاد الشرعى انّما صحّ لأحقاق الحق وهداية الضّلال وتعليم الجهّال اذا ابوا الخضوع للحق عنادا ولا شكّ ان الطريق الى الهداية منحصر بالشريعة والشريعة لابدّ لها من قيّم والقيّم هوالنبىّ عن اللّه ومن تخوّله الصلاحيات نصبه وصيّا وخليفة والذين يجاهدون عن الحق هم الذين عرفوه من طريق الداعى اليه وبمقدار الحاجة الى الجهاد سعة واختصارا تتسع رقعة التكليف بالنسبة الى افراد المكلفين به وتضيق فتارة يجب نفير عام واخرى لا يجب .

(٢) كما لا ريب فى لزوم مسانخة الموضوع للحكم فى كافة القضايا وبما ان الجهاد يحتاج الى قوّة واجتماع اشدّ وسلامة بدن وثبات وشجاعة كان من لازم المجاهد البلوغ لان اجتماع الأشد انما يكون به طبيعة وهكذا من لازمه العقل لان المجنون وان كانت فيه عرامة الاّ ان العرامة التى تنجع هى ماكانت نتيجة الرشد ومحاولة الأصلح والمجنون فاقد لصلاحية ذلك : وامّا العمى والعرج والمرض فأعذار واضحة فى مقام الجهاد لأن ميادين الكفاح تتطلب الفرد السالم القابل للكرّ والفرّ والمحاولات اللازمة فى الحرب وامّا الفقر فانما يكون عذرا فيما لو اعوز الأمام عن ادارة جنده بأن

كانت خزانته ضعيفة وامّا اشتراط الذكورة فلأن الانثى اكثر خوفا فى الحوادث من الرجل واقلّ بأسا واسرع تأثّرا مضافا الى انّها مبتلاة بوظائف بيّتية فى الأعم الأغلب وهاتان النكتتان من العوامل المهمّة التى اسقطت هذه الوظيفة عن المرءة :وامّا اشتراط الحرية فى المجاهد وان العبد المملوك لا يجب عليه جهاد فهو مورد خلاف بين الفقهاء وجملة منهم لا يرون هذا الشرط والذى يراه يجد فى توظيف الجهاد عليه مزاحمة لتوظيف حقوق مولاه عليه ·

وقد اعترف الفقهاء بأن شرطية هذه الشروط انّما هى فى سوق الجيوش لتوسعة محيط الحق واهله امّا فى مواقع هجوم الأعداء على اهل الحق فالدفاع يكون عامّا لكل من يتأتى منه ادنى عمل مثمر وهو ما يعبّر عنه بالنفير العام ·

(٣) لا شكّ ان الأستنامة الى الجهل والأصاخة على الذل والهوان والتحجير على الروح الأنسانى حرام بل يجب على الأنسان ان يتطلب مظانّ سعادته ومواقع تحقق صالحه الأنسانى وذلك انما يكون بالعلم واحراز الحريّة فى البحث والنقاش للتعرّف على الحقيقة وتبيّنها فاذا ابتلى الأنسان بضاغط على روحه وخانق لفكره وهادم لحريته وقدر على الترفيه عن نفسه وجب عليه ذلك وهذا الملاك هو الذى اوجب على المؤمن الهجرة من بلاد الشرك الى بلاد الأيمان التى يستطيع من طريق سكناها ان يحرّر افكاره وجوارحه وان يرفع عن نفسه كابوس الذل والهوان ·

(٤) المرابطة فى الثغور واليقظة فى حفظ حدود الحق من اهمّ مؤمّنات بلاد الأيمان ولذلك استحبّ لأهل الايمان ان يرابطوا حدودهم وثغورهم وان يكونوا عيونا لبلادهم واخوانهم حتّى يأمنوا بوائق الأنتهازيّين من الجهّال والضلّال والمخربين وكلّ من اعان على المرابطة

بماله ورجاله ان كان ذا مال ورجال وان لم يرابط بنفسه عد مرابطا بنسبة اشتراكه فى هذه المساعى الخيّرة .

(٥) الحرّبى هو المشرك المحض والشرك وان كان معناه جعل شريك لصانع العالم كجعل اله للظلمة واله للنور وكجعل الأجرام السماوية مؤثرات فى حياة الأنسان سعادة وشقاء وكجعل بعض المخلوقات من العلل الفاعلة فى تسيير الحياة الدنيوية وما الى ذلك الاّ انه يطلق اطلاقا متوسعا على الملاحدة والمنكرين للصانع بالمرّة بل هذا المعنى اظهر معانيه وانما يجب قتال الحربى بما اسلفنا من معناه لان الأنسان الذى يتبّنى فكرة الأباحية الصرفة وان الانسان حيوان كسائر الحيوانات الضوارى التى تعيش على قوّة مخالبها وحدّة انيابها وتحرّيها للفتك جهد ما تستطيع يجىء بدنه وجميع ما يملك من قوّة عاملا لفكرته تلك وهذا الأنسان بروحه هذه لايعود يعرف مفهوما للأمانة والأيمان والأحسان والمؤاخات والمواساة والحياء والوفاء والصدق والرفق والعفة والنجابة ومراعاة حقوق الأغيار بل جهد ما يعرف ان الكون والكائنات فرائس لكل من يملك قوّة الافتراس فاذا اوتى من هذا الحول والطول شيئا اغذّ غير متحاش فى الأفساد والتخريب والأغارة والنهب والسلب والتعدّى والتجاوز وقد حقّق البشر الملحد كل هذا فى غابره وحاضره ولم تمنعه المعارف الصناعية والثقافات المادّية عن اعمال هذه الرذائل وما تموّجات العالم فى حاضره وقذاراته غير المربوطة برابط محدود الاّ من نتيجة تلك الفكر الانحرافية .

فأينما تضع يدك اليوم على وفرة المعارف والثقافة تجد التلصص والغدر والتزوير والأيمان الكاذبة والتعديات الممقوتة والأنتهاز البغيض شارة كل انسان بلا استثناء حتى الزوجة تعيش مع زوجها بالرموز والولد مع والده بالختل والأخ مع أخيه بالمراوغة والأنسان مع الأنسان بالخديعة

والمكر والحيلة ولا يعلم الاّ اللّه مافى هذا السير الحيوى من خطورة تسلب شعور الأنسان الفطن فتحيله الى انسان متحير فى دنياه لا يعرف ماذا يصنع لحفظ نفسه وصونها ممنّ يريد به سوء ٠

فلاشك ان مقاومة مثل هذه الفكر ومبارزة مثل هذه الأرواح من اهمّ الوظائف الانسانية فى الحياة ولم تخلق التنازع فى البقاء الاّ هذه الروحيات المتعفنة والنزعات الساقطة وتطهير الوجود من هذا الموجود حتّى لو اتى على اكثر افراده من الفرائض الوجدانية على كل من يملك وجدانا ويقول به ٠

يصفّق العالم لأنسان اليوم بأنّه من روّاد الكرات العليا وان سفنه الفضائية سوف تحقّق ما يعدّه بشرامس من الأساطير غافلا عن ان الأنسان حتى لو استطاع ان يسافر الى ابعد مجرّة عن كرة الأرض فضلا عن السفر الى كرة القمر لم يفعل اقلّ شيء وكرته الأرضية بحالتها المخزية هذه ٠

لو انّ روّاد الفضاء ومن يمدّهم بهذا الحول والطول اللذين من طريقهما استطاع هؤلاء مواصلة السير فى الفضاء صرفوا بضاعتهم فى انتشال الجياع والعراة والمرضى والمفاليك فى شتّى الممالك وما اكثرهم واوفز ارقام اعدادهم من جوعهم بالشبع وعرائهم بالكسوة ومرضهم بالمعالجة وفلاكتهم بترميم حالتهم المادية لكانوا قد قاموا بخدمة انسانية عامة ذات اثر مثمر يشكرون عليها من كلّ انسان وبكل لسان ٠

لكنّ روحياتهم غير المؤمنة أبت عليهم فعل الأحسان مع الأنسان فترى القوم يصرفون قواهم فى مسيرين خاطئين احدهما حشد قواهم فى تدمير الضعفاء كالحروب التى يشنّونها على الأقوام البائسين بحجة حمايتهم والقيمومة عليهم وثانيهما تصريف قواهم الفكرية والماليّة فى هذه اللآطائلات الفضائية :وكما جاء فى منشور حقوق البشر :مادام على وجه الأرض فقير

ومريض وجاهل فأنّ عار ذلك لا يفارق الجامعة الأنسانية ومهما ملكت من حاكمية وثقافة وافكار عالية وصناعة مهيمنة :اذ ن فمع وجود النقصان الفاحش المنتشر فى جماعات البشر على طول القارّات الخمس وعرضها لافخر لرائد الفضاء ومن يمدّه ولا للدول القويّة ومن يشدّ ازرها ولا للأفكار الخلاّقة ومن يساعدها على انتاج ثمراتها ٠

وعصارة ماسلف هى ان مجاهدة المؤمنين بالمادّة وحدها الكافرين بالمقدسات الانسانية من اهمّ وظائف الانسان فى تحكيم الانسانية وفرضها على الوجود: هذا هو الكلام فى الحربى ٠

وانما افترق الكتابى عنه لان الكتابى مادام يؤمن بشريعة السماء ويقول بفرائضها ووظائفها يستحيل عليه ــ مع هذا الشرط ــ ان يجيء ويطلع بسيماء المادّى المحض الذى قرأت فيما سلف فهرست روحياته فى الحياة نعم هو اذا تفلّت على عقيدته التى يزعمها لنفسه كان هو والحربى سواء يجب قتله وقتاله حتى يفيء الى الحق ومثلهما المسلم الباغى بلا ادنى ميز فى فريضة قتاله كبح جماحه واسكات نامّته وارجاعه الى نصابه الذى ادّعاه لنفسه اوكان من الحق ان يدعيه ويسير على ضوءه ٠

(٦) فاذا كان حرب المتمردين على الحق والحقيقة والوظائف الأنسانية اللازمة واجبا انسانيا كان الفرار عن هذه الساحة محرما قطعا وما تدهورت الأديان السماوية والحقائق الواقعية والمقررات الانسانية والشرائع الوجدانية فأخذ اهلها يقلّون شيئا فشيئا حتى اصبح الانتساب اليها عارا على المنتسب الاّ من نتيجة فرار اهل هذه العقائد عن نصرتها وليتهم احرزوا انفسهم بفرارهم هذا وان خانوا عقائدهم لكن من المستحيل ان يحرز الانسان نفسه مع المادية الجائرة السوداء وكيف يحرزها وهو يواجه فى كل من يواجهه روحا متنزيه وباطنا خبيثا وضميرا

فاسدا ووجدانا متعفنا ٠

ولئن عثرت عينا ابن آدم اليوم على متظاهرين بالدين داعين اليه ولا بسين بزّته فلأنّ فى العوام من يمدّهم بماله واحترامه ٠

نعم لا يجوز للانسان الحرّ ان يفرّ عن ميدان عقائده الانسانية ويجب عليه ان يتحرّى كافة الوسائل التى تضمن الانتصار وتؤدى الى النجاح أقلاما كانت ام اقداما عملا مواجها كان ام فعاليّة من وراء ستار بأعمال فكر حصل ام بمباشرة بدن وقس على ذلك كل امر يمكن استثماره فى اقامة الحق واناما الباطل ٠

(٧) باعتبار ان كل مسلم بل كل متدين بل كل انسان مخلص له سهمه التام من اسلامه ودينه وانسانيته وله قيمته ووزنه جاز له فى اطار اخلاصه ان يبدى نظره ويساهم فى صالح عقيدته ومن هنا اجاز الاسلام للفرد المسلم ان يؤمّن الواحد والاكثر من الكفّار لمصلحة دينية تدعوه الى ذلك واذا تمّ عقد هذا القرار مضى وثبت: وعلى غرار هذا الملاك ثبت فى قوانين العصور الأخيرة انّ كلّ فرد من افراد الشعب له حرمة رأيه فى انتخاب الزعماء وانتقاد ما يسنّونه من قوانين ٠

(٨ ــ ٩) وقد ابدينا رأينا فى الغنيمة والأسترقاق وحكم الباغى على الأمام ولا مجال للأعادة ٠

* (علىّ والجهاد) *

قد علمت فيما سلف انه ليس الملاك فى تجويز الجهاد هو الشرك بعنوانه الفارغ بل بما ينزوى تحته من ضلال واضلال وغواية واغواء واطاحة بالبشرية الصادقة والوقوف امام التمتع بها بالطرق المشروعة فكل امام عادل ثبتت بالدين امامته وبالوجدان صلاحيته واهليته اذا واجه فى حياته

ما هو بملاك الشرك من الناس فردا وجماعة جاز له جهاده ومجالدته حتى يفيء الى الحق ويرجع الى معاده اللازم عوده اليه .

فقتال عليّ على طوله قتال قائم على الحق والصدق والواقع وكل من واجهه ونازله القتال ضالّ غاو باغ كائنا من كان من الناس على الأخصان صاحب الدعوة الاسلامية (ص) في دوره السابق على دور عليّ في خلافته بما يقرب من ثلاثة عقود ابان عن مواقفه التي سيقفها في المستقبل الذي يأتي عليه واعتبر ان حرب عليّ كحربه هو (ص) فما أشاعه ويشيعه المرموزون من المنتسبين للاسلام المأجورين لامثال معاوية واشباهه من ان حروب عليّ ليست بمشروعة اذ لا يجوز قتال اهل القبلة سخف من القول وضلال في الفتوى وتحيّز الى جانب المخربين المفسدين والغواة الضالّين ونحن قد اسلفنا فيما سبق من اجزاء هذا الكتاب طوائف من الحديث النبويّ عن طريق القوم انفسهم تشفع هذه الدعوى ولا مسوّغ للأطالة بالأعادة .

وللأمام عليّ عليه السلام فصول طريفة في الحثّ على الجهاد والترغيب فيه (منها) قوله في خطبه له (النهج الحديدي ج١ ص ١٤٠) امّا بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنّة فتحه الله لخاصة اوليائه وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنّته الوثيقة فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل وشمله البلاء وديّث بالصغار والقماءة وضرب على قلبه بالأسهاب وديل الحقّ منه بتضييع الجهاد وسيم الخسف ومنع النصف الا وانّي قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرّا واعلانا وقلت لكم اغزوهم قبل ان يغزوكم فوالله ماغزى قوم قطّ في عقر دارهم الاّ ذلّوا فتواكلتم وتخاذلتم حتّى شنّت عليكم الغارات وملكت عليكم الأوطان وهذا اخو غامد قد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسّان بن حسّان البكري وازال خيلكم عن مسالحها ولقد بلغني ان الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة والأخرى

المعاهدة فينتزع حجلها وقلبها وقلائدها ورعثها ماتمتنع منه الآ بالأسترجاع والأسترحام ثم انصرفوا وافرين مانال رجلا منهم كلم ولا اريق لهم دم فلو انّ امرءً مسلما مات من بعد هذا أسفا ماكان به ملوما بل كان به عندى جديرا ٠

فياعجبا والله يميت القلب ويجلب الهمّ اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم وتفرّقهم عن حقّكم فقبحا لكم وترحا حين صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون ويعصى الله وترضون فأذا امرتكم بالسير اليهم فى ايّام الحرّ قلتم هذه حمّارة القيظ أمهلنا يسبخ عنا الحرّ واذا امرتكم بالسير اليهم فى الشتاء قلتم هذه صبّارة القرّ أمهلنا ينسلخ عنّا البرد كل هذا فرارا من الحرّ والقرّ فاذا كنتم من الحرّ والقرّ تفرّون فأنتم والله من السيف أفرّ ياأشباه الرجال ولا رجال حلوم الأطفال وعقول ربّات الحجال لوددت انّى لم اركم ولم أعرفكم معرفة والله جرّت ندما وأعقبت سدما قاتلكم الله لقد ملأتم قلبى قيحا وشحنتم صدرى غيظا وجرّعتمونى نغب التهمام انفاسا وأفسدتم علىّ رأيى بالعصيان والخذلان حتى لقد قالت قريش ان ابن ابى طالب رجل شجاع ولكن لاعلم له بالحرب لله ابوهم وهل احد منهم أشدّ لها مراسا وأقدم فيها مقاما منى لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين وها انا ذا قد ذرّفت على الستين ولكن لا رأى لمن لا يطاع ٠

المفردات اللغوية فى الفصل :

(١) الجنّة فى اصطلاح الشرع هى المأوى الذى يستقرّ فيه اهل الخير والفضيلة بعد حساب يوم القيامة وبالمعنى المسانخ لها هى كل مايوجب الأطمئنان والأستقرار والعزّة والكرامة للأنسان وبما ان الجهاد بمعناه الأعم من الهجوم والدفاع ضامن للكرامة الأنسانيّة بجميع احتفافاتها كان

بابا يسلك منه للنعيم الأبدىّ دنيا وآخرة ·

(٢) اللّه رمز لكل فضيلة ولكافة صفات الجمال والجلال والكمال فليس من اللّه فى الأنتساب من يختار الذلة على العزّة والقبوع على الهوان وهو قادر على الترقّى فى مدارج الشرف والكرامة ومن لازم ذلك ان يكون الانسان دائما ـ فى ذات الحق ـ مجاهدا غير خائر ولا مستئيما الى الراحة غير الثابتة ·

(٣) التقوى هى خوف اللّه وخشية الوقوع فى المآثم واجتراح الجرائم وكل جبان لابدّ من مقارفته لجريمة التملق والمداهنة ودوس الحق ومناصرة الباطل فلا يتقى اللّه ويقوم بوظائفه ويتحلّى بأخلاقه الاّ الشجاع ·

(٤) لاشكّ ان العزيز فى درع حصينة فى حياته وجنّة واقية فى نشأتيه ولا يعزّ الجبان بحكم الطبيعة ·

(٥) الرغبة فى الشىء ارادته وعن الشىء الاعراض عنه والزهد فيه ·

(٦) ديّث بزنة المبنى للمجهول مضاعفا ذللّ واستهين والقماءة هى الذلة والصغار ايضا ·

(٧) الأسهاب ماينشأ عن قلة الشعور وضعف العقل وأطلق هنا بمعنى ذلك ·

(٨) اديل من فلان بمعنى اخذ منه جزاء ومكافأة لما صدر عنه ويستعمل فى مقام اخذ الثأر ·

(٩) السوم وضع الشىء فى معرض المعاملة فمعنى سيم فلان خسفا اذا استزهد ووضع من قدره ·

(١٠) النصف بالتحريك هو الأنصاف وهو اعمال العدالة فى الأخذ والعطاء ·

(١١) عقر الدار اصلها وبحبوحتها ومركزها ولا شكّ ان من يغزى فى

عقر داره فقد اخذ كل شيء ورخصت منه كل قيمة .

(١٢) التواكل هو اتكال بعض على بعض ونتيجة ذلك نفى النتيجة وعقم الثمرة المستهدفة والتخاذل هو استنامة البعض للبعض الآخر فى خذلان انفسهم اومن استنجد بهم .

(١٣) شنّ الغارات تواترها وتتابعها وملكت الأوطان اذا استولى عليها غير اصحابها الشرعيين بالقوة والتغلب والمسالح هى المخافر التى تقيم فيها فصائل الجنود او الشرطة للمحافظة على المناطق والطرق وصدّ هجمات الغزاة واللصوص وقطّاع السبل .

(١٤) الحجل مصاغ ذهب او فضّة تلبسه المرءة فى رجلها والقلب السوار تضعه فى يدها والقلادة زينة الجيد والرعاث زينة الأذن وهو القرط :والأسترجاع قول انّا للّه وانّا اليه راجعون والأسترحام تذكيرالطرف بالرحم جلبا لعطفه .

(١٥) انصرفوا وافرين اى كثيرين كما جاؤا عادوا لم ينقص منهم احد اذ لم يجابهوا بقتال ولم يقاوموا بشدّة والكلم هو الجرح والأسف شدّة التأثر والترح هو الحزن والغرض هو الهدف وحمارّة القيظ بتشديد الراء شدة وطأته والأمهال الأنظار ويسبخ يخفّ وصبّارة القرّ بالتشديد هى زيادة البرد والحلوم جمع حلم وهو الشعور والحجال الأماكن المزيّنة المعدّة للمرءة المعرسة والسدم الحزن وشدّة التأثر والقيح الصدأ الذى يترشح عن القرحة والنغب هى الجرع والتهمام الهمّ والغمّ وممارسة الشيء التكرر عليه وذرّف على الشيء زاد عليه .

وامّا مااستهدفه عليه السلام بهذا الفصل فهو بعث البشر الى استيفاء حقوقهم بالصبر والثبات وشدة العزيمة وتقوية الشكيمة واعمال الحزم وعدم التخوّف باحتمالات الضرر والخطر حاكما بأن باب المجاهدة على

الحق باب يفضي الى رضوان اللّه ويحرز طاعته لأن الجبان لا يستطيع ان يصحر بعقيدته لسانا كما لا يتمكن ان يبرزها عملا وانّما خصّ خاصة اولياء اللّه بالذكر لأنهم لا يهابون فى مقام احقاق الحق ايّة قوّة يواجهونها وبذلك انتصر الدين فى كافة مجالاته فى العالم ولولا هؤلاء الخاصة لما كان للعامّة وجود منظّم فان صمود ثلاثمأة مؤمن مخلص فى بدر هو الذى اقام الدول الاسلامية طوال اربعة عشر قرنا وهو الذى امدّ الستماءة مليون مسلم ودولهم بطول البقاء مع تراخى عزائم هذا الرقم المستطيل وبرهن عليه السلام ان المؤمن لا يكون متقيا الاّ اذا احرز عواقبه فى حاضره فأن العاقبة وليدة مقدماتها فاذا كانت المقدمات عقيمة عن الأنتاج لم يكن للعاقبة ايّ اثر ٠

وان كل من ترك الجهاد حبا للسلامة فاته محبوبه هذا لوقوعه فى أسر المجاهدين المعارضين فان عرصة الحياة لم تشاهد مهجورة من المبارزات العنيفة تتبادل فيها فساحاتها دائما ذات جلاد وجدال والمستنيم الى الراحة فيها مسلوب الراحة ولا شكّ ان المغلوب اسير غالبه ونصيب الاسير حتّى من آسره المنصف هو الذلّ والصغار والخسف والأحتقار وبعد ان اثبت لحضارّه العجزة والمأمومين به المتمردين عليه تلك القضايا المشفوعة بالبراهين المحققة توجّه اليهم وخصّهم بالدعوة بأنّه كم دعاهم الى مناجزة الفسدة المعارضين والمخربين المنحرفين من معاصريه ومناوئيه ومبارزتهم فى كل فرصة مؤاتية وكم ندبهم الى الخروج اليهم والانقضاض عليهم حتى لا يتحركوا من اماكنهم قيد شبر فيمّنيهم تقدّمهم المحدود الى ما هو اوسع منه فكيف لو اخليت لهم العرصة فأستفادوا من سنوح الفرصة وانقضوا عليكم وانتم فى صلب دياركم واوساط بيوتكم حتى سلبوها منكم وتوطنوها مكانكم واستشهد بالفعل الجاهر على

ماخوّفهم به بأن اخا غامد وهو زعيم كوكبة غائرة من لصوص معاوية سهر لتأمين مصلحة رئيسه فأغار على الانبار (وهو من حوزة امارته عليه السلام) فقتل الوالى عليها لمّا استضعفه وازال جنوده عن مسالحهم لمّا كاثرهم فقهرهم بشدّة الوطأة وتصميم العزيمة .

وربما انّ كلّ مغالب مدمّر ومهاجم مخرّب (الاّ اذا كان تحت قيادة قائد برّ وزعيم حرّ وسائس مؤمن) كان بحكم حبّه للأرعاب واشاعة الخوف وتعميم الأعنات والأرهاق للتوصل الى نتائج الأنتصار بسرعة يوقع بالبرئ والمجرم ويتعدّى الأنسان الى الفتك بالحيوان ومنهما الى تخريب العامر واطاحة المشروع القائم والعبث بكل شئ حتى يخضع له البعيد عنه قبل الوصول اليه وعلى هذه القاعدة مشى هذا الغائر فكان رجاله يدخلون على المرءة المسلمة (لا يتحاشونها لا بما هى امرءة ولا بما هى مسلمة محترمة العرض والدم) والأخرى المعاهدة (التى هى بحكم المرءة المسلمة شرعا) فينتزعون حجلها من رجلها وقلبها من يدها وقلادتها من عنقها ورعاثها من اذنها وفى ذلك فضلا عن الدناءة المستقذرة من التعدّى على ناموس الأنسان المسلم والمعاهد ما يهزّ عاطفة الغيور .

وفى قوله عليه السلام ثم انصرفوا وافرين من اظهار الألم مالا يحدّ بوصف اى انّ الحاضرين من الرجال كيف لم يموتوا امام هذه الحوادث حتى لا تقع وكيف لم ينكّلوا بهؤلاء المتجاسرين حتى يكون التنكيل بهم عوضا عن تعدّيهم وقد شدّد ضجره من هذه الواقعة بأن الانسان الغيور لو مات من مزيد التأثر والأسف على حدوث هذه الحوادث وهو لم يكن باستطاعته ان يردّها او يقف امامها لما كان ملوما بذلك .

وقد حزّت هذه المطالب الغرائب فى نفس امير المؤمنين عليه السلام

بما زهدّت الحياة فى عينه حقيقة واخذ من بعدها يتلهف على الموت المريح من دون مواربة حتى قتل :وبعد أن قرع اسماعهم بذكر هذه الخواطر المزعجة للانسان الغيور اخذ يقبّحهم بما هم اهل له بأنكم كيف جوزّتم لأنفسكم تفرقكم عن حقكم (وحقّهم هو قيام امام شرعى بينهم قد بايعوه ورأوا من عظيم اخلاصه للحق مالم يحصل من غيره بتاتا) مع انكم ترون اصحاب معاوية قد ارخصوا فى سبيل امارته كل غال ورخيص مع اعتراف اهل ذلك الجيل كلّه بانه لاقياس بين الرجلين من جميع الوجوه واذا كنتم تتفرقون عن حقكم بمقدار ما يتجمع هؤلاء على باطلهم فقبحا لكم وترحا وبعدا لكم وسحقا ٠

وليت ان القضايا اقتصر فيها على معنويات الحق والباطل ولم تتعد الى الأطاحة بأعماركم واموالكم ونواميسكم فى حين انكم صرتم غرضا يرمى يغار عليكم ولا تغيرون وتغزون ولا تغزون حتّى ادّت بكم الحالة الى أبعد مواضع الذلة سقوطا تتخطفون من كل جانب وتؤخذون من كل مكان وكم استنهضتكم لكشف هذا العار وامرتكم بالسير اليهم فى الليل والنهار والسّر والأعلان فما كان منكم الاّ التعلّل بالحرّ والبرد كل هذا فرارا من الكرامة والشرف واخلادا الى المهانة والتلف واذا كنتم بهذه الحالة فما انتم الاّ اشباه رجال تملكون أشباحا عارية من الأرواح وادمغة فاقدة للعقول وقلوبا خالطها العمى فحادت عن الطريق حتى حبسها التيه فى المضائق وتأخّر بها الضلال عن ادراك الحقائق ٠

ولا شكّ ان الحرّ الحسّاس المتوثب الروح يستقذر هذه الزعانف ويستوحش من قربها ويوّد انه لم يرها حتى يعرفها معرفة تجرّ الى الندم وتعقبه الحزن والسأم :ثم دعا عليهم بقتال اللّه لهم وابعاده ايّاهم جزاء ماتمرّدوا عليه وجرّوا بأنواع المصائب اليه حتّى ملئوا قلبه قيحا وشحنوا

صدره غيظا وأفسدوا عليه آرائه الصائبة بالتمرد والخذلان والاستبداد والطغيان فكان انهيار حروبه نتيجة لخلافهم له وانتصار خصمه عليه لانتباذهم عنه لا لقصور فى خططه ولا لضعف فى تدبيره ولا لعلّة فى علمه وقد برهن على ذلك انه قضى عمره فى ساحات الميادين ومبارزة الأقران وتعالت انتصاراته فى كل واقعة جرت على اسلوبه واتزنت بدقّة نظره ولاريب ان ممارسة الشيء والتكرر عليه يعطيان صاحبهما علما تجرّبيا هو فوق العلم النظرى بما لا قياس بينهما قطعا فعلىّ لم يغلبه معاوية من قصور فيه ولا لضعف فى جيشه ولا لهناة فى خططه ولكنّ العيب الذى افسد هذه المساعى العظيمة هو عصيان هذا الجيش الجرّار له واستبدادهم بأفكارهم وتلونهم فيها فى الساعات فضلا عن الأيام .

ونحن قد كتبنا فصولا مشبعة عن هذا المضمون فى البحث عن قضايا صفّين والتحكيم ومامتّ الى ذلك فراجع فصل النقود والردود من سلسلة كتابنا الحياة الروحية وتدبّره بدقة وامعان تقف على فصل الخطاب .

(ومنها) قوله من خطبة اخرى فى استنفار الناس الى اهل الشام :

افّ لكم لقد سئمت عتابكم ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا وبالذل من العزّ خلفا اذا دعوتكم الى جهاد عدوّكم دارت اعينكم كأنكم من الموت فى غمرة ومن الذهول فى سكرة يرتج عليكم حوارى فتعمهون فكأن قلوبكم مألوسة فأنتم لا تعقلون ماانتم لى بثقة سجيس الليالى وما انتم بركن يمال بكم ولا زوافر عزّ يفتقر اليكم ماانتم الاّ كأبل ضلّ رعاتها فكلّما جمعت من جانب انتشرت من آخر لبئس لعمر اللّه سعر نار الحرب انتم تكادون ولا تكيدون وتنتقص اطرافكم فلا تمتعضون لا ينام عنكم وانتم فى غفلة ساهون غلب واللّه المتخاذلون وايم اللّه انى لأظنّ بكم ان لو حمس الوغى واستحرّ الموت قد انفرجتم عن ابن ابى طالب انفراج الرأس واللّه ان امرء يمكن

عدوّه من نفسه يعرق لحمه ويهشم عظمه ويفرى جلده لعظيم عجزه ضعيف ماضمّت عليه جوانح صدره انت فكن ذاك ان شئت فأمّاانا فواللّه دون ان اعطى ذلك ضرب بالمشرفية تطير منه فراش الهمام وتطيح السواعد والأقدام ويفعل اللّه بعد ذلك ما يشاء ايّها الناس ان لى عليكم حقا ولكم علىّ حق فأمّا حقكم علىّ فالنصيحة لكم وتوفير فيئكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا وامّا حقى عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة فى المشهد والمغيب والأجابة حين ادعوكم والطاعة حين آمركم (النهج الحديدى ج ١ ص ١٧٧) .

المفردات اللغوية فى هذا الفصل :

(١) اف كلمة تقال فى مقام ضجر القائل واستقذاره للطرف المقابل .

(٢) دوران العين لابدّ ان يكون معلول اضطراب روحى وهو الذى يمدّها بالجولان الزائد لحرص النفس على تأمين مقاصدها بطرد الشئ عنها اوبتقريبه لها حسبما تهواه .

(٣) الغمرة ما يغمر الأنسان يضغيه ويستولى عليه من جميع جهاته .

(٤) ارتج عليه اذا سدّ باب الكلام دونه وأغلق والحوار هو الحديث والعمة هو التحيّر والتردد .

(٥) المألوس هو الذى اختلط عليه عقله وجنّ وكلمة سجيس الليالى ككلمة ابد الآبدين :ويمال بكم اى بسببكم ومن طريقكم والزوافر هى الحوامل والسعر جمع ساعر وهو الذى يلهب الحرب بقوة مراسه وشديد باسه :كاده قصده بسوء :وانتقاص الأطراف اخذها ممنّ كانت بيده والأمتعاض هو التأثر :وحمس الوغى اشتدّ :واستحرّ الموت كثر استلابه للنفوس من شدة الوطأة وصدق المجالدة :وانفراج الرأس بمعنى فلقه وشقّه بأن تحدث بين نصفيه فجوة وما بين شقّيه فرجة :عرق لحمه اذا استأصله وهشم عظمه

اذا حطّمه :وفرى الجلد تمزيقه :وجوانح الصدر هى الأضلاع .

(٦) المشرفية هى السيوف المنسوبة الى مشارف وهو مكان تضرب فيه هذه السيوف كما يقال رمح خطى ومهراعوجى .

(٧) فراش الهام سجافها العظمى الخفيف الذى يحيط بها .

. وامّا معنى الفصل :فانه عليه السلام قاله حين فرغ من حرب الخوارج فدعا جنده للمسير الى معاوية فظهر منهم كلّ التعلّل فى ذلك فقال افّ وهى كلمة تشعر باستقذاره لهم واحتقاره ايّاهم فان قال قائل اولاء هم اهل الكوفة الذين مدحهم فى واقعة الجمل ونراه يذمّهم هنا وفى الفصل الآنف بأشدّ الذم قلنا لامحذور عليه فى ذلك ولاعلى النبىّ (ص) ان صدر عنه مثله ولا على اللّه ان قال مثل هذا القول فان المحسن يحمد لأحسانه ويذمّ المسىء لأسائته جزاء وفاقا وقد يحمد انسان واحد ويذمّ فى آنات متقاربة لفعله المعروف وضدّه فالمعروف له حقه من التمجيد والباطل له حظّه من التقريع والقوم اخلصوا لأمامهم بادئا وانحرفوا عنه اخيرا :جدّوا اولا وتكاسلوا تاليا :واثر كلّ من جدّهم وكسلهم واضح جلىّ للعيون .

وقوله عليه السلام لقد سئمت عتابكم معناه اننى من كثير ماذكرتكم ان كنتم ناسين ونبهتكم ان كنتم غافلين وارشدتكم ان كنتم جاهلين والفت انظاركم ان كنتم ذاهلين وجدت فى نفسى منكم مللا وفى روحى سأما ورأيت القول عليكم فى ذلك مجّا سمجا ارضيتم بالحياة الدنيا التى اذا لم يقم الأنسان بصونها وتحصينها من الملوّثات واحكامها بالشهامات والكرامات عادت اثقل عليه من كل ثقيل وهى بهذه الصورة لاقيمة لها فى نفسها فضلا عن ان تكون عوضا عن احراز الآخرة بالعمل الصالح الذى لاميدان له وبالذل الذى يمحق الانسان ويلصقه بالرغام سقوطا وهوانا من العزّ الذى يشيد بالشخصية ويحفظ الكرامة ويؤمّن الحقوق خلفا وبدلا يابئس

ما اختارت لكم انفسكم وانطبعت عليه عقولكم .

اذا دعوتكم الى جهاد عدوّكم الذى يريد التلاعب بحقوقكم والعبث بمقدساتكم والتخريب فى كل ما يعود لمعنوياتكم ومادياتكم اخذتم تدورون بأعينكم كأنكم تواجهون ما هو شاق عليكم ثقيل على عواطفكم كريه لأنفسكم ممقوت عندكم مثير لاضطرابكم ووحشتكم كأنكم من الموت فى غمرة ضافية عليكم قاهرة لكم ومن الذهول وعدم التوجّه فى سكرة سالبة لشعوركم ماحقة لعقولكم ولعزوب انفسكم عن مكاشفة الواقع والتعرّف على الحقائق يرتج عليكم حوارى ويتعمّى واضح كلامى فتكونون فى حيرة وتردد وتوقف وتلدد فكأن قلوبكم قد خلط عليها فأنتم لا تعقلون ولا تتدبرون وبعد ما مارستكم بطويل المعاشرة وداولتكم بمديد المباشرة نفضت يدى منكم فما انتم لى بثقة ولا موضع استئذان فكيف اركن اليكم وأميل على عدوّى بكم وافتقر اليكم بعد ان فقدتم العزّة وضيّعتم الكرامة وخنتم حيثياتكم بالتخاذل عن احرازها والتواكل فى تقويمها وتقديمها .

ما انتم الاّ كأبل ضلّ رعاتها فانتشرت على وجه الأرض لا ناظم لبعض منها ببعض على انّهم لو طاوعوا الراعى العتيد لوجدوا فيه احسن لامّ لشملهم قائم بالعدل فيهم نشيط فى حفظهم حريص على عزّتهم دائب على تثقيفهم مصرّ على تعليمهم ناشد لسعادتهم طالب لتحسنّ حالتهم راغب فى اخراجهم بأحسن صورة وتمشيتهم على احسن طريقة ولكنهم ابو عليه ذلك فجاؤا طبق ما وصفهم عليه السلام بانّهم ليسوا مساعير لنار الحرب ولا من اهل الطعن والضرب قد اخلدوا الى الراحة الجوفاء فقام عدوّهم يكيدهم ليملكهم ولا يكيدونه دفاعا عن انفسهم ويأخذ البلد تلو البلد من اطرافهم فلا يتأثرون له قد رصد لهم ليله ونهاره وهم فى غفلتهم ساهون وفى غيّهم سادرون .

ثم اقسم عليه السلام وهو الصادق فى قوله من دون يمين بان المتخاذلين مغلوبون لامحالة والمتكاسلين مأخوذون على كل حالة لأن الراصد لا يفيت على نفسه الفرصة ولا يستهين بمؤاتاة الظروف فاذا سنحت له القى بكل نفسه لمقصده الذى يحاول وهذفه الذى يريده :وكرّر عليه السلام قسمه بأنه من عدم ثقته بهم انّهم حتى انقادوا معه الى معترك يريده كانوا اضرّ عليه من عدوّه بانفراجهم عنه وتركه فى ميدان الخصومة وحده يواجه فيه دنيا من الأعداء الألداء .

ثم عاود اليمين مرّة ثالثة بأن الانسان الذى يمكنّ عدوّه من نفسه فيأكل لحمه مستأصلا ويهشم عظمه محطّما ويفرى جلده ممزقا لعظيم عجزه كثير هوانه طويل عذابه ضعيف قلبه قليل شعوره بل ميّت لبه معدوم دركه ليس من الناس فى قليل ولاكثير .

ثم ابان عليه السلام عن حقيقة نفسه وما انطوى عليه قلبه ولبّه لطرفه الذى وبّخه ووعظه فلم ينجع فيه توبيخ ولا تقريع بقوله انت فكن ذاك الأنسان الذى يمكّن عدوه من نفسه حتى يعرق لحمه ويهشم عظمه ويفرى جلده العظيم العجز الظاهر الضعف الخانع القلب الذليل الجانب الحقير فى نفسه وعند خصمه امّا انا فعلى وحدتى وقلة ناصرى فدون ما يرام منّى من خسف وعسف ضرب بالمشرفية تتفلق منه الهامات وتنقطّ من شديد وقعه القامات وتطيح السواعد عن ملازمها والاقدام عن قوائمها ويفعل اللّه بعد ذلك ما يشاء اما موتا مريحا او فتحا مبينا .

ثم ذيّل كلامه بما يلزمه اتمام الحجة به فقال ان لى بصفتى اماما شرعيا عليكم حقا يلزمكم القيام به حتما ولكم بصفتكم مأمومين حق علىّ يجب قيامى به فأمّا الحقّ الذى لكم علىّ فهو بذل النصح لكم وتوفير الفىء عليكم ماتوفرت مادته لدىّ وتعريتكم من الجهل بأسباغ العلم عليكم وتثقيفكم من

كل اعوجاج بأشاعة الأدب بينكم وامّا حقى انا عليكم فوفائكم ببيعتى ونصيحتكم لى عملا شهد تكم ام غبت عنكم واجابة دعوتى حين ادعوكم والقيام بطاعتى حين آمركم :امّا انا فقد ادّيت وظيفتى وقمت بواجبى وزدت على ما يراد منّى وامّا انتم فلم تقوموا بواجب البيعة ولازم الذمة ونكصتم على الأعقاب بدل الأجابة واستبدلتم الطاعة بالمعصية فويل لكم مع اتمام الحجة عليكم .

(ومنها) قوله عليه السلام (النهج الحديدى ج ا ص ٢١٢) منيت بمن لا يطيع اذا امرت ولا يجيب اذا عوت لا ابالكم ما تنتظرون بنصركم ربكم اما دين يجمعكم ولا حمية تحمسكم اقوم فيكم مستصرخا وانادى يكم متغوثا فلا تسمعون لى قولا ولا تطيعون لى امرا حتّى تكشّف الأمور عن عواقب المساءة فما يدرك بكم ثار ولا يبلغ بكم مرام دعوتكم الى نصر اخوانكم فجرجرتم جرجرة الجمل الأسر وتثاقلتم تثاقل النضو الأدبر ثم خرج الىّ منكم جنيد متذائب ضعيف كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون .

المفردات اللغوية فى الفصل :

(١) يقال منى فلان بكذا اذا ابتلى به .

(٢) وكلمة لا ابالك تقال للتقريع الشديد بالطرف .

(٣) الحمية هى الشهامة التى تثور بالأنسان لأحقاق حق وابطال باطل ولو كانا عرفيين واحمشه اغضبه .

(٤) واستصرخ بمعنى طلب النصرة وجاء المصريخ اى المنتصرون والمتغوث طالب الغوث .

(٥) تكشف هنا فعل مضارع محذوف احدى التائين اى تتكشف وعن عواقب المسائة بمعنى العواقب السيئة .

(٦) وجرجرة البعير صوته الذى يردده فى حذرته ومن بعض دواعيه

التعب والأعياء والكلال والجمل الأسر هو الذى يؤلم به دبره ويهيضه جموحه والنضو هو الضعيف الهزيل والدبر هو العقر الذى يكون به من تأثير القتب وغيره فيه ·

(٧) الجنيد تصغير الجند سيق هنا بالتصغير للدلالة على قلته وعدم غنائه والمتذائب هو المضطرب ·

(٨) يساقون الى الموت وهم ينظرون بمعنى انهم يقادون الى موت محتّم لااحتمال معه فى النجاة وامّا ماعناه عليه السلام بهذا الفصل :فهو ان الذى انهضه لهذا الموقف فيهم ارسال معاوية النعمان بن بشير بألفى رجل للأغارة على حوزته واوصاه ان يتجنب المدن والجماعات وان لا يغير الاّ على مسلحة وان يعجّل الرجوع فأقبل النعمان بن بشير حتى دنا من عين التمر وبها مالك بن كعب الأرحبى ومع مالك الف رجل ولكن كان قد اذن لهم فرجعوا الى الكوفة فلم يبق معه الاّ مأة او نحوها فكتب مالك الى الأمام عليه السلام أمّا بعد فان النعمان بن بشير قد نزل بى فى جمع كثيف فر رأيك سدّدك الله تعالى وثبّتك فوصل الكتاب الى علىّ فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال اخرجوا هداكم الله الى مالك بن كعب اخيكم ثم نزل فلم يخرجوا فأرسل الى وجوههم وكبرائهم فأمرهم ان ينهضوا ويحثّوا الناس على المسير فلم يصنعوا شيئا واجتمع منهم نفر يسير نحو ثلاثمأة فارس فقام علىّ عليه السلام فقال الا انّى منيت بمن لا يطيع الفصل الذى آنفناه ·

لا شكّ انّ مامنى به الأمام من معاشرة هؤلاء الطغام بلاء كبير فى حد ذاته فضلا عن انّه وارد على روحية عظيمة وقائد عظيم وامام لايشبهه امام فى كافة مزايا الفضل والتقدم والصلاحيات المهمّة :واصولا للبشر منذ بدايته الى منتهى غايته مفاهيم لم تتركز على مصاديقها بالمرّة فالروح

الأنسانية روح مفهومية لاخارجية ولم نر جامعة من جوامع البشر فـي شرق الكرة وغربها انقادت يوما من ايام اللّه للحق الذى هو محبوب للعمـوم وللعدالة المعشوقة للجميع وللأنصاف الذى يطلبه كافة الناس وللمثالـىّ الذى يحبّه كل ذى شعور حتى الطغاة والطغمة بل دائما نراها خاضعة للأنتهاز والافك والفتك والشعوذات والحيل والخداع والمكر والمصانعـات الكاذبة والمجاملات الفارغة وللساقطين من الحاكمين ٠

عجب يقيم الانسان الحسّاس ويقعده من امة ترضخ تمـام الرضـوخ لحبّابة يزيد بن عبد الملك ولا مثالها ٠

وتتجافى كل التجافى عن ارباب المعالى الافاضل فى انفسهم الأشراف فى فضائلهم الأقوياء فى حماية من يلوذ بهم الأتقياء عن فعل المنكـر الأوفياء لعباد اللّه الأعفاء فى ايديهم والسنتهم وبطونهم وفروجهـم الأغنياء بما اوتوا من علم وعدل وفضل وتقى وحلم وكرم وشجاعة ومناعة ٠

افليس من الغريب أن لم يوفق علىّ على عظمته بما وفّقت له حبابة يزيد ابن عبد الملك وامّ موسى دلالة المقتدر وغيرهما من المغنيات والدلّالات والدايات: نعم ليس الاجتماع البشرى من مقوله علىّ ولا روحه مسانخة لروحه ولهذا لم يستطع ان يحكم ماحكمته حبّابة من مجتمع كثير الافراد والألقاب والعناوين ٠

ان امثال هذه المجامع لا يستكثر عليها حكم يزيد بن معاوية او يزيـد ابن عبد الملك او الوليد بن يزيد او الأمين بن الزبيدة واشباه اولئـك فان الجميع من مقولة واحدة هى السقوط والترهل ٠

وعن هذه الدواعى الخارجية الوجدانية انهارت حكومة علىّ فكـان يصيح بمن لا يسمعه ويستصرخ من لا يجيبه ويستغيث بمن لا يغيثه: نعم ان الناس يقولون بالربّ ليّا باللسان ويتظاهرون بالدين ولكن حيث لا وجـود

له فی بواطن جوانحهم ولا علی ظواهر جوارحهم وامّا الکرامة والشهامة والعزة والشرف فکلمات تقال ولا محقق لها وتکشفّ الامور عن عواقب المساءة لا یدفع الانسان عن قضاء وطره فی ساعة الشهوة هذا هوالأنسان بفصّه ونصّه وتوقع غیر هذا منه توقع فی غیر محلّه .

وعلی ذلك الملاك الذی اسلفناه جاء قوله علیه السلام (النهج الحدیدی ج ا ص ٣٤٨) .

ولقد کنّا مع رسول اللّه (ص) نقتل آباءنا واخواننا واعمامنا مایزیدنا ذلك الاّ ایمانا وتسلیما ومضیا علی اللّقم وصبرا علی مضض الألم وجدّا فی جهاد العدو ولقد کان الرجل منّا والآخر من عدوّنا یتصاولان تصاول الفحلین یتخالسان انفسهما ایّهما یسقی صاحبه کأس المنون فمّرة لنا من عدوّنا ومرّة لعدوّنا منّا فلمّا رأی اللّه صدقنا انزل بعدونا الکبت وانزل علینا النصر حتّی استقرّ الاسلام ملقیا جرانه ومتبوء اوطانه ولعمری لو کنّا نأتی ماأتیتم ماقام للدین عمود ولا اخضرّ للأیمان عود وایم اللّه لتحلبنّها دما ولتتبعنّها ندما .

مفردات هذا الفصل :

(١) اللقم الجادة الواضحة (٢) مضض الألم شدّته (٣) التصاول هو حملة القبیل علی قبیله (٤) التخالس هو محاولة احد المتصاولین اختلاس روح صاحبه واستلابها منه (٥) الکبت هو السکون عن مغلوبیة (٦) الجران مقدم عنق البعیر (٧) والمتبوأ المستقرّ (٨) العمود دعامة الخیمة (٩) احتلبه جذب لبنه من ضرعه .

وامّا معانی الفصل :

فأولا یسأل فیقال کیف کان اصحاب رسول اللّه بالوصف الذی ابان عنه الأمام علیه السلام وهل اراد بوصفه هذا کل من کان یخرج مع الرسول

الى موقعة حربية او اراد به فريقا خاصا :والجواب عن السؤللين ان الذى عناهم بالاوصاف الآنفة نفر محدود بهم كان قوام تقدّم النبىّ فى غزواته لاكل من خرج معه فقد كان يخرج معه من المنافقين عدل لمن يخرج معه من المؤمنين وجملة من غير المنافقين ايضا ماكانوا يغنون فى القتال اقلّ غناء بل كانوا من سواد الجيش قريبين من الهزيمة بعيدين عن النصرة وقد اسلفنا بيان هذه البحوث بأيجاز فيها سلف وبتوسع فى الجزئين الثانى والثالث من نتائج الفكر الباحثين عن سيرة النبىّ (ص) وحروبه فراجع نعم نحن لا ننكر ان النبىّ حصّل على مخلصين خدموه جهد الخدمة لعدّة دواعى .

(١) انهم وجدوا طريقته فى قبال ماعليه المشركون والملاحدة طريقة ناضجة يمكنهم الأستفادة منها لصلاح دنياهم وتعديل جنبات حياتهم فضلا عمّا يخصّ الآخرة ويحرزها .

(٢) انهم وجدوه هو فى نفسه سالما من العيوب غير انتهازىّ ولا مرموز ولا يحاول من تثبيت دعوته تحصيل مال وتمتّع بعيشة مرفهة .

(٣) انّهم لم يجدوا من طرازه معارضا له او داعيا لمثل مايدعو اليه وامّا مسألة التهوّد والتنصّر فلم يكن لها فى الحجاز ونجد رونق وكان الشرك هو الدين الرئيسى لأغلب سكنة الجزيرة العربية

وعلىّ عليه السلام وان مشى على كافة الخطط التى ترسمها النبىّ (ص) ولم يحد عنها قيد شعرة وكان فى نفسه ذا مواهب قهّارة حتى انّ اعدائه لم يستطيعوا اخفائها على مزيد اصرارهم على دكّه وسحقه وحصّل كما حصّل النبىّ (ص) مخلصين لا يخالفون له امرا ولا يتريّثون فى اجابة دعوته وتحقيق طاعته الاّ انه عورض من نفس المسلمين القابعين بالأنتهاز معارضة حادّة فى اطار الاسلام وهى التى شوشت عليه افكار الطغام من

الناس ويكفيك شاهدا على ذلك قضية رفع المصاحف فى صفّين والطلب بدم عثمان فى واقعة الجمل وما بعدها .

وهذه المعارضة استنفدت جميع قواها فى تحطيمه فقد استخدم فى طريقها فكر الفقيه ولسان المحدّث وعنوان الصحبة والتابعية وهذه لها اثرها الفعّال فى اغواء الهمج الرعاع مضافا الى ان عليا كان متمسكا بالأصول الشرعية الدقيقة التى لا تروق فى عيون كثيرين من تسويته بين العرب والعجم والأقحاح والموالى والمعاريف من الناس والخاملين وكان معارضوه لا يعرفون الدين الاّ بالتسمّى فكانوا يرضخون لشياطين الأنس مالم يعهدوه ولم يكن بحسبانهم من مئآت الألوف ذهبا وفضّة فغلبوه من هذه الناحية التى لم يصادفها زمن النبىّ ولا ووجه بنظيرها كما هو واضح لكل من درس التاريخ دراسة تحليل .

وامّا ماوعدهم به عليه السلام من سوء المنقلب فقد حصل لهم من زياد وابنه ومن معاوية نفسه ومن نفله وجميع وزعته كمسرف بن عقبة وغيره ومن الحجاج بن يوسف ويوسف ابن عمر وكافة حكومات بنى امية والعباس بمن فيها من عربى وفارسى وتركى وكردى ماتنحّط له الصخور من اعلا قممها وهناك عرف علىّ بانه ربانى هذه الامة وحاكمها الوحيد فى العدل والأنصاف والأحسان وان كل من سواه فطّرارون نشّالون انتهازيون لا يعرفون للشعوب قيمة ولا للافراد اقلّ قدر واهميّة ولا يزنون الناس الاّ بانهم خول وعبيد والى الأبد ستستمر هذه الحالة المضنية والحكومات الماحقة لانها قامت على اسس منحرفة وقواعد معوّجة فياللّه ولهذه الحياة المترهلة .

والى بعض من المعارضات الحادّة التى ووجه بها فى اطار الأسلام ومن المتسمين بالدين اشار فى كلام له قاله لمّا غلب اصحاب معاوية

اصحابه هو على شريعة الفرات بصفّين ومنعوهم من الماء .

قد استطعموكم القتال فأقرّوا على مذلّة وتأخير محلّة او روّوا السيوف من الدماء تروووا من الماء فالموت فى حياتكم مقهورين والحياة فى موتكم قاهرين الا وان معاوية قاد لمّة من الغواة وعمّس عليهم الخبر حتى جعلوا نحورهم اغراض المنية (النهج الحديدى ج ١ ص ٣٠٠) .

(١) الاستطعام حقيقة طلب الطعام فاذا استعمل فى غيره كان استعارة وهو فى كلام الامام كذلك .

(٢) تأخير المحلّة عين الهوان لان الانسان اذا أخّر عن محلته وازيل عن مكانه فقد استهين به وغلب عليه .

(٣) الأرواء هو الأشباع من الماء فى اصل الحقيقة للانسان والحيوان والنبات فاذا استعمل فى غيره كان استعارة فأرواء السيوف من الدم استعارة .

(٤) اللّمة هى الجماعة هنا وقد تكون فى الاصل للخصلة من الشعر المصفوف .

(٥) الغاوى هو المنحرف عن الطريق .

(٦) عمّس عليه الخبر اذا ستره والأغراض جمع غرض وهو الهدف .

اراد عليه السلام بقوله قد استطعموكم القتال انهم بمنعكم عن الماء الذى هو حاجة ضرورية للوجود الحى اراد وا منكم مواقعتهم القتال لأنهم لا يبيحونه لكم عفوا الاّ من طريق المجالدة عليه فانتم بعد صدور هذا الطلب منهم امّا ان تقيموا على ذلّ مآله الهزيمة او الموت عطشا وامّا اجابة طلبهم بأرواء السيوف من دمائهم فاذا روّيتم سيوفكم من دمائهم بمجالدتهم سائغ لكم ورود الماء وخلّى لكم عنه واعلمهم عليه السلام بملاك عام للموت والحياة خلاف ما يعهده سواد الناس فحكم بأن الحىّ المقهور على

امره الذى لا يملك لنفسه ضرّا ولا نفعا فى قبال قاهره هو والميّت الباطل الحركة سواء فى الحقيقة وان الذى يموت وهو قاهر لغيره حى يرزق :ثم كشف لهم عن حقيقة مقابلهم الذى ناجزهم القتال واعدّ نفسه للمجالدة والنضال بأنه جمع ضال عن الحق قد استغواه شيطان دجّال بتزويرالأكاذيب عليه واستعان على اغوائه بشياطين من نظيره رضخ لهم كل ماتصل اليه يده فساعدوه على اخفاء الحقيقة وتلوينها بلون غير لونها وملأوا من قلوبهم واسماعهم ماوجدوا فتالكم به من الرغائب ولذلك جعلوا نحورهم دون معاوية اغراضا للمنية .

امّا نحن فلم نأل جهدا فى انذارهم واقامة الحجة عليهم ولكنهم لم يحسنوا بنا ظنّا ولا اعاروا الواقع علما فبقوا على ضلالتهم عامدين وفى غيّهم سادرين وعن الحق منحرفين .

(ومنها) قوله عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية لمّا اعطاه الراية يوم الجمل :تزول الجبال ولا تزل عضّ على ناجذك اعر اللّه جمجمتك تد فى الأرض قدمك ارم ببصرك اقصى القوم وغضّ بصرك واعلم ان النصر من عند اللّه سبحانه(النهج الحديدى ج اص ٨٠) .

مفردات الفصل ومعناه :زال الشىء اذا ترك محلّه الذى هو فيه قصدا او قهرا والناجذ اقصى الأضراس والجمجمة الرأس :وتد فعل امر من وتد رجله اذا اثبتها فى الأرض كالوتد المثبت وغضّ البصر كفّه ولمّه اراد عليه السلام ان الانسان الشجاع الذى يريد ان يستفيد من موقفه يجب ان يكون على صفات هى(١) ثباته ومهما جرّ عليه ولا شكّ ان الثابت مهاب يورث غيره الفزع بثباته فيكون نصيبه الأنتصار ونصيب غيره الانكسار (٢) وعضّه على اضراسه فانه يجمع قوى العضلات وينشطها ويحكم روابط البدن بعضها ببعض (٣) وان يعير جمجمته للهدف الذى حرّكه واوقفه هذا الموقف

ومعنى ذلك الأستماتة وان يحسب ان روحه ليست له وانّما هى حقّ هدفه ومرامه والأستماتة لها فعلها القهّار فكم من عدد قليل مستميت هزم جيشا جرّارا (٤) وان يتد فى الارض قدمه كأنه من الجوامد التى لا تزول حتى يرهب طرفه بأنه لا يهاب الموت (٥) وان يرمى ببصره كافة الجيش ادناه لأقصاه حتى لا تتشعب به نفسه بانّه يقاتل ايّ عدو ويقابل ايّ جمع فى قلته وكثرته فاذا علم الانسان بما يستقبله عرف تكليفه منه ولم تتوزع به الأحتمالات (٦) وانه اذا حمل غضّ بصره ليستجمع قواه ويتوجه لعمله الذى هو التقدم فى اوساط العدوّ فان تشعّب البصر شاغل لصاحبه وآية ذلك ان الأنسان اذا اراد ان يستحضر خاطرة غائبة عن ذهنه غضّ بصره لينحصر بهدفه الذى يريد ويختصر بنفسه عن كل ماسواها (٧) وان المرء مع اخذه لهذه المقدمات يجب ان يعلم انها ليست كل العلة فى الغلبة فقد تحصل صدف تحول بين المقدمات وانتاجها .

(ومنها) قوله عليه السلام لأصحابه عند الحرب: لا تشتدنّ عليكم فرّة بعدها كرّة ولا جولة بعدها حملة وأعطوا السيوف حقوقها ووطّنوا للجنوب مصارعها واذ مروا انفسكم على الطعن الدعسىّ والضرب الطلحفّى وأميثوا الأصوات فانه اطرد للفشل فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة ما اسلموا ولكن استسلموا واسرّوا الكفر فلما وجدوا اعوانا عليه اظهروه (النهج الحديدى ج ٣ ص ٤٢١) .

المفردات فى هذا الفصل :

(١) الاشتداد هنا بمعنى الضغط على الروح والتأثير على القلب بسوء .

(٢) الجولة فى اصل معناها هى الخوض فى الصفوف واستعملت هنا بمعنى الأنهزام الخفيف من الخصم تأدبا فى التعبير ومعاشاة لعاطفة

الطرف .

(٣) اعطاء السيف حقه هو الضرب به مادام هناك مجال للضرب .

(٤) وتوطين المصرع للجنب معناه الأستماتة .

(٥) الذمر هو الحثّ والحضّ .

(٦) الطعن الدعسّي هو الذى يجيف البطون وتحشى به الأجواف والدعس هو الحشو .

(٧) والضرب الطلحفي هو الشديد .

(٨) واماتة الاصوات معناها لزوم السكوت والأنشغال بالعمل لأن الضوضاء فى اىّ عمل تورث تشويش الفكر وانشغال البال وتسلب التوجه للمطلب .

(٩) الاستسلام هو اعطاء السلم بالقهر .

وامّا معنى الفصل :فهو انّه عليه السلام اراد تلطيف الموقف على اصحابه حيث يفرّون احيانا ويكسلون احيانا اخرى فقال لامانع من الفرار المؤقّت اذا تعقبه اقدام يكفّر عنه اوحصل نحو انهزام اذا تداركه صاحبه بحملة تجبره ومع هذا يجب على المجاهد ان يعرف ان الحضور فى حومة الميدان معناه اداء وظيفة الجهاد واداة الجهاد هى السيوف والرماح فيجب عليه ايفاء حقوقها والعمل بوظيفتها ولازم ذلك توطين النفس على الموت فانه احرز للنصر وابقى على السلامة وامرهم عليه السلام ان يحثّوا انفسهم على الطعن الذى تحشى به اجواف الأعداء والضرب الذى يطيح بالجوارح والاعضاء وان يتوجهوا لمطلبهم بالعمل الصارم والسكوت المريح.

ثم عقّب هذه الوصايا بنكتة لها اهمّيتها فى اندفاع جيشه نحو عدوّه اندفاعا متركزا على يقين لا يشوبه شك وهى انكم فى قتالكم هذا لمعاوية وحزبه لاتقاتلون اناسا مسلمين وانما تقاتلون كفرة قد انقادوا للاسلام

بالقهر حين لم يجدوا بدّا من الاستسلام له لكنهم قبل سنوح هذه الفرص اسرّوا ما يبطنون من الكفر الأصيل فيهم فلمّا سنحت لهم الفرص فى ابرازه اظهروه وجهروا به .

وآية ذلك ان كلاّ من طلحة والزبير وعائشة ومعاوية وعمرو بن العاص اولئك الذين احتجوا فى نهضتهم على علىّ بدم عثمان له سهمه الموفور فى القضاء على هذا الخليفة وقد اثبت التاريخ المدوّن باقلام هواتهم كل ذلك بصراحة ماعليها غبار: راجع حد الأقل ماكتبناه عن السقيفة ومضافاتها فى فصل النقود والردود من هذا الشرح وراجع الجزئين الثانى والثالث من الحياة الروحية والجزء الرابع من نتائج الفكر تقف على مجموعات عظيمة ملتقطة من عشرات بل مئآت دواوين الحديث والتاريخ الناطقة بأن العوامل الرئيسية التى فتكت بعثمان وأطاحت بزعامته كانت من فعّالية هؤلاء الذين سردنا اسمائهم فتخريبهم على علىّ اولا وعلى عامّة الناس ثانيا جرم ثقيل وجناية عظيمة واطاحة بالاسلام مهمة .

واصولا يجب علينا ان ندرس هذه الكلمة من هذا الامام الموهوب وهى قوله فو الذى فلق الحبّة وبرأ النسمة ما اسلموا ولكن استسلموا واسرّوا الكفر فلما وجدوا اعوانا عليه اظهروه دراسة تحليلية واقعية على ضوء البرهان فانّ لها تماسا بالعالم كلّه وبكافة اشياءه وبها تفسّر الأبهامات العظيمة التى اوقعت المجتمع الحساس من الناس فى حيرة من جرى هذا المخلوق على جنبات هذه الأرض وكلّ فرد من افراده يدّعى ايمانا بمبدأ قد انتقض عليه عملا .

فأىّ عاقل من الناس بشتّى الوانهم وعناصرهم لا ينكر قبح الأستبداد بالمخلوق وسلب حرّياتهم ونهب حقوقهم واباحة دمائهم والتعدّى على اعراضهم والكذب والتزوير والبهتان عليهم وتجريعهم الغصص وتوجيه

السوء اليهم ــ نعم كل احد لو سأل فى ملأ من الناس عن هذه الأمور لأثبت قبحها غير متردد ولا مرتاب ــ .

لكننا فى مراحل العمل الخارجى لا نرى احدا من الخلق كلّه الاّ وهو مرتكب لكل ذلك اوبعضه بحسب سعة قدرته وضيقها نعم قد يحصل فى غضون هذا المجتمع الضخم فرد او افراد يتحرجون عمّا وصفناه حيثلا تأثير لتحرجهم فى السير الحيوىّ العام .

ونحن لا بدّ ان نحاسبهم على اظهارهم التولّى ذاك وظهورهم العملىّ هذا حتى نعرف السرّ فى ارتكابهم لهذا التناقض فنقول لا يخلو العاقل الذى اشرنا اليه آنفا من انطوائه على حالة من حالتين لا ثالث لهما جزما فأمّا ان يكون فى ضميره ملحدا تماما بما يقوله لسانه وامّا ان يكون مستخفا بعقيدته استخفافا يكاد يقضى عليها ولا مؤمن فى الوجود الاّ من انبعثت اعضاؤه عن محرك سوىدائه طابق النعل بالنعل ومصداقه ذاك المتحرج المحدود فى عدده الذى لا تأثير له على السير الحيوى العام كما اسلفناه .

فالناس فى اوفر اعدادهم واغلب افرادهم ملاحدة فى البواطن وان تظاهروا بالأيمان لداع خاص او مستخفون بضمائرهم استخفافا يساوق الألحاد فى اثره الخارجى .

ومن هنا اشكل علينا فيمن لم يعترف بلسانه عن الحاده مع انحرافه العملى المديد انه ملحد فى العقيدة اومستخف بها وهذا الأشكال سار فى اغلب ابعاض البشرية منذ طلع بها الوجود الى غاية بقائها فى الكون ولا اثر فى الأنسان المنحرف لتظاهره بلسانه حاكيا عن ايمانه فأنه رجل تبنّاه الفرد البشرى لينال بغية نفسه من ورائه سواء فى ذلك حمّاله وبقّاله ملكه وسوقته وقس على ذلك كافة السمات وجميع الطالعين بصفة من الصفات

الآ ذلك الفرد النادر الذى اشرنا اليه فما معاوية وغير معاوية الآ تلامذة من طلاّب هذا المكتب ومن محصّلى هذه المدرسة .

وامّا حشد الفضائل لفلان وفلان فأساطير قام بها امّا خراف لاقيمة لعقولهم وامّا شياطين تبنّوا ظاهره التقشف ليتوصلوا من ورائها الى اهدافهم واية كانت تلك الأهداف فان مطالب الأنسان المنتهز متشعبة على قدر تشعب اهوائه وميوله كمّا وكيفا .

وبستحيل على الورع المحتاط المتثبت العاقل ان يشيد كيانا لأىّ شيء بطوائف من الفاظ لا يعرف مدى اتصالها بما تحكى عنه من المعانى الواقعية وصرف حسن الظن ليس بحجّة ولا مدرك علمى لا فى الشريعة ولا فى مجارى الطبيعة هذا لو لم تتكشف لنا وجوه المطالب بالعيان المحسوس وامّا مع الكشف فالحكم بتزوير المشيدين بمقامات المنحرفين لابدّ منه قطعا .

فأشاده من يقال له محدّث وفقيه وقاضى ومؤرخ بمقامات من انهاروا مع ميولهم وانجرفوا مع اهوائهم ومالوا مع اغراضهم ولعبوا طبق تحكّمات انفسهم بدم حرام يسفكونه اومال محترم ينتهبونه اوعرض مصون يستبيحونه او مسكر يشربونه او لهو يمارسونه وعلى مثل هذا ممّا يتشعب بالقلم عدّه ويقعد بالأنسان حدّه لاقيمة لها فى سوق العلم .

وبالعكس تحطيمهم لمن لم يثبت عليه جرمه المنسوب له وجنايته المعزوة اليه لااثر له ولا يجوز الأخذ به فكم من مكذوب عليه لرمز اوجب نسبة الجرم اليه وقد يكون فى الواقع بريئا من هذه النسبة ونوع محامد الحامدين وذمّ الذامّين من ذاك القماش الذى عرضناه .

فلا يغترن مغتر باسم من كبر اسمه وظهر رسمه فيخضع لوهمه فكم من كبير فى الظاهر هو صغير فى الواقع ومن شريف فى العلن هو سخيف من

وراء الستار .

وكل من سبر كتب التاريخ بمتشتتاتها والأدب بمتنوعاته والحديث بمصنفاته والتراجم بمتوزعاتها وكتب الجرح والتعديل بانواعها يقف على جلية ماذكرناه من دون مؤنة ويعرف ان فى الألسنة التى قالت والأقلام التى كتبت ماليس بظاهر فى اكثره بل هو مابين مأجور او مبعوث عن رموز حبّ وبغض عاطفة وتعصب وما الى ذلك من مؤمنات رغبات النفس وميولها ولو اردنا ان نطبق هذه العناوين على معنوناتها ونبسط هذه الكليات على جزئياتها لما وسعتنا موسوعات ضخمة ولكن اللبيب الذى لم يزو عينه عن مطالعة الكتب فيما سبق زمانه اوعاصره ولم يره كما حاسب اهل زمانه بما يبدو عليهم من حركة وسكون حساب فيلسوف لاحساب عابر مستطرق فى غنى عن البسط اكثر ممّا اسلفناه او نبهناه الى مراجعته فليتعقل هذا المقام بدقة والله من وراء القصد .

(ومنها) قوله عليه السلام من وصية له لعسكره بصفّين قبل لقاء العدوّ لاتقاتلوهم حتى يبدؤكم فانكم بحمد الله على حجة وتركّكم اياهم حتى يبدؤكم حجة اخرى لكم عليهم فاذا كانت الهزيمة بأذن الله فلا تقتلوا مدبرا ولا تصيبوا معورا ولا تجهزوا على جريح ولا تهيجوا النساء بأذى وان شتمن اعراضكم وسببن امرائكم فانهنّ ضعيفات القوى والأنفس والعقول وان كنّا لنؤمر بالكف عنهن وانهن لمشركات وان كان الرجل ليتناول المرأة فى الجاهلية بالفهر والهراوة فيعيّر بها وعقبه من بعده (النهج الحديدى ج٣ص٤١٧) .

مفردات هذا الفصل :

المعور هو الذى يبدى عورته ليتحصّن بها من خصمه والأجهاز على الجريح قتله واهاجة النساء اذعارها والفهر الحجر والهراوة العصا .

وهو عليه السلام فى هذا الفصل وفى غيره من اشباهه برهن للعالم انه لم يقصد احدا بسوء ولا يريد فرض نفسه على الوجود بالقهر والتحكم وانما يستهدف جرّ الناس الى صوب السعادة وجلبهم الى جانب الحق بأقامة الحجة وتقديم البرهان وتجسيم الحقائق وبيان امر الواقع فان اصرّ بعد ذلك مصرّ على الخلاف وقاصد للشقاق ادّبه بما يوجبه المنطق فلم يكن فى حروبه من اولئك الانتهازيين الذين لا يهمّهم الاّ تأمين مقاصدهم ولو بأهلاك الناس كلهم واتلاف العالم بأسره ولو انّه اتخذ هذه الخطة لنفسه بل مادونها لربح مواقفه كلّها ولم تؤد به الحال الى ماادّت .

ففى بادء بيعته لو قهر النفر المتمردين عليه على الأصاخة له لتغيّر وجه سلطانه من طور ادنى الى ماهو اعلا ولو احتكر وجود طلحة والزبير ونظائرهما فى بلد من البلدان لما كانت حرب الجمل ولو انه لمّا تمكّن من شريعة الفرات اصرّ على منع اصحاب معاوية منها لكان اوقعهم فى مأزق حرج كما انّه لوقتل عمرو بن العاص حينما احتمى بسوئته لأبطل فتنة التحكيم التى اتلفت عليه كل متاعبه فى صفّين وقس على ذلك نظيره ممّا قدر عليه ولم يفعله تحرجا منه .

وعن هذه الروح كان يمنع اصحابه من البدءة فى القتال مع انه على حجة لكونه اماما مفترض الطاعة لا يجوز الخروج عليه والخارج عليه باغ يقاتل حتى يفيء لأمر اللّه وكان يأخذ فى تركيز الأدب الانسانى الشرعى كل حذره فيوصى اصحابه بانهم لو كتب النصر لهم بهزيمة عدوّهم لم يجز لهم قتل المولّى المدبر ولا اصابة المحتمى منهم بعورته احرازا لنفسه ولو كان فى خروجه باغيا مهدور الدم ولا الأجهاز على الجريح ولا اهاجة النساء وان آذين بالسبّ والشتم وغيرهما مستنّا فى ذلك سنّة رسول اللّه فيما كان له نظير فى حروبه ومستقلا بنظره العلمى فيما لم يسبق له شبيه

وامّا غيره من الولاة الأسلاميين فكم آغاروا على حين غفلة واخذوا طرفهم على غرّة وقتلوا المدبر وذبحوا الأسير واصابوا المعور واجهزوا على الجريح وبقروا بطون النساء الحوامل واباحوا اعراضهنّ وفعلوا ماتنبو الأسماع عن سماعه فضلا عن مشاهدته ولم نر فى المؤرخين من انتقدهم اوفى الباحثين من زيّف خططهم بل واجهوا من العالم كل ترحاب وتأهيل وكم قيل فى حقهم انهم احرياء بمقاماتهم عظماء فى حكوماتهم لائقون لأشغال منّصاتهم وكان يخافهم كلّ احد ويخضع لهم كلّ انسان هذا هو ميدان الورع المحتاط والمتهجم المتجرم فى عالم البشرية وذاك هو نصيب الطرفين من الحكومة عليهما والقضاء فى حقهما فقد قيل معاوية داهية وعلىّ ضعيف انظروا عجب .

(ومنها) قوله عليه السلام فى كلام له فى بعض ايّام صفّين :وقد رأيت جولتكم وانحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفاة الطغام واعراب اهل الشام وانتم لهاميم العرب ويآفيخ الشرف والأنف المقدّم والسنام الأعظم ولقد شفى وحاوح صدرى ان رأيتكم تحوزونهم كما حازوكم وتزيلونهم عن مواقفهم كما ازالوكم حسّا بالنصال وشجرا بالرماح تركب اولاهم أخراهم كالأبل الهيم المطرودة ترمى عن حياضها وتذاد عن مواردها (النهج الحديدى ج ٢ص ٢٢٢) .

مفردات الفصل ومعناه :

الجولة فى الأصل هى التقحم فى صفوف العدوّ واستعملت هنا بمعنى التقهقر والتأخر عنه تلطيفا فى التعبير حتى لا يتوحش المخاطب بكلمة الهزيمة ونحوها تساق اليه وقرينة الاستعمال بالمعنى الذى اشعرنا به تعقيبه عليه السلام للكلمة الآنفة بقوله وانحيازكم عن صفوفكم اى خروجكم عنها ومبارحتكم لها استجابة لحملة العدو عليكم وبقوله ايضا تحوزكم

الجفاة الطغام اى تتصرف بكم كأنكم فى حيازتها وتحت تسخيرها والجافى هو الوحش فى اخلاقه الشرس فى طبيعته والطغام الأوغاد الأراذل واللهاميم جمع لهموم وهو الجواد الكريم واليافوخ اعلا الرأس وجمعه يآفيخ والمراد بذلك هنا وصفهم بسموّ المقام ورفعة المكانة حثّا لهم على التكرّم والتعزّز بتهوين امر الخصم عليهم وانّه لاقيمة له فى قبالهم لأنهم الانف المقدّم والسنام الأعظم .

ووحاوح الصدر والقلب حزنهما وحزازاتهما وقوله بأخرة اى اخيرا تداركتم منهم مافات عليكم فسخرتموهم ثانيا كما سخّروكم اولا فمحوتم عار فرّتكم منهم بكرتكم عليهم وازلتموهم عن مواقفهم حسّا اى قتلا والنصل حديدة السيف والرمح والسهم وشجرا بالرماح اى طعنا بها فمن شديد وقعكم بهم وهجمتكم عليهم اخذ يركب بعضهم بعضا فى الفرار اسراعا بتحصيل النجاة لنفسه كالابل العطاش التى تطرد عن وردها بالازعاج وتمنع عن مواردها بالقوّة فترى كراديسها يركب بعضها بعضا من التزاحم لتحصيل المخلص .

هذا آخر الكلام على هذا الفصل وفيه بلغة لمن ترصّد معناه واحبّ الوقوف على جلية حاله موضوعا وحكما ولله الحمد .

* (الفصل الثامن نهج البلاغة فى الحكم والأمثال) *

الحكمة عند الفلاسفة هى استبطان حقائق الاشياء بالدقة النظرية وفى عرف الناس اصابة المعانى الشريفة العازبة عن اذهان السائرين ولشرافتها عندهم وجميل وقعها لديهم تسير بينهم مثلا .

ومجهود العقلاء الذى اتحفوا به الاجتماع الأنسانى وخدموا اخوانهم به لم يعدم اثره فى تربية عقولهم وتنمية افكارهم سواء عملوا بمضامينه او

طرحوه جانبا فی موقع العمل ٠

والعقلاء فی الاجتماع كثيرون غايته ان كل فريق منهم جال بعقله فی ميدان خاص فبعضهم احبّ ان يصير من طريقه شحاذا طرّارا والآخر فاتكا شيطانا والثالث مدلسا ملبّسا والرابع انتهازيا مرموزا الى ماسوى ذلك من الهوايات التی تضرّ بالمجتمع ولا تنفع ٠

امّا اولئك الذين توسلوا بالعقل لأحراز الصالح الأنسانی العام فكالكبريت الأحمر فی قلّتهم ولم تعدم سلاسل البشر المتواترة على هذا الكون تعاقب هؤلاء الأفذاذ عليهم فمن نبیّ مبلّغ ووصیّ معلّم وعالم مؤدب ومثالیّ مثقف كما لم يعدم الأخيار على قلّتهم فی الكون ثمرات ماادّ بهم به اولئك الكمّل فحفظوا ماسمعوا وعملوا به ٠

وممنّ وقف نفسه لتنشيط عقول النوع وجلبهم الى العلم الناجع والعمل به أمير المؤمنين على عليه السلام فأنّ له فی الحكمة معانی شريفة قلّما اصاب غيره من الحكماء الروحيين نظيرها فكان الأستاذ الموقّر فی الجامعة الأسلامية خصوصا والانسانية عموما ونحن فيما نستقبل نذكر طرفا من حكمه لتكون مسك ختام لهذا الشرح الجليل ٠

فمن ذلك قوله عليه السلام :كن فی الفتنة كابن اللبون لاظهر فيركب ولا ضرع فيحلب (النهج الحديدی ج ٤ص٢٣٨) ٠

ابن اللبون ولد الناقة الذی فطم فتمّ له سنتان ودخل فی الثالثة وامّه ترضع غيره فتكون ذات لبن وهذا الحيوان فی سنّه هذه ضعيف الظهر فلايركب ولا هو ذولبن فيحلب فهو والحال هذه مطرّح لا يستفاد منه والفتنة هی المشاجرة تكون على الباطل فالاشتراك فيها يكون جرما قطعا٠

ومن هنا اوصى الامام عليه السلام كل رشيد ان لا يشترك فی الفتن فان سهمه منها الوزر بحكم الشريعة والحرمان فی مجاری الطبيعة لأن

الذين يخلقون الفتن ويكونون احجارها الأساسية انما يحاولون مطامع انفسهم ولاحاجة لهم بغيرهم فمتى وضعوا ارجلهم فى غرز الركاب سيّبوا من كان يسعى لهم ويصوّت باسمائهم اذلاضمير لهم ولاوجدان بل ربّما سبّبوا له الهلاك اذا حذروا منه وكم لما ذكرناه من مصاديق اتعبوا انفسهم ـ ضلالا ـ لغيرهم فلم يستفيدوا الاّ الندم ان لم تلتهمهم اشداق العدم وقال بعض العارفين من المجرمين لاتركن الى السياسى فانه يأخذ منك اضعاف مايعطيك اذا كان منصفا والاّ اخذ خيرك ولفظك لفظ النواة فتكون محروم دين ودنيا امّا الدين فلركونك الى الظالم وامّا الدنيا فلسقوطك من انظار الناس لان الناس بطبيعتهم يمقتون حكّام الجور وكل من لابسهم وانما يغضون عن النافذ حذرا من بطشه فأذا امنوا بطشه هان عليهم هوان النعل على لابسه .

وقوله عليه السلام اذا اقبلت الدنيا على قوم اعارتهم محاسن غيرهم واذا ادبرت عنهم سلبتهم محاسن انفسهم (النهج الحديدى ج٤ص٢٢٤) .

اقبال الدنيا هو انفراج الصدف امام الأنسان فاذا كان فعّالا اكتسب من النتيجة اضعاف ماتعب لها وادبار الدنيا هو ضيق الصدف به فتراه يخسر كل زحماته لابأزاء شىء ولاشكّ انّ من وفّق لهدف أخذ الناس يكيلون له فوق الواقع لأنّهم يظنون به كتمان ماحصّل واذا ضاقت به الأمور فخسر موقفه من مطلوبه تحدثت عنه الناس بأضعاف محروميته لأنهم يعتقدون انه تشجّع فلم يظهر جميع انكساره .

وقوله عليه السلام :خالطوا الناس مخالطة ان متّم معها بكوا عليكم وان عشتم حنّوا اليكم (النهج الحديدى ج ٤ص ٢٤٥) .

هدف هذا الفصل بذل المجاملة فى المعاشرة والمجاملة الصحيحة تكون على قسمين (الأوّل) هو ان يمرّن الانسان نفسه على الأنطباع

والمرونة فأن يبس المزاج وحدّة الأخلاق من الأمور الممقوتة للناس عموما لما فيها من الجفاء والجفاف وهذه المرونة مطلوبة من كل احد حتى اقدر القادرين على تأمين هواه ومناه فلو ان جاهلا واجه اعظم العظماء بكلمة لاذعة فى الأدب الصحيح لكنه لم يكن يدرك معناها كان من وظيفة هذا العظيم الاغضاء عنه وتعليمه ان كان مستعدا (الثانى) هو ان يكظم الأنسان غيظه ممّا يواجهه حيث لا يقدر على دفعه ويتظاهر بالحلم وان لم يكن حليما لأنه اذا بارز من لاقدرة له عليه خسر موقفه وحيثيته كليهما وبالعكس اذا جامل لم يخسر شيئا منهما بل حمده الناس بحسن الأناة والتريّث وجميل التحمّل والتحلّم ومتى كان الأنسان بهذه الصفة يأسف الناس لفقده اذا فقد ويحنّون اليه مادام بين اظهرهم وهو على هذه الصفة :نعم لا يجوز الأغضاء من القادر على المتجاسر حتى يلجأ الى الأدب ولا يغريه السكوت عنه بالتجاهل على غيره ٠

وقوله عليه السلام :اعجز الناس من عجز عن اكتساب الأخوان وأعجز منه من ضيّع من ظفر به منهم (النهج الحديدى ج ٤ص٢٤٦) ٠

انّ الحياة البشرية بما هى عليه من توفر الآلام وتزاحم المشكلات لا يهون قطعها من دون معوّن ولا تحمل اثقالها من دون مساعد وليس كل الناس من تنفرج عنه الصدف فيقدر ويسخّر بقدرته اعوانا ومساعدين اذن فمن لازم الفرد البشرىّ ان يحتكّ بمن يستطيع مضغه من الناس ويتحبب اليه ويلبسه ولو على غير هوى فاذا فعل ذلك قرّب اليه من اذا مرض عاده واذا اصيب بمصيبة واساه واذا فرح شاركه والى نظير ذلك فمن تمرّد عليه طبعه فانحاز لخاصة نفسه اعجزته الحياة لامحالة واعجز من هذا المسكين من ملك اخوانا من طريق اهله فضيّعهم بسبب جهله ٠

وقوله عليه السلام قرنت الهيبة بالخيبة والحياء بالحرمان والفرصة تمرّ

مرّ السحاب فانتهزوا فرص الخير (النهج الحديدي ج ٤ ص ٢٥٢)

هنا ثلاث نكات :

(١) انه لا يجوز للانسان ان يخاف من كلّ واهمة تعرض لباله فأن القاء النفس بين الاحتمالات ممّا يعقّمها عن كل نجاح كما لا يجوز له ان يكون صلفا يتدرع الوقاحة وجها والتهور منهجا امّا الوقاحة فانها تسقطه عن الأعتبار وامّا التهوّر فقد يسلمه الى الهلاك فخير الأمور له التوسط بين التهوّر والتحذّر ومع ذلك فقد ينعم وقد يندم حسبما يلابسه من الصدف المزعجة او المريحة .

(٢) الحياء صفة تقال على ما يقابل الصلافة والوقاحة وهى حقّ مالم يؤخذ الانسان من طريقها وتغصب حقوقه من اجلها فاذا وصل الحياء بالأنسان الى هذه الدرجة كان جبنا وعارا ولا يريد الأمام ان الحياء دائما مشفوع بالحرمان بل يريد به درجة منه تؤدى الى الأستسلام امام طرف ينتهز هذه الظاهرة من قبيله ويتخذها وسيلة لاستلاب حقوقه وغدرها .

(٣) لا شكّ ان النجاح والحرمان من نتائج جريان الصدف المؤاتية والممانعة فيجب على اللبيب ان يكون يقظا يحسب لجريها الحساب الدقيق فينكمش امام الممانعة منها حتى لا تنوشه الاشكالات ويندفع مع المؤاتية منها حتى لا تفوته لأن جريها وتصريفها ليس اليه حتى يكون مختارا فى بعثها او قبضها :وانّما خصّ فرص الخير بالذكر لأن فرص الشرّ لا يترصدها الاّ الانسان الخبيث .

وقوله عليه السلام :من اسرع الى الناس بما يكرهون قالوا فيه مالا يعلمون (النهج الحديدي ج ٤ ص ٢٥٧) .

نعم لا يجوز ذكر الناس بباطل وان كانوا ارتكبوه لأنّه يثير حفائظهم فيجابهون الذاكر بالأذى ان كانوا يقدرون عليه والاّ سلّوا السنتهم فى

عرضه فان اعوزهم الواقع فيه لم يعوزهم الأختلاق عليه تشفيا منه وهذا السرّ الدقيق هو الذى حرّم الغيبة فى الدين كما حرّم البهتان والتزوير: نعم يجوز التنديد بفاعل المنكر لمن يأمن بوائقه ويؤثر عليه بهتكه بين الناس حتى يرتدع عن فعل القبيح ويحذر غيره مغبّة ماوقع فيه نظيره .

وقوله عليه السلام :اللسان سبع ان خلّى عنه عقر (النهج الحديدى ج ٤ص ٢٦٩) .

لاشكّ ان اللسان من اهمّ اجهزة الأنسان بشرط ان يعبّر عن علم وادب فهو لاقيمة له مع الجهل اذ لامادّة له يتحكم فيها سوى الأوهام والخرافات ان استطاع التعبير وسوى السبّ والشتم وقذف الأعراض والتهجم على الناس ومن هنا كانت دنيا الجاهلية دنيا بؤس وشقاء وحروب وغارات ومهاجاة وكل جاهل هذا شأنه من لسانه وانما يزعه عن ذلك الخوف من النافذين العارفين اذا حكموه ،ولا سبعية فى لسان العارف المثقف والعالم المؤدب لأنّه لا يرسل لسانه الآ بعلم نافع وادب ناجع ولاعقر مع العلم والأدب نعم هذا شأن الجاهل المهمل والعامى المرسل فان لسانه سبع فأمّا يعقره هو وامّا يعقر غيره حسب قوّته التى تحصّنه وضعفه الذى يؤخذ من طريقه .

وقوله عليه السلام :لا تستح من اعطاء القليل فأن الحرمان اقلّ منه (النهج الحديدى ج ٤ص ٢٧٣) .

العطاء عطاآن عطاء تبذير وسخف وعطاء مواساة وشرف امّا القسم الأوّل فكصلة الشحاذين والماجنين والمغنّين والشعراء المتسوّلين ومن مشى على هذه الطريقة الساقطة وهو غير جائز شرعا لأنه يعين على الماثم ويدعو الى البطالة ويبعث الأنسان الى السقوط والأمتهان وعقلا لأنه بمنزلة اتلاف المال بسفه :وامّا القسم الثانى فكأشباع الجائع والبائس

العارى واسكان من لا مكنّ له واسعاف من لا قدرة عنده وتزويج فاقد الاستطاعة وما الى ذلك وكل من ندب الشرع الى مؤازرته وحثّ العرف العاقل عليه فهو الى هذا القسم الذى يعتبر من اهمّ الخدمات الأنسانية التى يقوم بها الأنسان تجاه اخيه النوعى ولا شكّ انّ هذا العطاء المندوب اليه لم تراع فيه كميّة ولا كيفية خاصة بل هو موكول لرغبة المعطى ولشرف المعطى فأعطاء القليل ومهما قلّ محمود من صاحبه الاّ ان يكون تافها فى المشروع الذى قدّم له بحيث يستقذره المعطى لو تصوّره والذى اشار اليه عليه السلام هو غير هذه الصورة قطعا ٠

وقوله عليه السلام :قيمة كل امرئ ما يحسنه (النهج الحديدى ج٤ص ٢٧٨)

لا شكّ ان الانسان اذا كان عاريا من الصنائع والعلوم والمهن وكل ما ينتفع به لنفسه اوينفع به الناس كان ساقطا من كل القيم وكان وجوده كالعدم وبمقدار ما ينتج كمّا وكيفا يكون كيانه بذلك المقدار فالحمّال المحض كيانه منوط بقيمة مهنته فى المجتمع كالمكتشف العظيم فان قيمته منوطة بانتاجه وقس على ذلك كل احد وما يستثمر منه سوق الاجتماع نعم يجب ان يلتفت ان سوق الأجتماع الذى يعيّن قيم الأشياء يجب ان يكون تقويمه تحت نظر العقل فان الأمور الساقطة فى نظره لا قيمة لها وان راجت فى سوق بعض المجتمعات كالفحشاء بجميع انواعها والباطل بجميع اقسامه واللهو بكافة صنوفه وكلمة الأمام عليه السلام انّما سيقت على هذا الملاك الذى ننبهنا عليه ٠

وقوله عليه السلام :اوضع العلم ما وقف على اللسان وارفعه ما ظهر فى الجوارح والأركان (النهج الحديدى ج ٤ص ٢٨٢) ٠

اصولا شرف العلم موزن باعتبار بحثه عن الواقع وتمحيصه للحقائق وطرده للأوهام وتربيته لروح الأنسان حتى يترفع الأجتماع عملا عن الرذائل

ومسقطات القيم ويترقى الى اوج الفضيلة فيتمتع الانسان حينذاك بحياة خالية من المزعجات واجدة للصحيح من اللذات اذن فشرف العلم كما رأيت مرهون بغاياته منوط بانتاجاته العملية والاّ فصرف لقلقة اللسان بشئ وان كان له واقع لكن لا تطبيق فيه لا قيمة له فان صرف مفاهيم الحياء والوفاء والأباء والسخاء والأمان والايمان والاحسان والمواساة لا يقوّم بفلس صغير مالم يكن فى البين حياء عملى ووفاء جوارحى وسخاء خارجى وامان وايمان عيانيان واحسان ومواساة مثمران فلا علم من دون عمل به ولا نحيلك على بعيد فان الناظر الى الثقافات اليومية يجدها فى اعلا مكان لكنه لمّا لم ير لها اثرا فى سير الأجتماع بافراده بل كلمّا يشاهده سخف وترهل وباطل يعود محتقرا لها حاسبا انها من قسم الشعوذات التى يصاد بها ضعفاء العقول ويستنزف من طريقها مافى اكياسهم والحق معه فى حسبانه ذاك وفى احتقاره هذا .

وقوله عليه السلام وقد سمع رجلا من الحرورية يتهجد ويقرأ فقال : نوم على يقين خير من صلاة على شكّ (النهج الحديدى ج ٤ ص ٣٨٣) .

لا ريب ان الاعمال القائمة على الجهل البسيط او المركب عدمها خير منها لأنها على فرض ان لا تضر فهى لا تنفع فما عليه الضعفة فى العلم النشيطون فى العمل طريقة ضالّة لأنها لا تثمر الاّ اجهاد النفس فى اللاّطائلات هذا اذا سلمت من العيوب والهناة وكيف تسلم من ذلك فهؤلاء الخوارج اهل الجباه السود الذين يعتبرون الذنب كفرا نراهم لجهلهم بالشريعة يستسيغون اراقة الدم الحرام وبقر بطون الحبالى ونهب اموال الناس وتطيير الوحشة فى مجامعهم والخوف فى سبلهم لكن يرون تهجدهم فى الليل وتلاوتهم للقرآن من الفروض المحتّمة عليهم واين يقع التهجد من ارتكاب تلك الجرائم العظام وتلاوة القرآن من ملابسة تلك

الجنايات الكبار :ولو انهم اخلدوا الى تعلّم احكام الشريعة من معلم مثقف فخرج بهم من الجهل الى العلم ومن الوهم الى شهود الحقيقة لما ذهبت دمائهم هدرا ولما صدر عنهم ماصدر من بلايا ودواهى لاتجبر بجابر ولا تستدرك بأعظم الاشياء ولكانوا فى نومهم على يقين من الحق خيرا منهم وهم على شك فيه يجهدون انفسهم بصورة العبادة كما يجهدون الناس بالتخريب عليهم والأفساد فيهم ٠

وقوله عليه السلام :اعقلوا الخبر اذا سمعتموه عقل رعاية لاعقل رواية فان رواة العلم كثير ورعاته قليل (النهج الحديدى ج ٤ص ٢٨٤) ٠

لاقيمة للرواية اذا لم تعقل ولاتعقل الرواية اذا لم يكن الراوى من اهل العلم لان العامى لا يستطيع ان يحفظ الشيء كما القاه ملقيه فربّ حركة تبدّل بسكون او سكون يبدّل بحركة تؤثّران على تغيير المعنى فتبرزانه بصورة غير ما اراد ها المتكلم هذا اذا القى لفظ المخبر بنفسه وامّا اذا اراد ان يلقيه بمعناه فهناك كل الويل للرواية منه فكم يطرأ عليها سلخ ومسخ وتغيير وتبديل وما طارت الأوهام بين الناس الاّ من طريق الرواة العوام والكثير الوفير من رواة الاخبار والآثار عوام ومن هذا المسرب المظلم تسرّبت الى الشريعة دواهى ارخصت ثمنها فى انظار المتنورين ٠

وقوله عليه السلام :لا يعدم الصبور الظفر وان طال به الزمان (النهج الحديدى ج ٤ص ٣١٧) ٠

الملابسات غير الملائمة فى الدنيا على الانسان غير قابلة للتحديد وذلك نتيجة تطويح افراد المجتمع بأنفسهم فى المهالك اجابة للرغائب النفسية الجاهلة وطبعا كل ملابس غير ملائم يؤذى العاطفة ويحزّ بالنفس فالمتأثر بذلك يجب عليه ان يحاسب نفسه بين وضعها فى احضان الجزع فيعيش مسلوب الراحة دائما وبين تسكينها بالأغضاء والتسلّى بما يوجب

السلوة وتصريف النفس من حال الى حال ولا شك ان العاقل يختار الحالة الثانية ويقدمها على الأولى لما فى الثانية من سكون نسبىّ وفى الأولى من اقلاق مستمرّ ثم ان الصدف قد تنفرج عنه احيانا فيتمتع بلذّة الظفر بما كان محروما منه ٠

وقوله عليه السلام :من استبدّ برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها فى عقولها (النهج الحديدى ج ٤ص ٣٢١) ٠

العقل الانسانى فى اصل خلقته اعداد فقط وانما يتلبس بأوّل طرف الفعلية اذا احتك بالصور الذهنية ومارس المشاهدات الخارجية لذلك هو دائما فى ضعف مالم يحتك ويختلط بغيره ومن هنا كثر الخطأ فى افكار المستبدين بعقولهم وتحددت معلوماتهم امّا طرح الفكرة فى مجتمع العقول فأنه لا يعدم نصيبه بواحد من اثنين امّا تأييد مارأى وتثبيت ماعقل وامّا تبديل باطل رأيه بحق حيث لولا الأحتكاك لما حصل كلا الأمرين قطعا ٠

وقوله عليه السلام :الفقر الموت الأكبر (النهج الحديدى ج٤ص ٣٢١) ٠

لا شك ان الحاجة الى اىّ شىء يفرض تورث فى الانسان ذلة باطنية وانكسارا وجدانيا فان كان صاحب عزيمة وارادة قوية وتصميم قاطع عاش على مثل الجمر المتوهج والموت اروح من هذه الحياة قطعا لان الموت يفقد الانسان كافّة حواسه ويبطل فيه كل احتياجاته وان كان رخوا فى عزيمته قادته حاجته الى الضراعة وفقره الى الاستكانة والأمتهان ومع ذلك فقد لا يحصّل من ضراعته واستكانته على محصّل فيبقى قرين ألمين ماضّين الحاجة الملحّة من ناحية والضراعة العقيمة من ناحية ثانية ٠

وقوله عليه السلام :لا يزهدنّك فى المعروف من لا يشكره لك فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشىء منه وقد تدرك من شكر الشاكر اكثر ممّا اضاع الكافر

واللّه يحبّ المحسنين (النهج الحديدى ج ٤ص ٣٣٤) .

المفاهيم التى يستقلّ العقل بحسن تحقيقها فى الخارج او بقبح تركيزها فيه لاتحتاج فى صفة حسنها او قبحها الى مؤيّد او مفنّد باللسان لذلك يجب على العاقل ان يفعل المعروف حتى لولم يتعقبه شكر من المصنوع اليه لان عقله قد حكم عليه بحسن العمل بما هو فى ذاته كما يجب على العاقل ايضا ان يتحاشى عن فعل القبيح حتى لو لم يحصل له ذامّ من الناس لأنّ ضميره قد حكم عليه بقبح الفعل بما هو فى نفسه مضافا الى ان فى جامعة البشر من وقف نفسه لشكر الجميل من كل مجمل حتى لو لم يعرفه ولتقبيح القبيح من كل فاعل له حتى لو لم يصل اليه شيء من سوئه وعلى هذا الاساس قال من قال :لا يذهب العرف بين اللّه والناس .

وقوله عليه السلام :اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع (النهج الحديدى ج ٤ ص ٣٣٩) .

لانشك ان اكثر انحرافات العقلاء فى الدنيا من الركون الى الظالم وتقديم المفضول على الفاضل والجنوح الى الفسقة وتمجيد الخونة ومدح من لا يستحق المدح او ذم من لا يستحق الذم وما الى ذلك من الخطايا منشأه فى سحق الضمير وهجر العقل ونبذ الوجدان هو الطمع بما فى ايدى القادرين فلاتجد راوية وضّاعا اوفقيها ضالاّ اوقاضيا باغيا اوشاعرا متملقا او كاتبا متزلفا الاّ للدرهم القى بين يديه ولولا ذلك لما سحق ذو الوجدان وجدانه تحت اقدامه او القى صاحب الضمير ضميره وراء ظهره .

وقوله عليه السلام :ان قوما عبدوا اللّه رغبة فتلك عبادة التجّار وان قوما عبدوا اللّه رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوما عبدوا اللّه شكرا فتلك عبادة الأحرار (النهج الحديدى ج ٤ص ٣٤٦) .

ان الذين يعترفون بالخالق ويعبدونه لأوعاده التى جرت فى كتبه

او على السنة انبيائه من الجنّة وصنوف نعيمها من فواكه وطيور وشراب معين وحور عين و ولدان مخلدين وكل ما تهفوله النفس ويروق للعين فاؤلئك يتاجرون خالقهم بعبادتهم اياه ويقارضونه عاجلا بآجل كما ان الذين يعترفون به ويعبدونه حذرا من تحذيراته بالنار ذات الوقود التى تنضج الجلود يحاولون بعبادتهم له التخلص من سطواته شأن العبيد الذين لايعملون الاّ والعصا فوق رؤسهم امّا الذين يعترفون به خالقا قد انعم عليهم بنعمة الوجود المجهّز الذى يمكن التطرق منه الى اعلا مراتب السعادة ويعبدونه لذلك فهم الأحرار فى عبادتهم اذ لم يسقهم اليها خوف ولا طمع بل ساقهم الشكر لنعمه والاعتراف بأحسانه ومننه :كما جاء فى كلمة اخرى للأمام عليه السلام لو لم يتوعد اللّه سبحانه على معصية لكان يجب ان لا يعصى شكرا لنعمه (النهج الحديدى ج ٤ ص ٣٨١) .

وقوله عليه السلام :الخلاف يهدم الرأى (النهج الحديدى ج٤ص ٣٣٨).

ليس كل ما يسير عليه المجتمع كلاّ اوبعضا من قديم سابق وتال لاحق بقائم على رأى صحيح بل الكثير الوفير منه متركز على تقاليد لايعرف الداعم لها الطالع بها جهة مادعمه وطلع به وتطيير التقاليد بين الناس ليس محسوبا بحساب بل ربّ نزوة من متنزّى وبادرة شهوة من انسان جاهل تحتّل لها مكانا من الاجتماع قهّارا يعنو له الصغير والكبير والملك والسوقة ومن يعرف سخفه وسماجته ونضرب لك مثلا قريب المأخذ هذه العصور التى تتقلب من تقليد الى آخر فى المآكل والملابس والمساكن والآداب وطرز التعليم ولون سياسة الناس وطريقة تسييرهم ولو بالعنف هل رأيت ان احدا من اهلها حاسب نفسه فضلا عن غيره فى انجرافه مع الظاهرة السائدة وانّها لم كانت ولأى سبب عقلائى سادت ولأى داع موزون سارت وكم فنّد مفنّد من العقلاء تلك الظاهرات واقام القيامة على تقبيحها

بالآيات البيّنات فما نجح مسعاه ولا قلّده احد فى فتواه وسرّ ذلك ان الخلاف عليه هو الذى هدم رأيه ولو كانت دعامة المخالف واهية متداعية منطقا وركيزة صاحب الرأى قوية محكمة برهانا .

وقوله عليه السلام :من اطاع التوانى ضيّع الحقوق ومن اطاع الواشى ضيّع الصديق (النهج الحديدى ج ٤ص ٣٤٧) .

ان التغالب على هذه الحياة واشيائها ممّا ضيّق عرصة التوصل الى المقصد الصحيح على العاقل العامل فاذا كان من نظره تحصيل القوت المساعد والفرص الرحبة فقد عقّم ما يحاوله من سعى مثمر بل يلزمه شق ركام الأمام ومهما لاقى من مشاق حتى يستطيع ان يثبت اهدافه فى الخارج ويحرز حقوقه فى الحياة كما لا يجوز ان يعير اذنه لقول القائلين فى عدوّه فضلا عن صديقه فان الاكثر الأوفر من الناس لا يتذمّمون عن استنقاص غيرهم لهدف يثور بهم اليه وارناه الحسد نعم يجب على العاقل ان يتحذر من كل احد حتى لا يؤخذ على غرّة فان سوء الظن من دون اعمال له رصيد عظيم فى حفظ الانسان من الأنهيار المعجّل .

وقوله عليه السلام :صاحب السلطان كراكب الأسد يغبط بموقعه وهو اعلم بموضعه (النهج الحديدى ج ٤ص ٣٦٩) .

باعتبار ان اغلب حكومات الدنيا حكومات تهجم وتحكم وتغلّب قد اخذ فى طريقها كل سوء وباطل ورمز لاجرم كان مدبروها ومديروها اناسا لا ذمة لهم ولا وجدان عندهم ولا يعرفون حسنا ولا قبيحا ولا منكرا ولا معروفا ولا وفاء ولا غدرا ولا كل شىء فى الرذائل كان ام فى الفضائل بل جهد ما يعرفون حفظ جاههم وتأمين ميولهم ومثل هؤلاء العراة من كل صفة فى الاختلاط بهم من الأخطار مالا يعرف مداه فراكب الأسد ان يغبط باعتبار انه ارتحل سيد الحيوانات ففى الواقع هو على جناح تلف لان رضوخ

الأسد له آنا مالا ينتج مطاوعته له على سبيل الاستمرار فكثيرا ما يهيج به توحشه فيكون هذا الراكب اوّل فريسة له وحسن ما ينقل عن العتّابى انه قيل له لم لا تقصد الأمير قال لانى اراه يعطى واحدا لغير حسنة ولا يد ويقتل آخر بلا سيئة ولا ذنب ولست ادرى ايّ الرجلين اكون ولا ارجو منه مقدار ما اخاطر به .

وقوله عليه السلام :ليست الرؤية مع الأبصار فقد تكذب العيون اهلها ولا يغشّ العقل من استنصحه (النهج الحديدى ج ٤ص٣٧٦) .

السلب فى كلام الأمام عليه السلام لسلب العموم بمعنى ان الحواس الظاهرية التى اقواها البصر تخطأ فيما تحكم به امّا لانصراف الذهن حين اعمالها او لتأثير الخيالات عليها لكن المعقول البديهى برئ من الخطأ دائما ومن هنا يجب تخطأة اهل الحسّ الذين لا يؤمنون بما ورائه .

وقوله عليه السلام :مقاربة الناس فى اخلاقهم امن من غوائلهم(النهج الحديدى ج ٤ص ٤٥١) .

نوع الناس اذا رأوا رأيا او اتخذوا لانفسهم طريقة او اختاروا لهم مذهبا بأى داع كان ولو كان جهلا محضا ورغبة صرفة ينتقدون من يخالف سيرتهم وينظرون بشزر الى من يستقلّ عنهم وربّما دسّوا له فى الخفاء ما يطيح بكرامته او بأساس وجوده كل ذلك بدافع الانانية وحبّ الذات والاستبداد ماوجدوا له طريقا .

لذلك نحن نجد كثيرا من الذين يعيشون فى بيئآت يختلفون معها فى الرأى والتفكير والعادة والعقيدة ملجئين الى مجاملتهم ومضطرين الى مقاربتهم خوف الايقاع بهم ووحشة الانفراد عنهم لا بما هى وحشة بل بما تستعقب من آثار سوء وهذا هو ملاك التقية فى كل شئ .

وقوله عليه السلام :الناس اعداء ماجهلوا (النهج الحديدى ج٤ص٤٧٦).

من خواص العوام ان كل شيء لا يعرفونه فى العقائد كان ام فى العادات من المعنويات كان ام المادیات لا يكلفون انفسهم بالتعرف عليه حتى يأخذوا به او يتركوه او يحبوه او يبغضوه بل يقدمون الكراهة له من دون ان يقفوا منه حتّى على شبح وهذا البلاء عامّ فى الناس الآ من اوتى عقلا ثاقبا ونفسا متأنية ومنطق المتأنى ان شيئا لا اعرفه كيف احبّه او امقته ادعو له او احرّض على تركه .

وقوله عليه السلام :ليس بلد بأحقّ بك من بلد خير البلاد ماحملك (النهج الحديدى ج ٤ص ٤٧٧) .

وجود الانسان مرتهن بما يؤمّنه ويكفل له راحته وعزّته وحيثيته التى بها يوقّر وماديّاته التى بها يعيش فاذا تمّت له هذه الاحتفافات عاش براحة بلا ميز لمنطقة عن اخرى ولا لمكان على مكان واذا لم تتمّ له بأن وجد الأهل والأحبّاء ولكنه فقد المؤنة او وجدهما وفقد الحيثية والكرامة والصحة والسلامة ثم ترائى له ولو فى اقاصى الأرض ما يضمن له الجميع وكان بأمكانه السير والانتقال فانه لامحالة يحنّ بنفسه الى ذاك المؤمّن الآ ان يكون بالغا من الكسل مبلغا يقعد به حتى عن احراز سلامته وتأمين معيشته ولا كلام لنا مع ذاك .

وانّما يعتزّ الناس بالأوطان لانهم لا يجدون فى الغربة بغيتهم وكم ممّن وجد ذلك فنزح عن دياره الى ابعد دار فهاجر من الشرق الى الغرب ومن قارة الى قارة اخرى ومن طرف مملكة الى طرفها الآخر وعاش برفاه أنساه ماكان يألف ويعرف .

وقوله عليه السلام:مامزح امرؤ مزحة الآ مجّ من عقله مجّة(النهج الحديدى ج ٤ص ٤٧٩) .

يقال المزاح على التبذّل فى الاقوال والأفعال ولا شكّ انه يقابل

الأتزان والوقار ولا يحتشم الأنسان الاّ من طريق هذين امّا التبذّل فانه يسقط الحيثية اوّلا وقد يصادف مجابهة حادّة من الطرف فيقع المازح فى اذى اولا اقل يخلق لنفسه عدوّا لم يكن له بعدوّ ومتنفرا منه ولم يكن عنه متنفرا وامّا ترصّد النكات الظريفة المأنوسة للجميع فليس من المزاح اصلا .

هذا آخر ما اردنا ايراده فى هذا الشرح
فلنحمد اللّه شاكرين وعلى انبيائه
وأوصيائه مصلّين ومسلّمين
يوم السبت ١٨ جمادى
الأولى سنة ١٣٨٩
للهجرة
النبوية

*

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

* (فهرست الجزء السادس من البحـــوث) *

الصفحة	العنوان
١	سياسة امور الناس
٧	فى عهده للأشتر
٦٠	فى كتابه الى مسقلة
٦٢	فى كتابه الى عثمان بن حنيف
٦٤	فى كتبه الى عثمان بن حنيف: والى بعض عمّاله
٦٥	فى كتاب له الى امراء جيوشه
٦٧	فى كتاب له الى عمّال الخراج
٧٠	من كتاب له لصاحب جند حلوان
٧٢	من كتاب له الى عمّاله
٧٣	من كتاب له الى كميل بن زياد
٧٤	فى كلمة لـــه (ع)
٧٥	كلامه لدهاقين الأنبار
٧٦	كتابه الى قثم بن العباس
٧٨	كتاب له الى بعض عمّاله
٨٣	كتابه الى عبد الله بن عباس
٨٤	فى كتاب له الى قثـــم
٨٦	من خطبة لـــه
٨٨	من كلام لـــه
٩٢	من خطبة لـــه
٩٣	من كلام لـــه
٩٤	من كلام لـــه بالبصرة

الصفحة	العنوان
٩٦	من خطبه بصفّين
١٠٢	من كلام لـه
١٠٧	ومن كلام لـه
١٠٩	من كتاب لـه
١١٠	فى كتاب لـه
١١٢	فى وصية لـه
١١٧	من كلام لـه
١١٩	فى كلام لـه
١٢٠	حقوق الأنسان
١٧٩	نهج البلاغة والجهاد
٢٢٩	نهج البلاغة والحكم

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى